



جامعة دمشق

كلية الشريعة

قسم علوم القرآن والحديث

الشَّعْر في السُّنة النبويَّة

﴿دراسة موضوعيَّة﴾

«رسالة أعدت لنيل درجة الماجستير في الحديث وعلومه»

إعداد الطالبة: ضحى مازن لبابيدي

إشراف: الدكتورة منى العسَّة

العام الدراسي ١٤٣٧هـ / ٢٠١٦م.

تمت مناقشة الرسالة يوم الخميس الموافق لـ ١٩/شعبان/١٤٣٧هـ، الواقع
في ٢٦/٥/٢٠١٦م.

من قبل السادة الأساتذة:

د. منى العسة (مشرفة)

د. هند سحلول

د. عدنان خضر



إهداء

إلى من رباني صغيراً، وزرعا في نفسي الأمل والطموح، إلى من مهّدا لي طريق النجاح وخفّفا عني أعباء الحياة، إلى من تآقت نفسيهما لهذا اليوم.

والديّ الحبيين

إلى من سبقت رؤيتها هذا الإنجاز وأخذت بيدي في بداية تحصيلي الجامعي.

جدتي الحبيبة

إلى من تعجزُ الكلماتُ عن أداءِ أقل الشكر والوفاء لها.

مربيّتي الغالية

إلى من وقف بجانبني وقاسمني العناء، فكان له الأثر الأكبر في مساندتي وتشجيعي لإنجاز هذا العمل، زوجي ورفيق دربي.

رامي الصباغ

إلى ريحانة قلبي وفلذة كبدي الذي انشغلت عنه كثيراً صغيري.

يمان

إلى كل من نورّ الله بصيرته؛ فحمل لواء الدعوة إلى الله.

إلى كل من التمس طريقاً يبتغي فيه علماً.

إلى هؤلاء جميعاً، أهدي هذا العمل المتواضع.

شكر وتقدير

امثالاً لقوله تعالى: ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم: ٧]، وقول المصطفى ﷺ: «من صَنَعَ إليكم معروفًا فكافئوه، فإن لم تجدوا ما تُكافئوه فادعوا له حتى تروا أنكم قد كافأتموه»^(١)، فإني أشكرُ الله من قبل ومن بعد على ما وفق وأعان ويسرّ وتمّم، ثم أرفعُ خالص تقديري لأستاذتي الفاضلة:

الدكتورة مَنى العسّة

التي رَعَت هذا البحث مُذْ كان مُجرّد فكرة، وكان لتوجيهاتها السّديدة وملاحظاتِها القيّمة أثراً ملموساً على مباحثِ هذه الرّسالة، فجزاها الله خيراً، وأطال في عمرها في العمل الصّالح والعلم النّافع. إنه ولي ذلك والقادر عليه.

كما أتوجّه بالشُّكر والامتنان لأعضاء لجنة المناقشة، مُقدِّرةً لهم ما سيُنْفِقونه من وقتٍ وجُهدٍ في تقويمِ هذه الرّسالة وتقييمها، وما سيتفضلون به من توجيهٍ وإرشادٍ سيكون محلّ عِنايتي بإذن الله.

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

(١) سنن أبي داود، في أبواب النوم، باب في الرجل يستعيز من الرجل ٣٢٨/٤ (٥١٠٩)، سنن النسائي، في الزكاة، باب من سأل بالله عز وجل ٨٢/٥ (٢٥٦٧).

المقدمة

الحمد لله ربّ العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد خير المرسلين، وعلى آله وأصحابه الغر الميامين، ومن اتّبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين.

وبعد:

فكان الشّعْر ومازال من أروع الآداب التي امتلكتها الحضارات الإنسانية على مر التاريخ، وقلّما خلت حضارةٌ من شكلٍ من أشكال التعبير الشّعري.

وقد تميّز العربُ من بين جميع الأمم بولعهم بالشّعْر، حتى إنّه كان مرآةً صادقةً تعكسُ صورة حياتهم بكل تفاصيلها، فبرعوا في فنونه، وضمّنوه تفاصيلَ معيشتهم، ومحتوى بيئتهم وخلّدوا به مآثرهم وأيامهم، وعَبَّروا به عن مكنوناتِ صُدُورهم، وكان أداة خطابهم واعتزازهم، وسلاحهم الذي أشهروه في وجه خصومهم.

قال أبو هلال العسكري^(١): «لا تُعرَفُ أنسابُ العرب وتواريخها وأيامها ووقائعها إلا من جُملة أشعارها، فالشّعْر ديوان العرب، وخزانة حكمتها، ومستنبطُ آدابها ومستودعُ علومها.»^(٢)

(١) أبو هلال العسكري: الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد ابن يحيى بن مهران اللغوي الأديب، له شعر وله عدّة مصنفات أدبية، مثل: (الصناعتين) و(جمهرة الأمثال) و(ديوان المعاني) وغيرها. توفي بعد سنة ٣٩٥هـ. انظر: معجم الأدباء ٩١٨، ٩٢١/٢، خزانة الأدب ٢٣٠/١، الأعلام ١٩٥/٢-١٩٦.

(٢) الصناعتين ص ١٣٨.

لم يفقد الشعرُ العربي دورهَ بظهور الإسلام، ونزول الوحي المعجز على النبي ﷺ، بل وجههُ الشَّارع توجَّيهاً يتناسب مع طبيعة المرحلة الجديدة، ويتمشى مع روح الإسلام وتعاليمه، ونجدُ مصداق ذلك في المواقف التي وقفها الرسول ﷺ وصحابته الكرام رضي الله عنهم أجمعين، تُجَاه هذه الوسيلة الإعلامية المهمَّة.

وانطلاقاً من أهمية الشعر ودوره المتميِّز في الحياة الإسلامية، ورغبةً في تسليط الضوء على الجانب الشعري في مرحلة العصر النبوي، عمَدْتُ إلى إعداد هذه الدراسة بعنوان (الشعر في السنة النبوية).

❖ أسباب اختيار البحث:

١. وجود تصورات خاطئة شاعت عن تبني القرآن والسُّنة لموقف عدائي من الشعر والشُّعراء.
٢. ورود جملة من أحاديث الشعر تتعارض في ظاهرها مع بعضها، وتحتاج إلى توفيق بينها.

❖ أهداف البحث:

١. بيان الدور الهام الذي لعبه الشعر في حياة العرب عموماً والمسلمين خصوصاً.
٢. التأصيل العلمي لنظرة الإسلام للشعر، واستجلاء هذه النظرة من خلال المواقف التي نقلتها لنا السُّنة النبوية الشريفة.
٣. التصدي لأحاديث الشعر الواردة في كتب السُّنة.
٤. بيان موقف النبي ﷺ من الشعر، من خلال بيان موقعه من كلامه وموقفه من قوله.

٥. بيان أثر تعاليم الإسلام في الأغراض الشرعية، وكيفية تطويع هذه الأغراض لخدمة قضايا الدعوة والأمة والمجتمع الإسلامي.

❖ منهج البحث:

اتبعت في هذه الدراسة المنهج الاستقرائي: حيث قُمتُ باستقراء الأحاديث التي وردَ فيها ذكر الشعر أو الشعراء. كما اتبعت المنهج التحليلي: حيث قمت بتحليل هذه الأحاديث ودراساتها.

فكان منهجي استقرائياً تحليلياً.

❖ أما صناعتي في البحث فكانت على النحو الآتي:

١. ذكرتُ الآيات بالرَّسم العثماني، وجعلتها ضمن قوسين مزهرين ﴿﴾، وعزوتها في المتن ووضعتها بين معكوفتين: [].
٢. وكان منهجي في ذكر الأحاديث كالآتي:

- جمعتُ الأحاديث النبوية المتَّصلة بموضوع الشعر من مظانِّها في كتب المتنون، واقتصرْتُ على فترة العصر النبوي؛ بذكر الأحاديث التي اتصلت بالشعر والشُعراء أثناء حياة النبي ﷺ، من خلال ورودها عنه أو إقراره لها.

- أوردتُ أحاديثَ من كتب السير والمغازي والتفسير بالمأثور التي أسندت الأحاديث، ورُبَّما أوردتُ في بعض المواضع بعض الأحاديث غير المسندة من باب الاستئناس لا الاستدلال.

- صَنَّفْتُ الأحاديث التي تَمَّ جمعها ضمن الفصول والمباحث والمطالب تصنيفاً موضوعياً، مع تكرار بعض الأحاديث عند الحاجة إلى ذلك.

- أوردت الأحاديث كاملةً، إلا إذا كان الحديث طويلاً فأكتفي بذكر موضع الشاهد مع الإشارة إلى ذلك في الحاشية.

- اعتمدت على الأحاديث المقبولة وغير شديدة الضعف مما يصلح للاستشهاد والاحتجاج به، أما الأحاديث شديدة الضعف فأوردتها استثناساً أو من باب بيان ضعفها وعدم جواز الاحتجاج بها.

٣. خرّجتُ الأحاديث النبوية من مصادرها تبعاً للمنهجية الآتية:

- ما كان في الصحيحين أو أحدهما، اكتفيتُ بالتخريج منهما، أو من أحدهما مع التوثيق بذكر الكتاب والباب والجزء والصحيفة ورقم الحديث.

- وإن لم أجد الحديث في البخاري ومسلم أو أحدهما، خرّجته من بقية الكتب الستة، فإن لم أجده خرّجته من بقية الكتب التسعة، ويكون التخريج، بذكر الكتاب والباب والجزء والصحيفة ورقم الحديث، فإن لم أجد إلا في بعضها اكتفيت بما ورد فيها.

- فإن لم أجد خرّجته من باقي كتب المتون مع ذكر الجزء والصحيفة فقط.

- عند تكرار تخريج الحديث النبوي في مكان آخر ضمن البحث أقول: سبق تخريجه، مع ذكر الصحيفة التي ورد تخريجه فيها.

٤. أما منهجية الحكم على الأحاديث فهي كالآتي:

- إذا كان الحديث في الصحيحين أو أحدهما اكتفيتُ بحكمهما.

- أما إذا كان في غير الصحيحين، فبيّنتُ أقوال العلماء فيه إن وجدت، وإن لم أجد للعلماء أقوالاً فيه، فأكتفي بالنقل عن علماء الجرح والتعديل، والمحققين من أهل العلم.

٥. قمتُ بإثبات الأبيات الشعريّة حسب ماوردت في الأحاديث النبوية، وإن اختلفت مع الرواية الواردة في الديوان الأصلي للشاعر.

٦. ترجمتُ للأعلام الذين ورد ذكرهم في البحث، كُلُّ منهم في الصحيفة التي ورد اسمه فيها لأول مرة، وكانت منهجيتي في الترجمة على النحو الآتي:

- استثنيت من الترجمة الصحابة رضي الله عنهم، وأئمة المذاهب الأربعة، وأصحاب الكتب التسعة.

- ترجمت لجميع الشعراء الذين وردت أسماءهم في البحث حتى الصحابة منهم - باستثناء الخلفاء الراشدين -.

٧. استعنتُ بأقوال العلماء في شرح الأحاديث، وبيان الفوائد والأحكام الفقهية المتعلقة بالموضوع.

٨. عرّفت بالبلدان والأماكن الغريبة، وذلك بالرجوع إلى الكتب ذات الشأن.

٩. وضّحتُ الكلمات أو الألفاظ الغريبة، وذلك بالرجوع إلى معاجم اللغة وكتب الغريب.

١٠. وثقت المراجع -غير الكتب التسعة- في الحاشية بذكر اسم الكتاب أو ما اشتهر به، مع ذكر الجزء والصحيفة، أما بطاقة الكتاب كاملاً فأذكرها في قائمة المصادر والمراجع.

١١. اتّبعْتُ الترتيب الزمني في ترتيب الحواشي وفق الأقدم، إلا إذا كانت كتب الفقه فالترتيب المذهبي، الحنفي - المالكي - الشافعي - الحنبلي، ثم الزمني بين كُتب المذهب الواحد.

١٢. عندما أنقل المعلومة نقلاً حرفياً أضعها بين قوسين مزدوجين « » وأحيل في الحاشية للكتاب دون كلمة "انظر"، وعندما تكون المعلومة مع تغيير في الصياغة أو جمعاً من عدة كتب، أقول في الحاشية "انظر"، مع ذكر جميع المراجع في حال تعددها.

١٣. كتبتُ خاتمةً تضمّنت أهم النتائج والتوصيات.

١٤. أما الفهارس:

- فقد ذكرتُ فهرساً للآيات القرآنية مُرتبةً حسب ترتيب المصحف الشريف، كما ذكرتُ فهرساً لكل من الأحاديث القولية، والفعلية، وللآثار، أوردتُ فيه طرف الحديث مع الراوي ورقم صحيفة ورود الحديث. وذكرتُ فهرساً للآيات الشعرية مرتبةً ترتيباً ألفبائياً بحسب القافية، مع ذكر القائل. وذكرتُ فهرساً للأعلام رتبتُ فيه الأعلام المترجم لهم ترتيباً ألفبائياً. ثم ذكرتُ فهرساً للمصادر والمراجع رتبته ألفبائياً، وأخيراً فهرساً للموضوعات.

❖ الدراسات السابقة:

■ أشارت بعض الكتب إلى بعض جوانب هذا البحث: كجزء أحاديث الشعر لمؤلفه عبد الغني المقدسي، وكتاب الإسلام والشعر للدكتور سامي مكّي العاني، وكتاب الشعر في الصحيحين لعبد الله أبو داهش وغيرها. إلا أنها لم تكن مؤلفات أكاديمية.

■ لم تقف الباحثة على دراسة علمية أكاديمية سابقة اعتنت بهذا الموضوع من الناحية الحديثة، إذ أنّ غاية ما وجدت كان دراسات أدبية بحتة منها:

- رسالة ماجستير في الأدب، قُدِّمت في جامعة أبي بكر بلقايد، في تلمسان في الجمهورية الجزائرية، بعنوان: المراثي النبوية في صدر الإسلام. من إعداد الطالب: أحمد حاجي. بإشراف الدكتور محمد زمري عام ٢٠٠٢م.

وهي دراسة أدبية غير مُتخصّصة بالسُّنة النبوية، وإن كان الباحث قد تعرّضَ لموقف الإسلام من الشعر بشكل عام في التمهيد لرسالته، وتعرّضَ كذلك لذكر الأغراض الشعرية وعوامل الإبداع في صدر الإسلام، إلا أنه ركّز في دراسته للأغراض على النواحي الأدبية واللغوية، ولم يتقيّد بذكر الأمثلة من خلال الأحاديث المسندة، بل كان غالباً ما يسوق الأمثلة من كتب الأدب، ويستشهد بها دون تخريجها أو دراستها. بالإضافة إلى أنّ الباحث لم يدرس الضوابط الشرعية للأغراض الشعرية، بل اكتفى بدراسة التغيّر اللغوي والفني الذي طرأ على هذه الأغراض في مرحلة صدر الإسلام.

- رسالة ماجستير في الأدب قُدِّمت في جامعة مؤتة، في المملكة الأردنية الهاشمية، بعنوان: دعوى ضعف الشعر في عصر صدر الإسلام عند القدامى والمحدثين.

للتأليف: عبد الله بن علي بن محمد القدادي الزهراني، بإشراف: د. جهاد المجالي، عام ٢٠٠٧ م.

والرسالة المذكورة كانت دراسة أدبية غير مُتَخَصِّصَة بالسُّنَّة النبوية، وقد اكتفى فيها الباحث بالتَّعَرُّض لموقف الإسلام من الشعر بشكل عام في أحد فصول دراسته، واكتفى بالاستدلال ببعض الأحاديث التي ذكرها دون تخرُّجٍ كامل أو دراسة.

بخلاف هذا البحث، الذي جمعتُ فيه الأحاديث النبوية المسندة في موضوع الشُّعر، ودَرسَته دراسةً حديثية تعرَّضت فيها لأقوال العلماء في السُّنَد والمُتَن. كما اهتمتُ في هذا البحث بقضية قول النبي ﷺ الشُّعر، ووضحت الفرق بين إنشائه وتمثله به.

كما اعتنيتُ بتصنيف الأشعار الواردة في الأحاديث النبوية تحت الأغراض المناسبة لها، واستخلصت الضوابط الشرعية التي ضبطت الشعر في الإسلام ثم بينت أثرها في أغراض الشعر العربي.

خطة البحث

قَسَمْتُ البحثُ إلى ثلاثة فصول على النحو الآتي:

✓ **الفصل الأول: الشُّعر في السُّنَّة النبوية بين المدح والذم:**
ويتضمن ثلاثة مباحث:

➤ **المبحث الأول: الأحاديث الواردة في مدح الشُّعر.**

- **المطلب الأول: ثناء النبي ﷺ على الشُّعر.**
- **المطلب الثاني: استنشاد النبي ﷺ للشُّعر.**

- المطلب الثالث: حثُّ النبي ﷺ شعراء الصحابة على قول الشعر.
- المطلب الرابع: استماع النبي ﷺ للشعر.

➤ المبحث الثاني: الأحاديث الواردة في ذم الشعر.

- المطلب الأول: الأحاديث الواردة في ذم الشعر بمجمله.
- المطلب الثاني: الأحاديث الواردة في ذم نوع من الشعر.
- المطلب الثالث: الأحاديث الواردة في ذم الشعراء.

➤ المبحث الثالث: أقوال العلماء في حكم الشعر بناءً على الأحاديث الواردة فيه.

- المطلب الأول: القول بالكراهة.
- المطلب الثاني: القول بالإباحة.
- المطلب الثالث: التوفيق بين القولين.

✓ الفصل الثاني: قول النبي ﷺ الشعر.

ويتضمن مبحثين:

➤ المبحث الأول: إنشاء النبي ﷺ الشعر.

- المطلب الأول: تنزيه النبي ﷺ عن إنشاء الشعر.
- المطلب الثاني: ما جرى على لسان النبي ﷺ مما يوافق أوزان الشعر.

➤ المبحث الثاني: تمثُّل وإنشاد النبي ﷺ للشعر.

- المطلب الأول: ما تمثله ﷺ مما قاله شعراء الجاهلية.

- المطلب الثاني: ما تمثله ﷺ مما قاله شعراء الإسلام.

✓ الفصل الثالث: الأغراض الشعرية في ظلّ السُّنة النبوية. ويتضمن خمسة مباحث:

➤ المبحث الأول: المدح في السُّنة النبوية.

- المطلب الأول: تعريف المدح وأهميته في شعر الجاهلية.
- المطلب الثاني: ضوابط المدح في السُّنة النبوية.
- المطلب الثالث: شعر المدح في عصر النبوة.

➤ المبحث الثاني: الهجاء في السُّنة النبوية.

- المطلب الأول: تعريف الهجاء وأقسامه.
- المطلب الثاني: دور شعر الهجاء في الجاهلية.
- المطلب الثالث: ضوابط الهجاء في السُّنة النبوية.

➤ المبحث الثالث: الغزل في السُّنة النبوية.

- المطلب الأول: تعريف الغزل، والفرق بينه وبين النَّسيب والتَّشبيب.
- المطلب الثاني: المقدمة الغزلية بين الجاهلية والإسلام.
- المطلب الثالث: ضوابط الغزل في السُّنة النبوية.

➤ المبحث الرابع: الرِّثاء في السُّنة النبوية.

- المطلب الأول: تعريف الرِّثاء لغةً واصطلاحاً.
- المطلب الثاني: استعمالات شعر الرِّثاء في الجاهلية.
- المطلب الثالث: ضوابط الرِّثاء في السُّنة النبوية.

➤ المبحث الخامس: أغراض شعرية أخرى في السُّنة النبوية.

- المطلب الأول: شعر الفخر والحماسة في السُّنة النبوية.
- المطلب الثاني: شعر الحكمة في السُّنة النبوية.
- المطلب الثالث: شعر الشكوى في السُّنة النبوية.
- المطلب الرابع: شعر الاعتذار في السُّنة النبوية.

✓ الخاتمة: وتتضمن أهم النتائج والتوصيات.

الفصل الأول

الشَّعر في السُّنة النبوية بين المدح والذم

ويتضمَّن ثلاثة مباحث:

- المبحث الأول: الأحاديث الواردة في مدح الشَّعر.
- المبحث الثاني: الأحاديث الواردة في ذم الشَّعر.
- المبحث الثالث: أقوال العلماء في حُكم الشَّعر بناءً على الأحاديث الواردة فيه.

الفصل الأول

الشعر في السنة النبوية بين المدح والذم.

كَانَ ظُهُورُ الْإِسْلَامِ فِي جَزِيرَةِ الْعَرَبِ حَدَثًا مُدَوِّيًّا أَصَابَ صَمِيمَ الْحَيَاةِ، فَبَدَّلَ الْعَادَاتِ وَالْمَعْتَقَدَاتِ، وَقَدْ كَانَ لِلنَّبِيِّ ﷺ مَوْقِفٌ جَلِيٌّ مِنَ الشَّعْرِ الْعَرَبِيِّ الَّذِي كَانَ الْفَنُّ الْأَوَّلُ، وَصَاحِبُ الْأَثَرِ الْأَكْبَرِ آنَ ذَاكَ، وَلَأنَّهُ ﷺ لَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى، إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى، فَهُوَ بِمَا صَدَرَ عَنْهُ مِنَ الْآثَارِ وَمِمَّا جَرَى بَيْنَهُ وَبَيْنَ الشُّعْرَاءِ مِنْ مَوَاقِفَ، يُجَسِّدُ لَنَا حَقِيقَةَ مَوْقِفِ الْإِسْلَامِ مِنَ الشَّعْرِ.

وَبِالِاسْتِقْرَاءِ وَالْبَحْثِ وَجَدْتُ الْبَاحِثَةَ أَنَّ الْأَحَادِيثَ النَّبَوِيَّةَ وَرَدَتْ عَلَى قَسَمَيْنِ أُولَهُمَا: مَدْحُ الشَّعْرِ، وَثَانِيَهُمَا: ذَمُّ الشَّعْرِ، فَلَا بُدَّ هُنَا مِنْ إيرادِ الْأَحَادِيثِ بِنَوْعِهَا حَتَّى يَتَيَّنَ مَوْقِفُ السُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ مِنَ الشَّعْرِ، وَيَتَوَضَّحَ الْقَوْلُ الرَّاجِحُ فِي الْأَمْرِ.

المبحث الأول الأحاديث الواردة في مدح الشّعر.

وفيه أربعة مطالب:

- المطلب الأول: ثناء النبي ﷺ على الشّعر.
- المطلب الثاني: استنشاد النبي ﷺ للشّعر.
- المطلب الثالث: حثُّ النبي ﷺ شعراء الصحابة على قول الشّعر.
- المطلب الرابع: استماع النبي ﷺ للشّعر.

➤ المبحث الأول: الأحاديث الواردة في مدح الشعر.

لقد وَرَدَ على لِسَانِ النَّبِيِّ ﷺ وصَحَابَتِهِ الْكَرَامِ ﷺ أَحَادِيثٌ فِي مَدْحِ الشَّعْرِ، فَتَارَةً يَرُدُّ فِي مَدْحِ الْمَعَانِي الَّتِي حَمَلَتْهَا كَلِمَاتُ الشَّعْرِ، وَتَارَةً فِي مَدْحِ قَائِلِهَا، وَالْأَحَادِيثُ الْوَارِدَةُ فِي مَدْحِ الشَّعْرِ كَثِيرَةٌ، وَمِنْ الْمُمْكِنِ تَصْنِيفُهَا ضَمْنَ أَرْبَعَةِ مَطَالِبٍ تَوْضِّحُ الْأَسْبَابَ وَالْأَحْوَالَ الَّتِي دَعَتْ النَّبِيَّ ﷺ إِلَى مَدْحِ الشَّعْرِ وَقَبُولِهِ.

• المطلب الأول: ثناء النبي ﷺ على الشعر.

أَثْنَى النَّبِيُّ ﷺ عَلَى بَعْضِ الشَّعْرِ الَّذِي يَحْمِلُ مَعَانِيَ جَلِيلَةً، وَمُضَامِينَ نَافِعَةً، فَجَعَلَ بَعْضَ الشَّعْرِ جُزْءًا مِنَ الْحِكْمَةِ، فَقَدْ رَوَى أَبُو بَنْ كَعْبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ مِنَ الشَّعْرِ حِكْمَةً»^(١)

وَكَانَ ﷺ يَسْتَقْبِلُ شُعْرَاءَ الْقَبَائِلِ وَخُطَبَاءَهُمْ، وَيَسْتَمِعُ لِلشَّعْرِ الْحَسَنِ الَّذِي تُنْظَمُ مِنَ الْمَوَاعِظِ وَالْأَمْثَالِ الَّتِي تَنْفَعُ النَّاسَ، وَتَنْهَى عَنِ السَّفْهِ وَالْجَهْلِ، فَيَعْبُرُ ﷺ عَنْ إِعْجَابِهِ بِالْكَلِمَةِ الطَّيِّبَةِ.

وَمِنْ ذَلِكَ مَا رَوَاهُ عَنْهُ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: جَاءَ أَعْرَابِيٌّ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَجَعَلَ يَتَكَلَّمُ بِكَلَامٍ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ مِنَ الْبَيَانِ سِحْرًا وَإِنَّ مِنَ الشَّعْرِ حُكْمًا»^(٢).

(١) صحيح البخاري، في الأدب، باب ما يجوز من الشعر والرجز والحداء وما يُكره منه، ٣٤/٨ (٦١٤٥).

(٢) حُكْمًا: بمعنى الحِكمة ومنه قوله تعالى: ﴿وَعَاثَيْنَاهُ الْخُكْمَ صَبِيحًا﴾ [مریم: ١٢]، أي الكلام النافع في المواعظ وذم الدنيا والتحذير من غرورها. انظر: تحفة الأحوذى ١٣٦/٨.

(٣) سنن أبي داود، في الأدب، باب ما جاء في الشعر، ٣٠٣/٤ (٥٠١١)، وسنن الترمذي في أبواب الأدب، باب ما جاء إن من الشعر حكمة، ١٣٥/٨ (٢٨٤٥)، وقال الترمذي: «هذا حديث حسن»، وأخرجه ابن ماجه في الأدب، باب الشعر، ١٢٣٦/٢ (٣٧٥٦). وقال العيني: «إسناده صحيح ورجاله ثقات» نخب الأفكار ٣٨/١٤.

قال أبو بكر بن دريد^(١): «كلُّ كَلِمَةٍ وعظمتك أو زجرتك أو دعتك إلى مكرمةٍ أو نَهتكَ عن قبيحٍ فهي حِكْمَةٌ وحُكْمٌ»^(٢).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «أَصْدَقُ بَيْتٍ قاله الشَّاعِرُ: أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مَا خَلَا اللهَ باطِلٌ»^(٣)^(٤).

وإنما وصفه بأنه أَصْدَقُ بَيْتٍ؛ لِمُوافَقته لأَصْدَقَ الكلامِ، وهو قوله تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيهَا فَإِنْ﴾ [الرحمن: ٢٦].

ومن الذي استحسنه النبي ﷺ وأثنى عليه من الشعر، ما امتدحه به عمُّه العباس^(٥) بعد غزوة تبوك، فعن خُريم بن أوس بن حارثة رضي الله عنه أنه قال: هاجرتُ إلى رسول الله ﷺ بالمدينة مُنْصَرَفُهُ من تبوك فأسلمتُ، فسمعتُ العباس بن عبد المطلب رضوان الله عليه، يقول:

(١) أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد بن عتاهية، الأزدي البصري الشَّيْخُ الشاعر، تنقل في فارس وجزائر البحر يطلب الآداب ولسان العرب، ففارق أهل زمانه فكان رأس أهل العلم، مُتَقَدِّمًا في حفظ اللغة والأنساب وأشعار العرب، حتى قيلَ عنه: أعلمُ الشُّعراء، وأشعرُ العلماء، سكن بغداد، وكان أبوه رئيسًا متمولًا. توفي في سنة ٣٢١هـ، وله ٩٨ سنة. انظر: معجم الشُّعراء ٤٦١/١، وفيات الأعيان ٣٢٣/٤، سير أعلام النبلاء ٩٦/١٥.

(٢) جمهرة اللغة ٥٦٤/١.

(٣) باطل: الفاني المُضْمَحَلُّ. شرح صحيح مسلم للنووي ١٢/١٥.

(٤) صحيح البخاري في الرقاق، باب الجنة أقربُ إلى أحديكم من شِراك نعله والنارُ مثل ذلك ١٠٢/٨ (٦٤٨٩)، صحيح مسلم، في أوائل كتاب الشعر، ١٧٦٨/٤ (٢٢٥٦). وفي روايةٍ عند البخاري في فضائل الصحابة بلفظ: (أَصْدَقُ كَلِمَةٍ) ٤٢/٥ (٣٨٤١).

(٥) العباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب، عمُّ النبي ﷺ، أمُّه ثُثَيْلَةُ بنت جناب بن كليب، ولد قبل عام الفيل بثلاث سنين، وكانَ أَسَرَّ من رسول الله ﷺ، شهد قبل أن يُسَلَّمَ مع النبي ﷺ بيعة العقبة ليشدد له العقد، قاتل في بدر إلى جانب قريش فأُسرَ وفدى نفسه. قيلَ أنه أسلم قبل عام الفتح بقليل، وقيل أنه أسلم وبقي بمكة. كان النبي ﷺ يُحِبُّه ويكرمه. توفي في خلافة عثمان بن عفان سنة ٣٢هـ وعمره ٨٨ عام. انظر: الطبقات الكبرى ٣، ١٣/٤، معرفة الصحابة لأبي نعيم ٢١٢٠/٤.

يا رسول الله، إني أريد أن أمتدحك، فقال: «قُلْ، لا يَفْضُضُ اللهُ فَاكَ»، فقال العباسُ:

[بحر المنسرح]

مِنْ قَبْلِهَا طَبَّتْ فِي الظَّلَالِ^(١) وَفِي مُسْتَوْدَعٍ^(٢) حَيْثُ يُخَصَفُ الْوَرَقُ^(٣)

ثُمَّ هَبَطَتْ الْبِلَادَ لَا بَشَرٌ أَنْتَ وَلَا مُضْغَةٌ وَلَا عَلَقٌ^(٤)

بَلْ نُطْقَةٌ تَرْكَبُ السَّفِينَ وَقَدْ الْجُحْمَ نَسْرًا^(٥) وَأَهْلَهُ الْعَرَقُ

تُنْقَلُ مِنْ صَالِبٍ^(٦) إِلَى رَحِمٍ إِذَا مَضَى عَالَمٌ بَدَا طَبَقٌ^(٧)

(١) فِي الظَّلَالِ: أَرَادَ ظِلَالِ الْجَنَّةِ، أَيْ كُنْتُ طَيِّبًا فِي صُلْبِ آدَمَ، حَيْثُ كَانَ فِي الْجَنَّةِ. وَقَوْلُهُ «مِنْ قَبْلِهَا»، أَيْ مِنْ قَبْلِ نَزُولِكَ إِلَى الْأَرْضِ، فَكُنْتُ عَنْهَا وَلَمْ يَتَقَدَّمَ لَهَا ذَكَرٌ، لِبَيَانِ الْمَعْنَى. النِّهَايَةُ ١٦٠/٣.

(٢) مُسْتَوْدَعٌ: هُوَ الْمَكَانُ الَّذِي تَجْعَلُ فِيهِ الْوَدِيعَةَ وَتُحْفَظُ، وَأَرَادَ بِهِ الْمَوْضِعَ الَّذِي كَانَ بِهِ آدَمُ وَحَوَاءُ مِنَ الْجَنَّةِ. وَقِيلَ: أَرَادَ بِهِ الرَّحِمَ. النِّهَايَةُ ١٦٨/٥.

(٣) حَيْثُ يُخَصَفُ الْوَرَقُ: أَيْ فِي الْجَنَّةِ، حَيْثُ خَصَفَ آدَمُ وَحَوَاءُ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ. النِّهَايَةُ ٣٨/٢.

(٤) الْمَعْنَى: أَيْ لَمَّا أَهْبَطَ اللهُ آدَمَ إِلَى الدُّنْيَا كُنْتُ فِي صُلْبِهِ، غَيْرَ بَالِغٍ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ. النِّهَايَةُ ٢٣٩/٥.

(٥) نَسْرًا: يُرِيدُ الصَّنَمَ الَّذِي كَانَ يَعْبُدُهُ قَوْمُ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ. وَهُوَ الْمَذْكُورُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾ [نوح ٢٣]. النِّهَايَةُ ٤٧/٥.

(٦) الصَّالِبُ: هُوَ الصُّلْبُ. النِّهَايَةُ ٤٥/٣.

(٧) الْمَعْنَى: إِذَا مَضَى قَرْنٌ بَدَأَ قَرْنٌ، وَقِيلَ لِلْقَرْنِ: طَبَقٌ، لِأَنَّهُمْ طَبَقُوا لِلْأَرْضِ، ثُمَّ يَنْقَرِضُونَ وَيَأْتِي طَبَقٌ آخَرٌ. النِّهَايَةُ ١١٣/٣.

حَتَّىٰ اخْتَوَىٰ بَيْتَكَ الْمُهِيمِينَ^(١) مِنْ خَنْدِفَ^(٢) عَلِيَاءَ^(٣) تَحْتَهَا النُّطُقُ^(٤)
وَأَنْتَ لَمَّا وُلِدْتَ أَشْرَقْتَ الْأَرْضُ الضَّيَاءِ وَسُبُلِ الرَّشَادِ خُتِرَ^(٥)
فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «لَا يَفْضُضُ اللَّهُ فَاكَ»^(٦).

ففي الحديث دلالة على استحسان النبي ﷺ لأبيات عمه العباس، فنراه حين استأذنه ﷺ بأن يمدحه لم يمنعه رسول الله ﷺ، ولا نراه، بل دعا له بقوله: «لَا يَفْضُضُ اللَّهُ فَاكَ»، وهذا دعاء بمعنى: سلّم الله فاك من كل خلل، وصانه من كل عيب^(٧).

كما وضّح لهم النبي ﷺ أثر الشعر كسلاح يُرمى به أعداء الدين، فعبر عن مدى تأثير هجاء شعراء المسلمين بالمشرّكين بقوله: «فَلَهِيَ أَسْرَعُ فِيهِمْ مِنْ نَضْحِ النَّبْلِ»^(٨).

(١) بيتك المهيمين: أراد بيته شرفه العالي، والمهيمين نعته، أي: شرفك الشاهد على فضلك. النهاية ١٧٠/١، لسان العرب، مادة (بيت) ١٥/٢.

(٢) خندف: من الخندفة، وهو في الأصل المشي بهرولة، ثم جعل علماً على امرأة إلياس بن مضر، وهي (ليلى القضاية)، لما خرجت تهرول خلف بنيتها الثلاثة حين شردت لهم إبل فطلبوها فأبطأوا على أمهم، فخندفت في أثرهم أي أسرع، فسميت خندف. إثم ذهب لها اسماً ولولدها نسباً وسميت بها القبيلة، وصار مثلاً للنسب العالي في كل شيء. انظر: لسان العرب، مادة (خنف) ٩٨/٩، شرح المواهب اللدنية ١٠٧/٤.

(٣) علياء: اسم للمكان المرتفع كالبقاع. النهاية ٢٩٥/٣.

(٤) النطق: جمع نطاق، وهي أعراض من جبال، بعضها فوق بعض: أي نواح وأوساط منها، شبهت بالنطق التي يشد بها أوساط الناس، ضربه مثلاً له؛ في ارتفاعه وتوسطه في عشيرته، وجعلهم تحته بمنزلة أوساط الجبال. والمراد بالبيت: أي حتى اختوى شرفك الشاهد على فضلك أعلى مكان من نسب خندف. النهاية ٧٥/٥، لسان العرب، مادة (نطق) ٣٥٦/١٠.

(٥) المعنى: فنحن الآن نختدي بك يا رسول الله إلى ما فيه السعادة الأبدية بما أفضته علينا. انظر: شرح المواهب اللدنية ١٠٥/٤.

(٦) المعجم الكبير للطبراني ٢١٣/٤، المستدرک على الصحيحين ٣٦٩/٣ وقال الحاكم: «هذا حديث تفرد به رواه الأعراب عن آبائهم، وأمثالهم من الرواة لا يضعون»، وتعقبه الذهبي فقال: «لكنهم لا يعرفون» سير أعلام النبلاء ١٠٣/٢، وقال الهيثمي: «رواه الطبراني وفيه من لم أعرفهم»، مجمع الزوائد ٢١٨/٨، والحديث في دلائل النبوة للبيهقي ٢٦٨/٥ واللفظ المذكور له.

(٧) انظر: شرح المواهب اللدنية ١٠٤/٤.

(٨) نضح: الرمي بالسهم. النهاية ٧٠/٥. والنبل: هي السهام العربية. النهاية ١٠/٥.

فقد روى الترمذي في مناسبة هذا الحديث، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ دَخَلَ مَكَّةَ فِي عُمْرَةِ الْقَضَاءِ
وعبد الله بن رواحة^(١) بَيْنَ يَدَيْهِ يَمْشِي وَهُوَ يَقُولُ:

[بِحَرِّ الرَّجَزِ]

خَلُّوا بَنِي الْكُفَّارِ عَنْ سَبِيلِهِ الْيَوْمَ نَضْرِبُكُمْ^(٢) عَلَى تَنْزِيلِهِ
ضَرْبًا يُزِيلُ الْهَامَ^(٣) عَنْ مَقِيلِهِ^(٤) وَيُذْهِلُ^(٥) الْخَلِيلَ^(٦) عَنْ خَلِيلِهِ

فقال له عمرُ رضي الله عنه: يا ابن رواحة! بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَفِي حَرَمِ اللَّهِ تَقُولُ الشَّعْرُ؟!
فقال له النبي ﷺ: «خَلَّ عَنْهُ يَا عُمَرُ، فَلَهَايَ أَسْرَعُ فِيهِمْ مِنْ نَضْحِ النَّبْلِ»^(٧).

● المطلب الثاني: استنشاد النبي ﷺ الشعر.

(١) عبد الله بن رواحة بن ثعلبة بن امرئ القيس الأنصاري الخزرجي، يكنى أبا محمد، وهو أحد شعراء النبي ﷺ الذين كانوا يردون الأذى عنه، ومن النقباء، شهد المشاهد كلها إلا الفتح وما بعده، قُتِلَ شهيداً يوم مؤتة سنة ثمانٍ للهجرة، وكان أحد أمراء الجيش الثلاثة. انظر: طبقات فحول الشعراء ٢٢٣/١، الاستيعاب ٨٩٨/٣، أسد الغابة ٢٣٥/٣.

(٢) نَضْرِبُكُمْ: الباء ساكنة، وهي من جائزات الشعر، وموضعها الرفع. النهاية ١٣٤/٤.

(٣) الهام: جمع هامة وهي أعلى الرأس. النهاية ١٣٤/٤.

(٤) مَقِيلِهِ: موضعه، مُسْتَعَارٌ مِنْ مَوْضِعِ الْقَائِلَةِ. المرجع السابق.

(٥) يُذْهِلُ: أي يُنْسِي وَيُشْغِلُ، وفي القرآن: ﴿يَوْمَ نَرَوْهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ﴾ [الحج ٢]. لسان العرب، مادة (ذهل) ٢٥٩/١١.

(٦) الخليل: الصديق، من الخلة وهي المصادقة والمودة والإخاء. النهاية ٧٢/٢، لسان العرب، مادة (خلل) ٢١٧/١١.

(٧) سنن الترمذي، في أبواب الأدب، باب ما جاء في إنشاد الشعر، ١٣٩/٥ (٢٨٤٧). وقال الترمذي: «هذا حديثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ». وقال: «وروي في غير هذا الحديث: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ دَخَلَ مَكَّةَ فِي عُمْرَةِ الْقَضَاءِ وَكَعْبُ بْنُ مَالِكٍ بَيْنَ يَدَيْهِ. وَهَذَا أَصَحُّ عِنْدَ أَهْلِ الْحَدِيثِ، لِأَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ رَوَاحَةَ قَتَلَ يَوْمَ مُؤَتَةَ، وَإِنَّمَا كَانَتْ عُمْرَةُ الْقَضَاءِ بَعْدَ ذَلِكَ». وحديث أنس رضي الله عنه أخرجه النسائي في سننه في مناسك الحج، باب إنشاد الشعر في الحرم والمشى بين يدي الإمام، ٢٠٢/٥ (٢٨٧٣). وقد حَسَّنَ ابْنُ حَجَرٍ إِسْنَادَهُ فِي الْإِصَابَةِ ١٣٩/٥.

وردَ عن النبي ﷺ أنه كان يُحِبُّ سَمَاعَ الشَّعْرِ الحَسَنِ، بل يَطْلُبُ استماعه في بعض الأحيان، فعن الشَّريد بن سويد^(١) قال: كُنْتُ رَدَفَ النبي ﷺ، فقال لي: «هَلْ مَعَكَ مِنْ شَعْرِ أُمَيَّةَ بنِ أَبِي الصَّلْتِ^(٢) شَيْءٌ؟» قُلْتُ: نَعَمْ. قال: «هِيَ^(٣)»، فَأَنْشَدْتُهُ بَيْتًا، ثُمَّ قال: «هِيَ»، فَأَنْشَدْتُهُ بَيْتًا، فَلَمْ يَزَلْ يَقُولُ: «هِيَ»، وَأَنْشَدُهُ، حَتَّى أَنْشَدْتُهُ مِئَةَ بَيْتٍ^(٤). وفي روايةٍ أنه ﷺ قال: «إِنْ كَادَ فِي شَعْرِهِ لَيُسْلِمَ»^(٥).

فقد استحسَنَ النبي ﷺ شعر أُمَيَّةَ واستزاد من إنشاده؛ لما فيه من الإقرار بالوحدانية والبعث^(٦). وفي قوله ﷺ: «إِنْ كَادَ فِي شَعْرِهِ لَيُسْلِمَ»، أي أَنَّ أُمَيَّةَ بنَ أَبِي الصَّلْتِ قد قاربَ الإسلامَ بما حواه شِعْرُهُ من ذِكْرِ التَّوْحِيدِ والإيمان باليوم الآخر، إِلَّا أَنَّهُ لَمْ يُسْلِمَ.

(١) الشَّريد بن سويد الثقفي: ويقال إِنَّهُ حضرمي، وأن اسمه كان مالك، من بني قسح بن جذام بن الصدف، قَتَلَ قَتِيلًا من قومه فلحق بمكة، و حالف ثقيفًا. شهد بيعة الرضوان، ووفدَ على النبي ﷺ فسماه الشَّريد. روى أحاديث عن النبي ﷺ، وروى عنه ابنه أبوسلمة بن عبد الرحمن، وعمرو بن نافع الثقفي وابنه عمرو وغيرهم. قيل أنه عاش مائة وعشرين سنة. انظر: أسد الغابة ٦٢٩/٢، الإصابة ٢٧٥/٣-٢٧٦.

(٢) أُمَيَّة بن عبد الله أبي الصلت بن أبي ربيعة بن عوف الثقفي، شاعرٌ جاهلي حكيم، من أهل الطائف، قرأ الكتب المتقدمة من كتب الله عز وجل وحرَّم على نفسه الخمر ونبذ عبادة الأصنام، وكان يُخبر أن نبيًّا يُبعثُ قد أظل زمانه، أدركَ الإسلامَ لكنه لم يُسلم، قال الأصمعي: «ذهب أُمَيَّة في شعره بعامة ذكر الآخرة». الشعر والشُّعراء ٤٥٠/١، الأعلام ٢٢/٢-٢٣.

(٣) هِيَ: الهاءُ الأولى بَدَلُ من الهمزة، والأصل (إيه) و هذه كلمة تُراد بها الاستزادة، وهي مبنية على الكسر. النهاية ٨٧/١.

(٤) صحيح مسلم، في الشعر، ١٧٦٧/٤ (٢٢٥٥).

(٥) والحديث بهذه الزيادة في: الأدب لابن أبي شيبة ٣٤١/١، والآحاد والمثاني ٢١٣/٣، وفي المعجم الأوسط للطبراني ٤٧/٣، وفي السنن الكبرى للبيهقي ٣٨٣/١٠. وأصل هذه الزيادة في صحيح البخاري عن أبي هريرة بلفظ: «كَادَ أُمَيَّةُ بَنُ أَبِي الصَّلْتِ أَنْ يُسْلِمَ». صحيح البخاري، في فضائل الصحابة، باب أيام الجاهلية، ٤٢/٥ (٣٨٤١).

(٦) شرح صحيح مسلم للنووي ١٢/١٥.

وَمِنْ ذَلِكَ أَيْضاً حَدِيثُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ رَوَاحَةَ رضي الله عنه، أَنَّهُ كَانَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي مَسِيرٍ لَهُ، فَقَالَ لَهُ: «يَا ابْنَ رَوَاحَةَ انْزِلْ فَحَرِّكِ الرَّكَّابَ»^(١)، قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَدْ تَرَكْتُ ذَاكَ، فَقَالَ عُمَرُ: اسْمَعْ وَأَطِعْ، قَالَ: فَرَمَى بِنَفْسِهِ وَقَالَ:

[بِحَرِّ الرَّجَزِ]

اللَّهُمَّ لَوْلَا أَنْتَ مَا اهْتَدَيْنَا وَمَا تَصَدَّقْنَا وَمَا صَلَّيْنَا
فَأَنْزَلْنَا سَكِينَةً^(٢) عَلَيْنَا وَثَبَّتِ الْأَقْدَامَ إِنَّ لَاقَيْنَا^(٣).

وعنِ الْأَسْوَدِ بْنِ سَرِيعٍ^(٤) قَالَ: أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! إِنِّي قَدْ حَمَدْتُ رَبِّي تَبَارَكَ وَتَعَالَى بِمَحَامِدٍ وَمَدَحٍ وَإِيَّاكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَمَّا إِنَّ رَبَّنَا تَعَالَى يُحِبُّ الْمَدْحَ، هَاتِ مَا امْتَدَحْتَ بِهِ رَبَّنَا تَعَالَى». قَالَ: فَجَعَلْتُ أَنْشِدُهُ^(٥).

(١) حرك الركاب: أي حرّك الإبل وسقها بالحذاء لها، وكان من عادة العرب سوق الإبل بالغناء وقول الرجز. انظر: لسان العرب، مادة (حدو) ١٤/١٦٨.

(٢) ما تسكن به النفس من الوداعة والطمأنينة. لسان العرب، مادة (سكن) ١٣/٢١٣.

(٣) سنن النسائي الكبرى في المناقب بسند متصل، من طريق قيس بن أبي حازم عن عمر عن ابن رواحة، ٧/٣٤٩. وفي عمل اليوم والليلة بسند منقطع، من طريق قيس بن أبي حازم عن ابن رواحة، ٩/١٩٦، أخرجه منقطعاً معجم الصحابة لابن قانع ٢/١٢٨، السنن الكبرى للبيهقي ١٠/٣٨٤. قال المزي: «قيس لم يدرك ابن رواحة». تحفة الأشراف ٤/٣١٩، وقال الذهبي: «هذا مرسلٌ جيد». المذهب في اختصار السنن الكبرى للبيهقي ٨/٤٢٤. وقال ابن كثير: «وهو منقطع» جامع المسانيد والسنن ٥/١٨٨، وقد صحّح ابن الملقن الشافعي الحديث، فذكر الروایتين وأشار إلى قبول الرواية المتصلة. انظر: البدر المنير ٩/٦٣٧.

(٤) الأسود بن سريع بن حمير بن عبادة السعدي التميمي، يكنى أبا عبد الله، الصحابيُّ الفارسُ الشاعر، جاهد مع النبي ﷺ في أربع غزوات، وهو أول من قصَّ في مسجد البصرة، وقيل أنه عندما اندلعت الفتنة وقتل عثمان بن عفان رضي الله عنه، ركب الأسود السفينة، وحمل معه أهله وعياله، ولم يُرَ بعد ذلك، توفي في زمن معاوية في عام ٤٢ هـ. انظر: الاستيعاب ١/٨٩، أسد الغابة ١/٢٢٩.

(٥) مسند أحمد، باب حديث الأسود بن سريع، ٢٤/٣٥٧ (١٥٥٩٠). وأخرجه الحاكم بلفظ: «أما ما أثبتت على الله تعالى فهاتيه، وما مدحتني به فدعه». وقال الحاكم: «حديثٌ صحيح الإسناد، ولم يُخرجاه». المستدرک على الصحيحين

ومما روي مرسلاً عن ابن سيرين^(١) في استنشاد النبي ﷺ، أنه قال: بينا رسول الله ﷺ في مَسِيرٍ^(٢) له، فَشَنَقَ رَاحِلَتَهُ^(٣) حَتَّى وَضَعَتْ رَأْسَهَا عَلَى مُقَدِّمَةِ رَحْلِهِ، ثُمَّ قَالَ: «ادْعُوا لِي كَعْبَ بَنِ مَالِكٍ^(٤)»، فَقَالَ: «أُنْشِدْ»، فَقَالَ:

[بجر الوافر]

قَضَيْنَا مِنْ تَهَامَةٍ كُلِّ رَبٍّ^(٥) وَخَيْرَ ثَمٍّ أَجْمَمْنَا^(٦) السُّيُوفَا
خَيْرَهَا وَلَوْ نَطَقَتْ لَقَالَتْ قَوَاطِعُهُنَّ: دَوْسًا أَوْ ثَقِيفًا^(٧)

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ سِيرِينَ: فَنُبِّئْتُ أَنَّ دَوْسًا أَسْلَمَتْ بِكَلِمَةِ كَعْبٍ هَذِهِ.^(٨)

على الصحيحين ٧١٢/٣. وقال الهيثمي: «روي بأسانيد ورجال، أحدها عند أحمد رجال الصحيح». مجمع الزوائد ٩٥/١٠.

(١) ابن سيرين: محمد بن سيرين ويكنى أبا بكر، مولى أنس بن مالك ﷺ، كان ثقة مأموناً، كثير العلم، عالماً بالفرائض والقضاء والحساب، وكان به صمم، وهو أحد الفقهاء من أهل البصرة، سمع من بعض الصحابة الكرام كابن عمر وأبي هريرة وزيد بن ثابت ﷺ. توفي سنة ١١٠ هـ. انظر: الطبقات الكبرى ١٤٣/٧، وفيات الأعيان ١٨٢/٤، سير أعلام النبلاء ٦٠٩/٤.

(٢) أثبتت رواية أخرى للحديث أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ فِي حِصَارِ الطَّائِفِ. انظر: تهذيب الآثار ٦٦٠/٢، وذكر الأبيات ابن هشام في مسيرة الرسول ﷺ إلى الطائف. سيرة ابن هشام ٤٧٩/٢.

(٣) شَنَقَ الْبَعِيرَ: أي جَذَبَ خَطَامَهُ، وَكَفَّهُ بِزِمَامِهِ وَهُوَ رَاكِبُهُ مِنْ قِبَلِ رَأْسِهِ حَتَّى يُلْزَقَ ذِفْرُهُ بِقَادِمَةِ الرَّحْلِ. لسان العرب، مادة (شَنَق) ١٨٧/١٠.

(٤) كعب بن مالك بن أبي كعب الأنصاري السلمي، يكنى أبا عبد الله وقيل أبا عبد الرحمن، من شعراء رسول الله ﷺ، شهد العقبة الثانية، وحين قَدِمَ المدينة آخَى النَّبِيُّ ﷺ بَيْنَهُ وَبَيْنَ طَلْحَةَ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ، شهد المشاهد كلها واختلِفَ في كونه شهد بدرًا. وهو أحد الثلاثة الذين خَلَّفُوا عَنْ غَزْوَةِ تَبُوكَ. ذهبَ بصره في آخر عمره، وتوفي في زمن معاوية سنة ٥٠ هـ وقيل ٥٣ هـ وهو ابن سبعة وسبعين عاماً، وقد روى عنه جماعة من التابعين. انظر: طبقات فحول الشعراء ٢٢٠/١، الاستيعاب ١٣٢٣/٣-١٣٢٤، أسد الغاية ٤٦١/٤.

(٥) المقصود بالرب هنا: الحاجة. لسان العرب، مادة (رب) ٤٤٣/١.

(٦) أجمنا: أي أَرْخْنَا السُّيُوفَ. انظر: لسان العرب، مادة (جَم) ١٠٦/١٢.

(٧) قصد كعب في هذه الأبيات أَنَّهُمِ انْتَهَوْا مِنْ مَعَارِكِ تَهَامَةٍ وَخَيْرَ ثَمٍّ أَرَا حُوا السُّيُوفَ جِنَاءً، ثُمَّ خَيْرُوهَا بِمَنْ تَبَدَأَ بَعْدَ ذَلِكَ، وَلَوْ اسْتَطَاعَتْ قَوَاطِعُ هَذِهِ السُّيُوفِ أَنْ تَنْطِقَ لَقَالَتْ: أَرِيدُ دَوْسًا أَوْ ثَقِيفًا. انظر: ديوان كعب بن مالك ص ٢٣٤.

(٨) جامع معمر بن راشد ٢٦٣/١١، تهذيب الآثار ٦٥٩/٢ واللفظ له. والحديث مرسل عن محمد بن سيرين.

• المطلب الثالث: حثُّ النبي ﷺ شعراء الصحابة على قول الشعر.

أدرك النبي ﷺ أثر الشعر في نفوس العرب، وأهميته في المعركة المحتدمة بين الإسلام والكفر، فحثَّ على قول الشعر المنافع عن الحق، ضد الضلال والشرك، فنَدَبَ ﷺ شعراء الإسلام لذلك وحضَّهم على هجاء الكافرين، والتَّصدي لهم بأساليب مُتعددة، فكانَ يقول لهم: «قولوا لهم كما يقولون لكم»^(١).

وكان ﷺ يحضُّهم على الجهاد بالسنتهم ويعدُّه نوعاً من أنواع الجهاد إلى جانب الجهاد بالنفس وبالمال، فكان يقول: «جاهدوا المشركين بأموالكم، وأنفُسكم، وألسنتكم»^(٢).

ومما وردَ عن كعب بن مالكٍ رضي الله عنه أنه قال للنبي ﷺ: إِنَّ الله عزَّ وجل قد أنزل في الشعر ما أنزل^(٣) فقال له: «إِنَّ المؤمنَ يجاهدُ بسيفه ولسانه، والذي نفسِي بيده لكَأَنَّ ما تَرْمُونَهُمْ به نَضْحُ النَّبْلِ»^(٤).

فلم يكن من شعراء المسلمين إلا أن حملوا سلاح الكلمة يُنافحونَ عن دينهم ويرُدُّون سِهَامَ أشعار المشركين، ومن هؤلاء الشعراء حسان بن ثابت^(٥) الذي وضع له رسول الله ﷺ منبراً في المسجد.

(١) مسند أحمد، من حديث عمار بن ياسر، ٢٤٦/٣٠ (١٨٣١٤). وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد ١٢٤/٨ وقال في رجاله أنهم ثقات.

(٢) سنن أبي داود، في الجهاد، باب كراهية ترك الغزو، ١٠/٣ (٢٥٠٤). سنن النسائي، في الجهاد، باب وجوب الجهاد، ٧/٦ (٣٠٩٦). والحديثُ صحيحه الحاكم على شرط مسلم. المستدرک على الصحيحين ٨١/٢. وأخرجه ضياء الدين المقدسي في المختارة ٣٦/٥ وقال: «إسناده صحيح».

(٣) أي من قوله تعالى: ﴿وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ﴾ [الشُّعْرَاءُ: ٢٢٤].

(٤) مسند أحمد، من حديث كعب بن مالك، ١٤٧/٤٥ (٢٧١٧٤). وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد ١٢٣/٨ وقال: «رواه كله أحمد بأسانيد، ورجال أحدها رجال الصحيح».

(٥) الصحابي الجليل حسان بن ثابت بن المنذر الأنصاري، شاعرُ رسول الله ﷺ يُكنى أبا الوليد، وقيل أبو الحُسام؛ لِمنازلته ودِّفاعه عن النبي ﷺ وتقطيعه أعراض المشركين. شاعرٌ مخضرمٌ عاش ستين سنة في الجاهلية وستين سنة في الإسلام، قيل أنه مات قبل الأربعين وقيل في الخمسين أو أربع وخمسين، وهو ابن مائة وعشرين سنة. انظر: طبقات فحول الشعراء ٢١٥/١، أسد الغابة ٦/٢، الإصابة ٥٥/٢.

تُحَدِّثُ السَّيِّدَةَ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فتقول: كان رسول الله ﷺ يَضَعُ لِحْسَانَ مِنْبَرًا فِي الْمَسْجِدِ يَقُومُ عَلَيْهِ قَائِمًا يُفَاخِرُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، أَوْ يُنَافِحُ^(١)، وَيَقُولُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ يُؤَيِّدُ حَسَنَانَ بِرُوحِ الْقُدُسِ مَا نَافَحَ أَوْ فَاخَرَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ»^(٢). وَعَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِحَسَنَانَ: «اهْجُهِمْ»^(٣)، أَوْ هَاجِهِمْ^(٤) وَجَبْرِيلُ مَعَكَ»^(٥).

وَقَدْ خَصَّ النَّبِيُّ ﷺ جَبْرِيلَ (روح القدس) بِنُصْرَةٍ مِنْ نَصْرِهِ وَنَافَحَ عَنْهُ؛ لِأَنَّ جَبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ صَاحِبُ وَحْيِ اللَّهِ إِلَى رُسُلِهِ، وَهُوَ يَتَوَلَّى نَصْرَ رُسُلِهِ، وَإِهْلَاكَ أَعْدَائِهِمُ الْمَكْذِبِينَ لَهُمْ، كَمَا تَوَلَّى إِهْلَاكَ قَوْمِ لُوطَ وَفِرْعَوْنَ فِي الْبَحْرِ. فَمَنْ نَصَرَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَذَبَّ عَنْهُ أَعْدَاءَهُ وَنَافَحَ عَنْهُ كَانَ جَبْرِيلُ مَعَهُ وَمُؤَيِّدًا لَهُ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجَبْرِيلُ وَصَلِّحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةَ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ﴾ [التحریم ٤]^(٦).

وَمِنْ حَثِّ النَّبِيِّ ﷺ عَلَى قَوْلِ الشُّعْرِ مَا وَرَدَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ رَوَاحَةَ، حِينَ دَعَاهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ لَهُ: «كَيْفَ تَقُولُ الشُّعْرَ إِذَا قُلْتَ؟!» كَأَنَّهُ يَتَعَجَّبُ، فَقَالَ ابْنُ رَوَاحَةَ: أَنْظِرْ ثُمَّ أَقُولُ، فَقَالَ ﷺ: «فَعَلَيْكَ بِالْمُشْرِكِينَ»، يَقُولُ ابْنُ رَوَاحَةَ: وَلَمْ أَكُنْ أَعْدَدْتُ شَيْئًا فَقُلْتُ:

(١) يُنَافِحُ: يُدَافِعُ وَيُجَاصِمُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. النِّهَايَةُ ٨٩/٥، لِسَانُ الْعَرَبِ، مَادَّةُ (نَفَحَ) ٦٢٣/٢.

(٢) سَنَنْ أَبِي دَاوُدَ فِي الْأَدَبِ، بَابُ مَا جَاءَ فِي الشُّعْرِ ٣٠٤/٤ (٥٠١٥)، وَفِي سَنَنِ التِّرْمِذِيِّ، فِي أَبْوَابِ الْأَدَبِ، بَابُ مَا جَاءَ فِي إِنْشَادِ الشُّعْرِ، ١٣٨/٥ (٢٨٤٦). وَقَالَ التِّرْمِذِيُّ: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ وَهُوَ حَدِيثُ ابْنِ أَبِي الزُّنَادِ». وَاللَّفْظُ لِلتِّرْمِذِيِّ.

(٣) اهْجُهِمْ: أَمَرٌ مِنْ هَجَا وَهُوَ الشَّتْمُ بِالشُّعْرِ، وَهُوَ نَقِيضُ الْمَدْحِ. لِسَانُ الْعَرَبِ، مَادَّةُ (هَجَا) ٣٥٣/١٥.

(٤) هَاجِهِمْ: مِنَ الْمَهَاجَةِ، أَيِ جَازَمَهُمْ بِمَجْزُومِهِمْ هِجَاءً. انْظُرْ: النِّهَايَةُ ٢٤٨/٥، لِسَانُ الْعَرَبِ، مَادَّةُ (هَجَا) ٣٥٣/١٥.

(٥) صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ، فِي بَدَأِ الْخَلْقِ، بَابُ ذِكْرِ الْمَلَائِكَةِ، ١١٢/٤ (٣٢١٣)، صَحِيحُ مُسْلِمٍ فِي فَضَائِلِ الصَّحَابَةِ، بَابُ فَضَائِلِ حَسَنَانَ بْنِ ثَابِتٍ ١٩٣٣/٤ (٢٤٨٦).

(٦) انْظُرْ: فَتْحُ الْبَارِي لِابْنِ رَجَبٍ ٢٥١/٣.

[بجر البسيط]

فَأَخْبِرُونِي أَثْمَانَ^(١) الْعَبَاءِ^(٢) مَتَى كُنْتُمْ بِطَارِيقٍ^(٣) أَوْ دَانَتْ لَكُمْ مُضَرٌّ

فَعَرَفْتُ الْكَرَاهِيَةَ فِي وَجْهِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؛ أَنْ جَعَلْتُ قَوْمَهُ أَثْمَانَ الْعَبَاءِ فَنظَرْتُ ثُمَّ قُلْتُ:

يَا هَاشِمَ الْخَيْرِ، إِنَّ اللَّهَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْبَرِيَّةِ فَضْلاً مَالَهُ غَيْرٌ^(٤)
إِنِّي تَفَرَّسْتُ فِيكَ الْخَيْرَ أَعْرِفُهُ فِرَاسَةً خَالَفَتْهُمْ فِي الَّذِي نَظَرُوا
وَلَوْ سَأَلْتُ أَوْ اسْتَنْصَرْتُ بَعْضَهُمْ فِي جُلِّ أَمْرِكَ مَا آوَوْا وَلَا نَصَرُوا
فَتَبَّتَ اللَّهُ مَا آتَاكَ مِنْ حَسَنٍ تَثَبَّتَ مُوسَى، وَنَصَرَ كَالَّذِي نُصِرُوا

فَأَقْبَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مُتَبَسِّمًا، وَقَالَ: «وَأَنْتَ فَتَبَّتَكَ اللَّهُ يَا ابْنَ رَوَاحَةَ»^(٥).

ومما تجدر الإشارة إليه هنا أيضاً استعانة رسول الله ﷺ بشعراء المسلمين للرد على شعراء الوفود التي جاءت تُفَاخِرُ، ومثال ذلك ما فعله ﷺ مع وفد تميم حين وفدوا عليه فقالوا: يا رسول الله ائذن لشاعرنا. فأذن له، فأقاموا الزَّيْرَقَانَ بن بدرٍ^(٦) فقال:

(١) أَثْمَانٌ: جمع ثمن، وهو قيمة الشيء. لسان العرب، مادة (ثمن) ٨٢/١٣.

(٢) الْعَبَاءُ: جمع عباية وعباءة، وهي كساء واسع وفيه خطوط سود كبار. النهاية ١٧٥/٣، لسان العرب، مادة (عبا) ٢٦/١٥.

(٣) بِطَارِيقٍ: جمع بطريق، وهو الحاذق بالحرب وأمورها بلغة الروم. لسان العرب، مادة (بطرق) ٢١/١٠.

(٤) غَيْرٌ: اسم من تغير الحال، وَغَيْرُ الدَّهْرِ أَحْدَاثُهُ وَأَحْوَالُهُ الْمَغْيِرَةُ. انظر: تاج العروس، مادة (غير) ٢٨٧/١٣.

(٥) عن عبد الله بن رَوَاحَةَ فِي تَهْذِيبِ الْآثَارِ ٢/٦٦١-٦٦٢، المعجم الكبير للطبراني ١٤/٣٩٢ واللفظ له. وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد ٨/١٢٥ وقال: «رواه الطبراني ورجاله ثقات إلا أن مُدْرِكَ ابْنَ عُمَارَةَ لم يُدْرِك ابْنَ رَوَاحَةَ».

(٦) الحُصَيْن بن بدر ابن خلف التميمي السعدي، شاعرٌ صحابي مخضرم، عاش في الجاهلية وأدرك الإسلام فأسلم وسمي بِالزَّيْرَقَانِ لِحُسْنِ وَجْهِهِ وَلِجَمَالِهِ الشَّبِيهِ بِالْقَمَرِ، وقيل لأنه كان يصبغ عمامته بالزعفران. وهو سيد من سادات قومه وأحد رؤساء تميم المشهورين، وكان عظيم القدر في الإسلام، وفد على النبي ﷺ مع وفد بني تميم وأسلم. ولأه رسول الله ﷺ صدقات قومه، فأدّاها في الرِّدَّةِ إِلَى أَبِي بَكْرٍ ؓ فَأَقْرَهُ ثُمَّ إِلَى عُمَرَ ؓ، توفي في زمن معاوية ؓ سنة ٤٥ هـ. انظر: أسد الغابة ٣٠٣/٢، الإصابة ٤٥٥/٢.

[بجر البسيط]

نَحْنُ الْمُلُوكُ فَلَا حَيٍّ يُقَارِنُنَا فِينَا الْمُلُوكُ وَفِينَا تُنْصَبُ الْبَيْعُ^(١)
وَكَمْ قَسَرْنَا^(٢) مِنَ الْأَحْيَاءِ كُلَّهُمْ عِنْدَ النَّهَابِ^(٣) وَفَضْلُ الْخَيْرِ يُتْبَعُ

فقال رسول الله ﷺ: «أَجِبْهُمْ يَا حَسَّانُ بَنَ ثَابِتٍ!»، فقام فقال:

[بجر البسيط]

إِنَّ الدَّوَائِبَ^(٤) مِنْ فَهْرٍ وَإِخْوَتِهِمْ قَدْ شَرَعُوا سُنَّةً لِلنَّاسِ تُتَّبَعُ
يَرْضَى بِهِمْ كُلٌّ مَنْ كَانَتْ سَرِيرَتُهُ تَقْوَى الْإِلَهِ وَبِالْأَمْرِ الَّذِي شَرَعُوا^(٥).

• المطلب الرابع: استماع النبي ﷺ للشعر.

وأما استماعه ﷺ للشعر، فقد جاء فيه الخبر من وجوه، فعن جابر بن سمرة رضي الله عنه قال: «جَالَسْتُ النَّبِيَّ ﷺ أَكْثَرَ مِنْ مِئَةِ مَرَّةٍ، فَكَانَ أَصْحَابُهُ يَتَنَاشِدُونَ الشَّعْرَ^(٦)، وَيَتَذَكَّرُونَ أَشْيَاءَ مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ، وَهُوَ سَاكِتٌ، فَرُبَّمَا يَتَبَسَّمُ مَعَهُمْ^(٧)».

(١) البَيْع: مواضع الصلوات والعبادات مفردها: بيعة. انظر: لسان العرب، مادة (بيع) ٢٦/٨.

(٢) قَسَرْنَا: غلبنا وقهرنا، من القسر وهو الغلبة والقهر. لسان العرب، مادة (قسر) ٩١/٥.

(٣) النهاب: من النَّهْب، وهو الغارة والسَّلب. لسان العرب، مادة (نهب) ٧٧٣/١.

(٤) الدَّوَائِب: جمع دُؤَابَة، وهي الشعر المضعف من شعر الرأس، وذؤابة الجبل: أعلاه، ثم استعير للعز والشرف والمرتبة، والمراد هنا: السادة والأشراف. انظر: النهاية ١٥١ / ٢، لسان العرب، مادة (ذيب) ٣٧٩/١.

(٥) مغازي الواقدي ٩٧٧/٣، سيرة ابن هشام ٥٦٤/٢، والحديث عند البيهقي في الدلائل بدون ذكر أبيات الشعر. دلائل النبوة للبيهقي ٣١٣/٥. والحديث ذكره ابن إسحاق.

(٦) والمعنى أنهم يقرؤونه أو يطلب بعضهم من بعض قراءته. مرقاة المفاتيح ٢٩٩٤/٧.

(٧) سنن الترمذي، في الأدب، باب إنشاد الشعر، ١٤٠/٥ (٢٨٥٠). وقال: «هذا حديث حسن صحيح». والحديث يذكر تناشدهم للشعر أمامه في سنن النسائي، في السهو، باب قعود الإمام في مُصَلَّاه بعد التسليم، ٨٠/٣ (١٣٥٨).

وفي مسند أحمد، من حديث جابر بن سمرة السوائي ٤٠٥/٣٤ (٢٠٨١٠).

فُسْكَوْنُهُ ﷺ إِقْرَارٌ لِّمَا يَحْدُثُ بِحَضْرَتِهِ، وَتَبَسُّمُهُ يَدُلُّ عَلَى رِضَاهُ بِمَا يَسْتَمِعُ إِلَيْهِ مِنْ حَدِيثِ أَصْحَابِهِ وَتَنَاشُدِهِمْ لِلشَّعْرِ، وَمَنْ الْمَعْلُومُ أَنَّ فِي مَجْلِسِهِ الشَّرِيفِ، لَا يَتَنَاشَدُ إِلَّا الشَّعْرَ الْمَنِيفَ الْمَشْتَمِلَ عَلَى التَّوْحِيدِ وَالتَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيْبِ.^(١)

وَمِنْ أَمْثَلَةِ اسْتِمَاعِهِ ﷺ لِلشَّعْرِ، أَنَّهُ حِينَ قَدِمَ ﷺ إِلَى الْمَدِينَةِ فَرَحَ أَهْلُهَا فَرَحًا شَدِيدًا، وَاحْتَفَقُوا بِهِ رِجَالًا وَنِسَاءً، حَتَّى جَعَلَتْ جَوَارٍ مِنْ بَنِي النَّجَارِ يَتَغَنَّيْنَ بِقُدُومِهِ بِأَبْيَاتٍ لَطِيفَةٍ تُظْهِرُ فَرَحَهُنَّ وَسُرُورَهُنَّ بِجَوَارِهِ لِهُنَّ، فَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ مَرَّ بِبَعْضِ الْمَدِينَةِ، فَإِذَا هُوَ بِجَوَارٍ يَضْرِبْنَ بِدُفَّهِنَّ وَيَتَغَنَّيْنَ وَيُقْلِنَ:

[بِحَرِّ الرِّجَزِ]

نَحْنُ جَوَارٍ^(٢) مِنْ بَنِي النَّجَارِ يَا حَبَّذا^(٣) مُحَمَّدٌ مِنْ جَارِ

فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «اللَّهُ يَعْلَمُ إِلَيَّ لِأَحِبُّكُمْ»^(٤).

وَرَوَى فِي حَدِيثٍ ضَعِيفٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ اسْتَمَعَ لِمُنَشِدٍ يُنَشِدُهُ شَعْرَ الشَّاعِرِ الْجَاهِلِيِّ سُوَيْدِ بْنِ عَامِرٍ الْمَصْطَلْقِيِّ^(٥)، فَعَنْ يَزِيدَ بْنِ عَمْرٍو بْنِ مُسْلِمٍ الْخَزَاعِيِّ^(٦) قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي^(٧)

(١) انظر: مرقاة المفاتيح ٢٩٩٣/٧.

(٢) جوارٍ: مفردُها الجاريةُ وهي فتيَّةُ النِّسَاءِ، والجمعُ جَوَارٍ. القاموس المحيط، مادة (جري) ١٢٧٠/١.

(٣) يَا حَبَّذا: حَبَّذا الأمرُ، أي هو حبيبٌ. لسان العرب، مادة (حب) ٢٩١/١، القاموس المحيط، مادة (حب) ٧١/١.

(٤) سنن ابن ماجه، في النكاح، باب الغناء والدف، عن أنس بن مالك رضي الله عنه ٦١٢/١ (١٨٩٩). وقال البوصيري: «إسناده صحيح ورجالُه ثقات». مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه ١٠٦/٢.

(٥) سويد بن عامر المصطلقي، من الشعراء الخفاء، فقد عُرفَ أَنَّهُ كَانَ عَلَى دِينِ الْخَنِيفِيَّةِ وَمِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ. انظر: بلوغ الأرب للألوسي ٢٥٩/٢. (لم أجد له ترجمة في كتب التراجم!!).

(٦) لم أجد له ترجمة في كتب التراجم!!.

(٧) عمرو بن مسلم الخزاعي، من الطبقة الرابعة، مجهول الحال، روى عنه ابنه يزيد. انظر: أسد الغابة ٢٥٩/٤.

عن أبيه^(١)، قال: كُنْتُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَأَنْشَدْتُهُ قَوْلَ سُؤَيْدِ بْنِ عَامِرٍ الْمِصْطَلِقِيِّ^(٢):

[بجر البسيط]

لَا تَأْمَنَنَّ وَإِنْ أَمْسَيْتَ فِي حَرَمٍ إِنَّ الْمَنَايَا بِجَنْبِي كُلِّ إِنْسَانٍ^(٣)
وَاسْلُكْ طَرِيقَكَ تَمْشِي غَيْرَ مُحْتَشِعٍ حَتَّى تُتْلِقَنِي مَا يَمْنِي لَكَ الْمَانِي^(٤)
فَكُلْ ذِي صَاحِبٍ يَوْمًا مُفَارِقُهُ وَكُلْ زَادٍ وَإِنْ أَبْقَيْتَهُ فَلَانِي
وَالْخَيْرُ وَالشَّرُّ مَجْمُوعَانِ فِي قَرْنٍ^(٥) بِكُلِّ ذَلِكَ يَأْتِيكَ الْجَدِيدَانِ^(٦)

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَوْ أَذْرَكْنِي هَذَا لِأَسْلَمَ»، فَبَكَى أَبِي فَقُلْتُ: يَا أَبَتَاهُ مَا يُبْكِيكَ فِي مُشْرِكٍ مَاتَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ؟، فَقَالَ: إِنِّي مَا رَأَيْتُ مِنْ مُشْرِكٍ خَيْرًا مِنْ سُؤَيْدٍ^(٧).

(١) مسلم بن الحارث الخزاعي المصطلقى ﷺ، لم يُرو عنه إلا هذا الحديث. انظر: الاستيعاب ١٣٩٦/٣، أسد الغابة ١٦٢/٥، الإصابة ٨٤/٦.

(٢) الأبيات الشعرية في الاستيعاب ١٣٩٦/٣، وديوان الهذليين ٣٩ / ٣ منسوبة إلى أبي قلابة الهذلي مع خلاف فيها، وفي لسان العرب، مادة (مني) ٢٩٢/١٥.

(٣) معنى البيت: لا تأمن أن تأتلك منيتك، وإن كنت بالحرم، حيث تأمن الطير.

(٤) المعنى: حتى تلاقى ما يقدر لك المقدر، وهو الله تعالى. انظر: النهاية ٣٦٨/٤، لسان العرب، مادة (مني) ٢٩٢/١٥.

(٥) قَرْنٍ: قَرْنُ الرَّجُل، حَدُّ الرَّأْسِ وَجَانِبَاهُ. لسان العرب، مادة (قرن) ٣٣١/١٣. وأراد أن الخير والشَّرَّ مجموعان ومقرونان معاً، فلا يكاد يصيب الإنسان في الدنيا خيرٌ صرف لا شرٌّ فيه.

(٦) الجديدان: هما الليل والنهار؛ وذلك أنهما لا يلبيان أبداً. لسان العرب، مادة (جدد) ١١١/٣.

(٧) المعجم الكبير للطبراني ٤٣٢/١٩، والحديث في معجم ابن الأعرابي ٩٠٦/٣، وفي الكنى والأسماء للدولابي ٢٧٤/١. وذكره الهيثمي وقال: «رواه الطبراني والبخاري، عن يعقوب بن محمد الزهري، عن شيخ مجهول هو مردودٌ بلا خلاف». مجمع الزوائد ١٢٦/٨. وقال البزار: «لا نعلم أسند مسلم الخزاعي إلا هذا». كشف الأستار عن زوائد البزار ٥/٣. ويعقوب بن محمد الزهري ضعفه أبو زرعة، وقال أحمد: ليس بشيء. انظر: الكامل في الضعفاء ٤٧٤/٨، تهذيب التهذيب ٣٩٦/١١.

المبحث الثاني

الأحاديث الواردة في ذم الشعر.

وفيه ثلاثة مطالب:

- المطلب الأول: الأحاديث الواردة في ذم الشعر بمجمله.
- المطلب الثاني: الأحاديث الواردة في ذم نوع من الشعر.
- المطلب الثالث: الأحاديث الواردة في ذم الشعراء.

➤ المبحث الثاني: الأحاديث الواردة في ذم الشعر.

وردت عن النبي ﷺ بعض الأحاديث التي يوحي ظاهرها بدم الشعر، ويُتوهم منها أن النبي ﷺ كره قول الشعر، ودم قائله، وهذا مما يتعارض مع ما سبق ذكره من أحاديث مدح النبي ﷺ لبعض الشعر واستنشاده إيّاه، وقد تناولت في هذا المبحث أحاديث الدم، وأوردت أقوال العلماء في الحكم عليها وتوجيهها توجيهاً يدفع الوهم، ويُزيل التعارض الظاهر.

• المطلب الأول: الأحاديث الواردة في ذم الشعر بمُجمّله.

روي عن النبي ﷺ بعض الأحاديث التي يوحي ظاهرها بدم الشعر جملةً واحدة:

- ومن أشهرها ما أخرجه الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «لأن يمتلي جوف^(١) رجل قيحاً^(٢) يريه^(٣) خيرٌ من أن يمتلي شعراً^(٤)».

بيّن الرسول ﷺ في هذا الحديث أن امتلاء جوف المرء صديداً يأكل جوفه ويُفسده، خيرٌ له من امتلائه بالشعر، فالحديث بظاهره يدل على ذم الشعر بعمومه، وكرهته مطلقاً، والأخذ بهذه الدلالة يتعارض مع ما جاء عن النبي ﷺ في الإشادة بالشعر، والحث على قوله، إلا أن العلماء قد ذكروا في تأويله ما يُزيل ذلك التعارض والتناقض الظاهر.

(١) قال ابن الأثير: القلب. النهاية ٣١٦/١، وقال في اللسان: بطن الإنسان. لسان العرب، مادة (جوف) ٣٤/٩.

(٢) قيحاً: المدة لا يخالطها دم. النهاية ١٣٠/٤، القاموس المحيط، مادة (قيح) ٢٩٧/١.

(٣) يريه: من الوري وهو الداء الذي يُصيب الجوف، وقيل قيح شديد يُقأ منه. انظر: النهاية ١٧٨/٥، لسان العرب (وري) ٦٨٣/١٥.

(٤) صحيح البخاري، في الأدب، باب ما يُكره أن يكون الغالب على الإنسان الشعر حتى يصدّه عن ذكر الله والعلم والقرآن، ٣٧/٨ (٦١٥٥)، صحيح مسلم، في أوائل كتاب الشعر، ١٧٦٩/٤ (٢٢٥٧).

فممن أول هذا الحديث -بما لا يتناقض مع ما جاء عن النبي ﷺ في تأييد الشعر-

أبو عبيد القاسم بن سلام^(١)، وذلك حين قال: «وجهه عندي أن يمتلي قلبه من الشعر حتى يغلب عليه؛ فيشغله عن القرآن، وعن ذكر الله، فيكون الغالب عليه من أي شعر كان، فإذا كان القرآن والعلم الغالبين عليه فليس جوف هذا عندنا ممتلئاً من الشعر»^(٢).

وقد وافقه البخاري في هذا التأويل حين ترجم للباب بقوله: «باب ما يكره أن يكون الغالب على الإنسان الشعر، حتى يصد عنه ذكر الله والعلم والقرآن»^(٣).

وذكر الحافظ ابن حجر^(٤) في مناسبة هذه المبالغة في ذم الشعر: «أن الذين خوطبوا بذلك كانوا في غاية الإقبال عليه والاشتغال به، فزجرهم عنه ليُقبلوا على القرآن وعلى ذكر الله تعالى وعبادته، فمن أخذ من ذلك ما أمر به، لم يضره ما بقي عنده مما سوى ذلك»^(٥).

(١) أبو عبيد القاسم بن سلام بن عبد الله الهروي البغدادي، فقيه محدث ونحوي ومن علماء القراءات، له مصنفات أشهرها كتاب (غريب الحديث) و(الأمثال)، وله مصنف في معاني الشعر، قدم مكة حاجاً ولبث فيها إلى أن مات سنة ٢٢٤هـ. انظر: وفيات الأعيان ٦١/٤، سير أعلام النبلاء ٥٠١/٨.

(٢) غريب الحديث للقاسم بن سلام ٣٦/١.

(٣) صحيح البخاري ٣٦/٨.

(٤) ابن حجر: أحمد بن علي بن محمد بن محمد بن علي بن محمود بن أحمد بن العسقلاني المصري الشافعي، الإمام العلامة الحافظ فريد الوقت، ومفخرة الزمان، علم الأئمة وعمدة المحققين، جدّ في طلب العلوم فبلغ الغاية القصوى، وولي مشيخة الحديث وتدرّس الفقه بأماكن من الديار المصرية، وولي بها نيابة القضاء مدة من الزمن ثم أعرض عنها، من كتبه: (فتح الباري) في شرح صحيح البخاري، و(الإصابة في تمييز الصحابة)، و(إتحاف المهرة بأطراف العشرة) وغيرها. توفي سنة ٨٥٢هـ. انظر: لفظ الألفاظ بذيّل طبقات الحفاظ ص ٢١١، الضوء اللامع ٤٠/٢.

(٥) فتح الباري ٥٤٩/١٠.

وبهذا التأويل الذي وصفه القرطبي^(١) بأنه أحسن ما قيل في هذا الحديث، يكون الدَّم موجهاً إلى الكثير من الشعر الذي دلَّ عليه امتلاء الصدر منه، وهو الذي لا بقية لغيره معه، وما دون ذلك لا يدخله الدَّم^(٢).

وجاء في بعض طرق الحديث زيادة في آخره تُفيد بتخصيص الشعر المذموم؛ بأنه الذي هُجِيَ به النبي ﷺ، فقد أخرج أبو يعلى الموصلي^(٣) عن جابر رضي الله عنه، قال رسول الله ﷺ: «لأن يمتلئ جوف أحدكم قيحاً أو دماً، خيرٌ له من أن يمتلئ شعراً هُجيت به»^(٤).
وذَكَرَ أَنَّ عائشة رضي الله عنها تأولت هذا الحديث على ما هُجِيَ به النبي ﷺ وأنكرت على من حمَّله على العموم في جميع الشعر^(٥).

(١) شمس الدين، محمد بن أحمد بن أبي فَرْح الانصاري الخزرجي المالكي أبو عبد الله القرطبي، وُلِدَ في مدينة قرطبة، وقد رحل بعد سقوطها إلى الإسكندرية، ثم إلى صعيد مصر حيث استقر فيه.. كان القرطبي عالماً كبيراً منقطعاً إلى العلم منصرفاً عن الدنيا، قال عنه الذهبي: إمام متفنن متبحر في العلم، له تصانيف مفيدة تدل على إمامته، وكثرة اطلاعه ووفور فضله. من أبرز تصانيفه: تفسيره الكبير المسمى (الجامع لأحكام القرآن) وله تصانيف كثيرة غيره منها: (التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة)، و(التذكار في أفضل الأذكار). مات بمِنية بني حصيب من الصعيد الأدنى سنة ٦٧١هـ. انظر: طبقات المفسرين للسيوطي ص ٩٢، طبقات المفسرين للدواودي ٦٩/٢.

(٢) انظر: تفسير القرطبي ١٣/١٥١.

(٣) أبو يعلى الموصلي: أحمد بن علي بن المثنى التميمي الموصلي، أبو يعلى: حافظ، من علماء الحديث، ثقة مشهور، صاحب المسند، نعتة الذهبي محدث الموصلي. عمّر طويلاً حتى ناهز المئة. رحل الناس اليه وتوفي بالموصل، له كتب منها (المعجم) في الحديث، و (مسندان) كبير وصغير، وكانت وفاته سنة ٣٠٧هـ. الوافي بالوفيات ٧/١٥٨، طبقات الحفاظ ص ٣٠٩.

(٤) مسند أبي يعلى الموصلي ٤/٤٧. وقال الحافظ ابن حجر معلقاً على هذه الرواية: «وفي سنده راوٍ لا يُعرف»، فأنكر هذه الزيادة وقال: «لم تثبت هذه الزيادة» فتح الباري ١٠/٥٤٩.

(٥) على سبيل التسليم بتأويل عائشة رضي الله عنها للحديث فليس فيه عيبٌ إلا امتلاء الجوف منه — أي من الشعر الذي فيه هجاء النبي ﷺ — فلا يدخل في النهي رواية اليسير على سبيل الحكاية ولا الاستشهاد به في اللغة. انظر: الروض الأنف ٥/٤٥٠.

وزهب ابن بطّال^(١) إلى هذا المعنى كذلك فقال: «يعني الشعر الذي هُجِيَ به النبي ﷺ ، فالحديث لا يُراد به كل الشعر، وإنما المراد به الشعر الذي فيه الباطل والهجو من القول»^(٢).

وأَنكر أبو عبيدٍ عليهم هذا التفسير باعتبار أن هجاء النبي ﷺ ولو بشرط بيت كفر، فمن حمل الحديث على امتلاء القلب منه، فكأنه رخص في القليل منه^(٣).

ويؤيد تأويل أبي عبيد ما أخرجه البغوي^(٤) في (معجم الصحابة)^(٥)، والطبراني^(٦) في (المعجم الأوسط)^(٧)، من حديث مالك بن عمير السلمي^(٨) : أنه شهد مع رسول الله ﷺ الفتح وغيرها وكان شاعراً فقال: شهدت مع النبي ﷺ الفتح وحنيناً والطائف، فقلت:

(١) ابن بطّال: أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك، ويُعرف أيضاً بابن اللّجّام، من أهل قرطبة، كان من أهل العلم والمعرفة والفهم، مليح الخط، حسن الضبط، عُني بالحديث العناية التامة، وله شرح على صحيح البخاري، وله كتاب (الاعتصام) في الحديث. ولي قضاء لوزقة، وكانت وفاته سنة ٤٤٩ هـ. انظر: الوافي بالوفيات ٥٦/٢١، التاج المكلل ص ٢٨٧.

(٢) شرح صحيح البخاري لابن بطّال ١٦٢/٥.

(٣) غريب الحديث للقاسم بن سلام ٣٦/١.

(٤) البغوي: عبد الله بن محمد بن عبد العزيز ابن المرزبان، أبو القاسم البغوي، الحافظ، الإمام، الحجة، المعمر، مسند العصر البغدادي الدار والمولد والوفاة، أصله من بغشور (بين هراة ومرو الروذ)، ومولده ووفاته ببغداد. كان محدث العراق في عصره، وكان علي بن الجعد أكبر شيخ له، وهو ثبت فيه، مكثر عنه. له تأليف منها: (معجم الصحابة) وكتاب (الجدليات) توفي سنة ٣١٧ هـ. انظر: سير أعلام النبلاء ٤٤٠/١٤.

(٥) معجم الصحابة للبغوي ٢١٦/٥.

(٦) الطبراني: الحافظ الإمام العلامة الحجة أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي الطبراني، مسند الدنيا، سمع بالشام ومصر والحجاز واليمن والعراق فأكثر، وحَدَّث عن ألف شيخ أو يزيدون، كان حسن المحاضرة طيب المُشاهدة، ومن كتبه: (المعجم الكبير) و(المعجم الأوسط) و(المعجم الصغير). توفي سنة ٣٦٠ هـ. انظر: تذكرة الحفاظ ٨٥/٣، الوافي بالوفيات ٢١٣/١٥.

(٧) المعجم الأوسط للطبراني ٢٧٢/٧.

(٨) مالك بن عمير السلمي: صحابي جليل، شهد مع رسول الله ﷺ فتح مكة، وحنيناً والطائف، وكان شاعراً، وعداده في أهل المدينة. الاستيعاب ١٣٥٦/٣، الإصابة ٥٤٩/٥.

يا رسول الله إني امرؤ شاعر، فأفتني في الشعر. فقال: «لأن يمتلئ ما بين لبّتك^(١) إلى عانتك^(٢) قيحاً خيراً من أن يمتلئ شعراً»^(٣).

وزاد الطبراني في (المعجم الكبير): قلت يا رسول الله امسح على رأسي، قال: فوضع يده على رأسي فما قلت بيت شعر بعد^(٤). وزاد البغوي في روايته قول النبي ﷺ: «فإن رابك منه شيء فشبب بامرأتك وامدح راحلتك»^(٥).

فلو كان المراد بالحديث الامتلاء من الشعر الذي هُجِيَ به النبي ﷺ لما أذن له في شيء منه، ولكن دلّت الزيادة الأخيرة على أنه أذن له في المباح منه^(٦).

وبهذا، فتوجيه معنى الحديث إلى تخصيص الشعر المذموم بما هُجِيَ به النبي ﷺ توجيه غير صحيح، لأنه لا دليل على تخصيص المعنى إلا بتلك الزيادة، وهي بدورها لم تثبت عن النبي ﷺ حتى يُستدلّ بها، ولأن القليل من هجوه ﷺ وكثيره سواء في أنه كفر ومذموم، وكذلك هجو غير النبي ﷺ من المسلمين محرّم قليله وكثيره، وحينئذ لا يكون لتخصيص الذم بالكثير معنى^(٧).

(١) لبّتك: من اللبة وهي الهزئة التي فوق الصدر، وفيها تنحر الإبل، وهي موضع القلادة من الصدر. النهاية ٢٢٣/٤، القاموس المحيط، مادة (لب) ١٣٣/١.

(٢) عانتك: من العانة وهي منبت الشعر من قُبُل المرأة والرجل. لسان العرب، مادة (أسب) ٢١٣/١، تاج العروس، مادة (أسب) ٢٥/٢.

(٣) المعجم الأوسط للطبراني ٢٧٢/٧. وقال الطبراني: «لا يروى هذا الحديث عن مالك بن عمير إلا بهذا الإسناد». وذكر الميثمي الحديث في مجمع الزوائد ١٢٠/٨ وقال: «فيه من لم أعرفهم»، وقال الحافظ ابن حجر في موافقة الخبر ٢٢٩/٢ «ضعيف جداً».

(٤) المعجم الكبير للطبراني ٢٩٤/١٩.

(٥) معجم الصحابة للبغوي ٢١٦/٥.

(٦) انظر: فتح الباري ٥٩٤/١٠.

(٧) انظر: تفسير القرطبي ١٥١/١٣.

ثُمَّ إِنَّ مَجِيءَ لَفْظَةِ (الشَّعْر) نَكْرَةً فِي هَذَا الْحَدِيثِ، يُوحِي بِشُمُولِهَا لِكُلِّ أَنْوَاعِ الشَّعْرِ،
الْمَقْبُولِ مِنْهُ وَالْمَذْمُومِ^(١)، وَتَكُونُ حِينَئِذٍ الْعِبْرَةُ بِالْإِمْتِلَاءِ وَالْإِنْشِغَالِ بِالشَّعْرِ عَنْ مَعْرِفَةِ مَا يَجِبُ
عَلَيْهِ مِنْ أَمْرِ دِينِهِ وَإِصْلَاحِ دُنْيَاهُ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

وَمِنْ الْأَحَادِيثِ الَّتِي يُوحِي ظَاهِرُهَا بِذَمِّ الشَّعْرِ، مَا رَوَاهُ عَمْرُو بْنُ شَعِيبٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ
عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: أَنَّهُ نَهَى عَنْ تَنَاشُدِ الْأَشْعَارِ فِي الْمَسْجِدِ^(٢).

فَقَدْ نَهَى النَّبِيُّ ﷺ أَصْحَابَهُ فِي هَذَا الْحَدِيثِ عَنْ تَنَاشُدِ الْأَشْعَارِ فِي الْمَسْجِدِ، «وَهُوَ أَنْ
يُنْشِدَ كُلُّ وَاحِدٍ صَاحِبَهُ نَشِيداً لِنَفْسِهِ أَوْ لغيرِهِ، افْتِخَاراً أَوْ مُبَاهَاةً عَلَى وَجْهِ التَّفَكُّهِ بِمَا
يُسْتَطَابُ مِنْهُ تَرْجِيَةً لِلْوَقْتِ بِمَا تَرْتَكِنُ إِلَيْهِ النَّفْسُ أَوْ لغيرِهِ»^(٣).

يُوحِي النَّهْيُ الْوَارِدُ فِي هَذَا الْحَدِيثِ عَنْ إِنْشَادِ الشَّعْرِ فِي الْمَسْجِدِ بِذَمِّ الشَّعْرِ جُمْلَةً؛
وَلَكِنْ هَذَا الذَّمُّ مُرَدُّدٌ بِمَا وَرَدَ مِنْ أَحَادِيثٍ تُؤَيِّدُ الشَّعْرَ، وَتُرَخِّصُ فِي إِنْشَادِهِ دَاخِلَ
الْمَسْجِدِ^(٤).

وَمِنْ تِلْكَ الْأَحَادِيثِ مَا رَوَاهُ أَبُو هُرَيْرَةَ ﷺ: أَنَّ عَمَرَ ﷺ مَرَّ بِحَسَّانَ وَهُوَ يُنْشِدُ الشَّعْرَ
فِي الْمَسْجِدِ، فَلَحَظَ إِلَيْهِ، فَقَالَ: قَدْ كُنْتُ أَنْشِدُ فِيهِ مِنْ هُوَ خَيْرٌ مِنْكَ، ثُمَّ التَّفَتَ إِلَى أَبِي
هُرَيْرَةَ، فَقَالَ: أَنْشِدْكَ اللَّهُ أَسْمَعْتَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «أَجِبْ عَنِّي. اللَّهُمَّ أَيْدُهُ بِرُوحِ
الْقُدُسِ؟» قَالَ: اللَّهُمَّ نَعَمْ^(٥).

(١) انظر: بحث بعنوان (الأحاديث الصحيحة الواردة في ذَمِّ الشَّعْرِ)/مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية
وآدابها/ العدد ٣٨/ص ١١٧.

(٢) سنن أبي داود، في تفريع أبواب الجمعة، باب التحلق يوم الجمعة قبل الصلاة ٢٨٣/١ (١٠٧٩)، سنن الترمذي،
في أبواب الصلاة، باب ما جاء في كراهية البيع والشراء وإنشاد الضالة في المسجد ١٣٩/٢ (٣٢٢). وقال
الترمذي: «حديث عبد الله بن عمرو بن العاص حديث حسن، وعمرو بن شعيب هو ابن محمد بن عبد الله بن عمرو
بن العاص». سنن النسائي، في المساجد، باب النهي عن تناسد الأشعار في المسجد ٤٨/٢ (٧١٥) واللفظ له. سنن
ابن ماجه، في المساجد والجماعات، باب ما يكره في المساجد ٢٤٧/١ (٧٤٩).

(٣) مرعاة المفاتيح ٤٤٦/٢.

(٤) انظر: سنن الترمذي ١٣٩/٢.

(٥) صحيح البخاري، في بدء الخلق، باب ذكر الملائكة ١١٢/٤ (٣٢١٢). وصحيح مسلم، في فضائل الصحابة،
باب فضائل حسان بن ثابت ﷺ ١٩٣٢/٤ (٢٤٨٥) واللفظ له.

وما روته السيدة عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ يَضَعُ لِحْسَانَهُ مِنْبَرًا فِي الْمَسْجِدِ، فَيَقُومُ عَلَيْهِ يَهْجُو مَنْ قَالَ فِي رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ رُوحَ الْقُدُسِ مَعَ حَسَّانٍ مَا نَافَعَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ»^(١).

وقد عُلِّقَ الإمام النووي^(٢) على هذا الحديث بقوله: «فيه جوازُ إنشاد الشعر في المسجد، إذا كان مُباحاً، واستحبابه إذا كان في مباح الإسلام وأهله، أو في هجاء الكفار، والتَّحْرِيزُ على قتالهم أو تحقيرهم، ونحو ذلك، وهكذا كان شعر حَسَّان»^(٣).

كما أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَقَرَّ أَصْحَابَهُ عَلَى إِنْشَادِ الشَّعْرِ وَاسْتِمَاعِهِ فِي الْمَسْجِدِ، كَمَا فِي الْحَدِيثِ الَّذِي رَوَاهُ جَابِرُ بْنُ سَمْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: شَهِدْتُ النَّبِيَّ ﷺ أَكْثَرَ مِنْ مِئَةِ مَرَّةٍ فِي الْمَسْجِدِ وَأَصْحَابَهُ يَتَذَكَّرُونَ الشَّعْرَ، وَأَشْيَاءَ مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ فَرُبَّمَا تَبَسَّمَ مَعَهُمْ»^(٤).

وقد اعتنى العلماء بالجمع بين أحاديث النَّهْيِ عَنْ إِنْشَادِ الشَّعْرِ فِي الْمَسْجِدِ وَإِبَاحَتِهِ مِنْ عِدَّةٍ وَجُوهٍ، فَحَمَلَ بَعْضُهُمُ النَّهْيَ عَلَى التَّنْزِيهِ وَالرُّخْصَةِ عَلَى بَيَانِ الْجَوَازِ^(٥). وَاتَّفَقُوا «عَلَى جَوَازِ إِنْشَادِ الشَّعْرِ الْمُبَاحِ فِي الْمَسْجِدِ، وَحَمَلَ بَعْضُهُمْ حَدِيثَ عَمْرِو بْنِ شَعِيبٍ عَلَى أَشْعَارِ الْجَاهِلِيَّةِ وَمَا لَا يَلِيْقُ ذِكْرُهُ فِي الْمَسَاجِدِ.

(١) سبق تخريج الحديث انظر: ص ٢٧.

(٢) النووي: يحيى بن شرف الدين النووي أبو زكريا، من قرية نوى كان -رحمه الله- إماماً بارعاً حافظاً متقناً اتقن علوم ما شتى وبارك الله في علمه وتصانيفه لحسن قصده، وكان شديد الورع والزهد أماراً بالمعروف ناهياً عن المنكر تحابه الملوك، تاركاً لجميع ملاذ الدنيا، ولم يتزوج وولي مشيخة دار الحديث متابعاً السالفين من أهل السنة والجماعة لا يصرف ساعة في غير طاعة مع التفتن في أصناف العلوم فقها ومتون أحاديث وأسماء رجال ولغة وتصوفا وغير ذلك. من مصنفاته: (المنهاج في شرح مسلم)، و(رياض الصالحين) وغيرها الكثير. توفي -رحمه الله- سنة ٦٧٦ هـ. انظر: طبقات الشافعية الكبرى ٨ / ٣٩٥، طبقات الحفاظ للسيوطي ص ٥١٣.

(٣) شرح صحيح مسلم للنووي ٤٥ / ١٦.

(٤) سبق تخريج الحديث انظر: ص ٣٠.

(٥) انظر: حاشية السندي على سنن النسائي ٤٨ / ٢.

قال الحافظ ابن حجر: «أن يُحْمَلَ النَّهْيُ عَلَى تَنَاشُدِ أَشْعَارِ الْجَاهِلِيَّةِ وَالْمُبْطِلِينَ، وَالْمَأْذُونِ فِيهِ مَا سَلِمَ مِنْ ذَلِكَ»^(١).

كما بَوَّبَ الإمام النسائي حين ذكر قصة حَسَّانَ رضي الله عنه مع عمر بن الخطاب بقوله: باب الرُّخْصَةِ فِي إِنْشَادِ الشَّعْرِ الْحَسَنِ^(٢).

وقال ابن رجب^(٣): «والصحيح في الجواب أَنَّ أَحَادِيثَ الرُّخْصَةِ صَحِيحَةٌ كَثِيرَةٌ فَلَا تَقَاوِمُ أَحَادِيثَ الْكَرَاهَةِ فِي أَسَانِيدِهَا وَصِحَّتِهَا»^(٤).

تَبَعاً لِمَا سَبَقَ، فَالشَّعْرُ إِنْ كَانَ فِيهِ مَدْحُ الدِّينِ وَإِقَامَةُ الشَّرْعِ؛ فَهُوَ خَارِجٌ عَنِ النَّهْيِ؛ فَقَدْ فَعَلَهُ كُلُّ مَنْ حَسَّانَ بْنِ ثَابِتٍ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ فِي مَسْجِدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَفِي حَرَمِ اللَّهِ تَعَالَى فِي مَكَّةَ، وَالْحَرَمِ مَسْجِدُ كُلِّهِ^(٥).

وقد يَكُونُ النَّهْيُ الْوَارِدُ عَنْ تَنَاشُدِ الْأَشْعَارِ فِي الْمَسْجِدِ قَدْ قِيلَ بِسَبَبِ هَيْئَةٍ مُعَيَّنَةٍ كَانَ عَلَيْهَا ذَلِكَ الْإِنْشَادُ، فَرُبَّمَا يَكُونُ زَادٌ عَنِ الْحَدِّ الْمَسْمُوحِ بِهِ، فَأَصْبَحَ يُشَكَّلُ نَوْعاً مِنَ التَّشْوِيشِ، وَالْإِنْشَغَالِ بِهِ عَنْ قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَالتَّسْبِيحِ وَالذِّكْرِ، وَبِخَاصَّةٍ أَنْ لَفْظَةَ التَّنَاشُدِ تَدُلُّ عَلَى الْمُشَارَكَةِ بَيْنَ الْحَاضِرِينَ^(٦). يَقُولُ الْحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ: «وَقِيلَ الْمَنْهِيُّ عَنْهُ مَا إِذَا كَانَ التَّنَاشُدُ غَالِباً عَلَى الْمَسْجِدِ حَتَّى يَتَشَاغَلَ بِهِ مِنْ فِيهِ»^(٧).

(١) فتح الباري ١/٥٤٩.

(٢) سنن النسائي ٢/٤٨.

(٣) ابن رجب: الإمام الحافظ المحدث الفقيه الواعظ زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب السلامي البغدادي ثم الدمشقي الحنبلي، ولد في بغداد ونشأ وتوفي في دمشق. كان بارعاً في التفسير، يحفظ المتون ويعرف أسماء الرجال، مشهوراً بقوة الحفظ وعدم النسيان والقيان بالأمر والمعروف والنهي عن المنكر، وكانت له سمعة وصيت من تصانيفه: (شرح جامع الترمذي)، و(القواعد الفقهية) و(فتح الباري) في شرح صحيح البخاري، وغيرها. توفي سنة ٧٨١هـ. انظر: ذيل طبقات الحفاظ ص ٢٤٣، الأعلام ٣/٢٩٤-٢٩٥.

(٤) فتح الباري لابن رجب ٣/٣٣٥.

(٥) انظر: المنهيات ١/١٥٧-١٥٨، تحفة الأحوزي ٢/٢٢٩.

(٦) الأحاديث الصحيحة الواردة في ذم الشعر، مجلة جامعة أم القرى/ ص ١١٧.

(٧) فتح الباري ١/٥٤٩.

كما قد يكونُ النَّهْيُ مُحَدَّداً بأوقاتٍ مُعَيَّنة، كالوقت الذي بين الأذان والإقامة مثلاً، أو الوقت الذي بعد الصلاة مباشرةً، لأنهما من أوقات الذكر والتسبيح. أمَّا في سائر الأوقات فلا نهي ولا حرج في إنشاد الشعر^(١).

وعلى ذلك فإنشاد الشعر جائز في المسجد إن كان ضمن الضوابط التي وضعها العلماء، وهي أن لا يشغل المصلين أو يشوش عليهم، وأن لا يغلب على المسجد حتى يُصْبِحَ حلبةً لتناشد الأشعار.

- ومما ما ورد عنه ﷺ فيما يوحى ظاهره بدم الشعر عامة، ما رواه ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ، وَهَمْزِهِ وَنَفْخِهِ وَنَفْثِهِ»^(٢). قال: هَمْزُهُ الْمَوْتَةُ^(٣)، وَنَفْثُهُ الشَّعْرُ، وَنَفْخُهُ الْكِبَرُ^(٤).

يستعيدُ النبي ﷺ في هذا الحديث مما يُسببه الشَّيْطَانُ؛ كالجنون والصَّرع، والكبر، ومن نفث الشيطان؛ وهو الشعر، وقد سمَّاهُ النبي ﷺ نَفْثاً؛ لأنه كالشيء ينفثه الإنسان من فيه مثل الرقية ونحوها^(٥).

(١) الأحاديث الصحيحة الواردة في دم الشعر، مجلة جامعة أم القرى / ص ١١٨.

(٢) سنن ابن ماجه، في إقامة الصلاة والسنة فيها، باب الاستعاذة في الصلاة، ٢٦٦/١ (٨٠٨). والحديث في إسناده مقال، قال في الزوائد: «هذا إسناد ضعيف عطاء بن السائب اختلط بآخره وسمع منه محمد بن الفضيل بعد الاختلاط وقد قيل إن أبا عبد الرحمن السلمي لم يسمع من ابن مسعود». مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه ١٠٣/١. وذكره الحاكم بهذا الإسناد وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد وقد استشهد البخاري بعطاء بن السائب!!». وللحديث شاهد رواه أبوداود ٢٠٦/١، والترمذي ٩/٢ من حديث أبي سعيد الخدري، وله كذلك شاهد وطرق يتقوى بها. انظر: سنن ابن ماجه ٩/٢ بتحقيق الشيخ الأرناؤوط.

(٣) الموتة: الغشي، وهي نوع من الجنون والصرع يعتري الإنسان، فإذا أفاق عاد إليه كمال العقل، كالنائم والسكران. لسان العرب، مادة (موت) ٩٣/٢، تاج العروس، مادة (موت) ١٠٦/٥، وإثماً سماه همزاً لأنه جعله من النخس والغمز. انظر: الفائق في غريب الحديث ١١٢/٤.

(٤) سُمِّيَ الْكِبَرُ نَفْثاً لما يوسوس إليه الشَّيْطَانُ في نفسه فيعظمها عنده ويحقر الناس في عينه حتى يدخله الزهو. الفائق في غريب الحديث ١١٢/٤.

(٥) الفائق في غريب الحديث ١١٢/٤.

وتفسير نفث الشيطان بالشَّعر في حديث ابن مسعود هو من تفسير الراوي، وهو وإن ورد في بعض الروايات مرفوعاً^(١) إلى النبي ﷺ فمحمولٌ على أن المراد به الشَّعر المذموم الفاسد القبيح، ويؤكد هذا التخصيص للمعنى استعاذه النبي ﷺ منه، والنبيُّ صلوات الله عليه لا يستعيذُ إلا من قبيح.

بالإضافة إلى أن الحديث لو أخذَ على ذمِّ عموم الشَّعر لعارضَ ما سبق ذكره من الأحاديث المؤيدة للشعر، وهو من المُحال في كلام النبي ﷺ، إذ إنه كما وصفه الله تعالى: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم: ٣-٤].

فيكونُ المستعاذ منه هنا هو الشَّعر الخبيث الذي نفثه الشيطان، فلا خيرَ فيه ولا خيرَ لصاحبه منه. قال أبو عبيد: «وليسَ معناه إلا الشَّعر الذي كانَ المشركون يقولونه في النبيِّ عليه السلام وأصحابه؛ لأنه قد رويت عنه رخصة في الشَّعر من غير الشَّعر الذي قيلَ فيه وفي أصحابه»^(٢).

كما نصَّ الإمام السَّندي^(٣) على أن المقصود به إنما هو الشَّعر المذموم فقط، فقال: «المُرَاد الشَّعر المذموم، وإلا فقد جاء أن من الشَّعر لحكمة»^(٤).

(١) وقد وردت التفسيرات الثلاثة مرفوعةً إلى النبي ﷺ من حديث جبير بن مطعم رضي الله عنه في مسند أحمد، من حديث جبير بن مطعم، ٣٠٢/٢٧ (١٦٧٣٩).

(٢) غريب الحديث للقاسم بن سلام ٧٨/٣.

(٣) السندي: الشيخ الإمام العالم العلامة المحدث الكبير أبو الحسن نور الدين محمد بن عبد الهادي الحنفي السندي الأصل والمولد، نزيل المدينة المنورة، ولد ببلدة (تته) من إقليم السند ونشأ بها ثم سافر إلى تستر وأخذ بها عن جملة من الشيوخ، ثم رحل إلى المدينة المنورة وسكن بها ودرس في الحرم الشريف النبوي، واشتهر بالفضل والذكاء والصلاح، وألف مؤلفات نافعة أشهرها (الحواشي الستة على الصحاح الستة) إلا أن حاشيته على جامع الترمذي ما تمت، وله حاشية نفيسة على مسند الإمام أحمد بن حنبل. توفي سنة ١٣٨ هـ ودفن بالبقيع. انظر: نزهة الخواطر ٦/٦٨٥.

(٤) حاشية السندي على سنن ابن ماجه ٢٧٠/١.

وهذا يتَّضح أن الاستعاذة من الشَّعر في الحديث مقرونة بالشَّعر الشيطانيِّ القبيح، لما يُحدِّثه من ضررٍ على قائله ومنشده وسامعه، كأن يكون هجاءً مثلاً فيصير سبّةً لمن قيل فيه، فيأثم قائله على قوله، وراويَه على روايته وإنشاده. وأمّا الشَّعر الحسن الملتزم الذي يؤدي رسالته في الدِّفاع عن الإسلام، وحماية الأعراض، ونشر الفضائل، والانتصار للحق، فهو ليس من نفث الشيطان، وإنما توفيقٌ من الرحمن، و بابٌ خيرٍ لقائله وللمسلمين عامة، فأما لقائله؛ فلأنه يؤجّرُ على قوله، وأمّا للمسلمين؛ فلأنه يُقال في الدِّفاع عنهم، والردُّ على خصومهم، وبثِّ حمية الإسلام في نفوسهم^(١).

كما روي عنه ﷺ ما يدلُّ على أنه حرَّم الشَّعر وأنه كان أبغضَ الحديث إليه، وأنَّه كان ينهى أن يكون صحيب الإنسان في سفره!!

فقد روي عن معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه أنه خطبَ الناسَ بمحصر فذكرَ في خطبته: أنَّ رسول الله ﷺ حرَّم أشياءَ فنهى الناسَ عنها وذكرَ منها الشَّعر^(٢).

(١) انظر: الأحاديث الصحيحة الواردة في ذم الشَّعر، مجلة جامعة أم القرى/ص ١١٩.

(٢) أخرج الحديث عن عبد الله بن دينار عن أبي حريز مولى معاوية عن معاوية أحمد في مسنده، من حديث معاوية بن أبي سفيان، ١٣١/٢٨ (١٦٩٣٥)، والطبراني في المعجم الكبير ٣٧٣/١٩. والحديث بهذا الإسناد ضعيف؛ لجهالة أبي حريز وضعف عبد الله بن دينار البهراني الحمصي. انظر: ميزان الاعتدال ٤٧٦/١، تقريب التهذيب ص ٣٠٢. وأخرجه عن محمد بن مهاجر عن كيسان عن معاوية البخاري في التاريخ الكبير ٢٣٤/٧، وأبو يعلى في مسنده ٤٣١/٤، والطبراني في المعجم الكبير ٣٧٣/١٩، وإسناده ضعيفٌ كذلك لجهالة كيسان. انظر: تقريب التهذيب ص ١٥٧. وذكر الهيثمي الحديث في المجمع ١٢٠/٨ وقال: «رواه النسائي باختصار. ورواه الطبراني بإسنادين رجال أحدهما ثقات». إلا أنني لم أجِد الحديث في سنن النسائي الصغرى ولا الكبرى، ووجدته مختصراً في سنن ابن ماجه، في الجنائز، باب ما جاء في النهي عن النياحة، ٥١٧/٢ (١٥٨٠).

وعن أبي نوفل بن أبي عقرب^(١) قال: سألت عائشة: هل كان رسول الله ﷺ يتسامع عنده الشعر؟! قالت: «كان أبغض الحديث إليه»^(٢).

وعن عقبة بن عامر أن النبي ﷺ قال: «ما من راكب يخلو في مسيره بالله وذكره إلا ردفه»^(٣) ملك، ولا يخلو بشعر ونحوه إلا ردفه شيطان»^(٤).

إن المراد بالشعر المحرم في الحديثين الأول والثاني، الشعر المذموم الذي فيه فحش ونحوه^(٥)، أما الشعر الحسن فقد صح عنه ﷺ استنشاده واستماعه وإقراره له.

ومن الممكن أن السيدة عائشة رضي الله عنها حين سئلت عما إذا كان الشعر يتسامع في مجلس النبي ﷺ فأجابت في ذلك -أي في كونه أبغض الحديث إليه- لاحتمال أنها ﷺ ظنت أن السائل يسألها إن كانت مجالس النبي ﷺ من المجالس التي يتسامع فيها الشعر على الدوام والاستمرارية، فأجابت بما يدل على بغضه ﷺ لعلبة الشعر على مجالسه.

أما بالنسبة للحديث الثالث ففيه نهي عن ملازمة الشعر ونحوه من لغو الكلام في السفر، مما يشغل عن ذكر الله تعالى ويجعل القلب عرضة لمصاحبة الشيطان واستقراره^(٦).

(١) أبو نوفل بن أبي عقرب: واسم أبي نوفل معاوية بن مسلم روى عن ابن عباس وابن الزبير وعائشة رضي الله عنهم وروى له البخاري في (الأدب)، ومسلم، وأبو داود، والنسائي، قال عنه يحيى بن معين: ثقة وذكره ابن حبان في الثقات. انظر: رجال صحيح مسلم ٢/٢٣٧، الثقات لابن حبان ٥/٣٩٦، تهذيب الكمال ٤/٣٥٨.

(٢) مسند أحمد، من مسند عائشة رضي الله عنها، ٤١/٤٧٥ (٢٥٠٢٠)، وذكره الهيثمي وقال: «رواه أحمد، ورجاله رجال الصحيح» مجمع الزوائد ٨/١١٩، وقال البوصيري عن إسناده أنه صحيح وعلى شرط مسلم. إتحاف الخيرة المهرة ٦/١٤٤.

(٣) ردفه: أي ركب معه خلفه. التيسير بشرح الجامع الصغير ٢/٣٦١.

(٤) المعجم الكبير للطبراني ١٧/٣٢٤. وقال الهيثمي: «إسناده حسن» مجمع الزوائد ١٠/١٣١.

(٥) انظر: التيسير بشرح الجامع الصغير ٢/٩٠٨، بلوغ الأمان ١/٣٥٤٨.

(٦) انظر: التيسير بشرح الجامع الصغير ٢/٣٦١.

وغالباً فالنهيّ مخصوصٌ هنا بقضاءِ وقتِ السفر كله في الشَّعر واللَّهو، وهذا مما لا يُناسبُ المسافرين وإنما يناسبُه أن يَظَلَّ قلبه متعلّقاً بالله، يرجو حفظه ويأملُ خِلافته له فيما تركَ بعده، عائداً مما قد يلقاه من الوُعْثاءِ وسوءِ المنقَلَبِ في الأهلِ والمالِ والولد^(١).

وروي عن عبد الله بن عمرو بن العاص في النهي عن الشَّعر قوله: «مَنْ قَرَضَ^(٢) بَيْتَ شَعْرٍ بَعْدَ الْعِشَاءِ، لَمْ يُقْبَلْ لَهُ صَلَاةٌ حَتَّى يُصْبِحَ^(٣)»^(٤).

من المعلوم أنَّ الصحابي الجليل عبدالله بن عمرو رضي الله عنه من العبادلة الفقهاء المعروفين بغزارة العلم، وصدور هذا القول عنه يؤكد أن لديه مستنداً لمعناه . وقد ثبتَ هذا القول عنه رضي الله عنه على سبيل التقرير مما يستلزمُ أحد أمرين: إما أن يكون الحديثُ موقوفاً وله حكمُ الرفع، أو أنه موقوف ويكون في هذه الحالة محض اجتهاد من عبدالله بن عمرو رضي الله عنه.

إن الذي يظهر في هذا الحديث أن له حكم الرفع، لما ترتب على كلامه رضي الله عنه من الحكم الشرعي الذي ترتب عليه عقاب، وهذا من نماذج الحديث المرفوع حُكماً عند علماء مصطلح الحديث.

(١) انظر: بحثٌ بعنوان ذميمة الشَّعر في التصور الإسلامي / مجلة البحوث الإسلامية / ص ٣٦٠-٣٦١.

(٢) أي قال الشَّعر وأنشده، والقريض: الشَّعر. انظر: النهاية ٤/٤١، لسان العرب، مادة (قرض) ٧/٢١٨.

(٣) يُصْبِحُ: أي يدخل في الصباح. فيض القدير ٦/٢٠٤.

(٤) تاريخ دمشق ٦٣/١٣٧. والحديثُ اختُلِفَ في رفعه ووقفه على عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه والصحيح وقفه. انظر: علل ابن أبي حاتم ٢/٢٦٣، اللآلئ المصنوعة للسيوطي ١/١٩٩، الفوائد المجموعة للشوكاني ص ٢٩٤. وقد روى الحديثُ مرفوعاً من طريق شداد بن أوس رضي الله عنه: الإمام أحمد في مسنده ٢٨/٣٥٦ (١٧١٣٤)، والبزار في مسنده ٨/٤٠١، والطبراني في المعجم الكبير ٧/٢٧٨، والبيهقي في شعب الإيمان ٧/١٠٣، وابن الجوزي في الموضوعات ١/٢٦١، وعبد الغني المقدسي في جزء أحاديث الشَّعر ص ٩٦. وحديثُ شَّدَادِ إسناده ضعيفٌ ومُعَلَّل. انظر: المغني في الضعفاء ١/٣٢١، مجمع الزوائد ١/٣١٥ - ٨/١٢٢، تعجيل المنفعة ١/٧٠٣.

قال السخاوي^(١): «ومنه وهو المرفوع ما لا تعلق للسان به، ولا مجال للرأي فيه؛ كتفسير أمرٍ مُعَيَّب من أمرِ الدُّنيا، أو الآخرة، أو الجنة أو النار، وتعيين ثوابٍ أو عقابٍ، ونحو ذلك»^(٢). وتوارد على هذا الكلام علماء المصطلح.

وقال الصنعاني^(٣): «والإخبار عن عمل يحصل به ثواب مخصوص أو عقاب مخصوص فهذه أشياء لا مجال للاجتهاد فيها فيحكم لها بالرفع»^(٤).

فإذا خالصنا أنه من سبيل الموقوف الذي له حكم المرفوع، فهل يدل إذاً على أن قرض الشُّعر مطلقاً من المعاصي؟ أم يُجمع بينه وبين النصوص الأخرى التي صحَّ فيها أنه ﷺ استمع للشعر في الحضر والسفر؟.

من المعلوم أن منهج أهل العلم الجمع بين النصوص ليتبين العام من الخاص، والمطلق من المقيد ونحو ذلك، وهذا ما اعتمده العلماء في شرحهم لهذا الحديث، فحملوا المعنى على تخصيص الشُّعر المذموم بالشُّعر الذي فيه هجوٌ أو إفراطٌ في مدحٍ أو تعزُّلٌ بنحو أمرٍ أو أجنبية أو خمر، بخلاف الشُّعر الحسن الذي يُنظَّم ويُقال في الزهد والرقائق وذم الدنيا^(٥).

(١) السخاوي: محمد بن عبد الرحمن السخاوي، محدِّث ومؤرخ، أصله من قرية سخا بمصر. برع في علوم كثيرة، كالفقه، والحديث والنحو والتاريخ. وُلِدَ بالقاهرة ونشأ بها، رحل كثيراً في طلب العلم، وأخذ عن كثير من الشيوخ، ومن أبرزهم: الحافظ ابن حجر العسقلاني، الذي لازمه أشد الملازمة، له مؤلفات كثيرة، من أهمها: (فتح المغيـث شرح فيه ألفية العراقي في علوم الحديث)، (المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة)، (الضوء اللامع في أعيان القرن التاسع). توفي سنة ٩٠٢هـ. انظر: الضوء اللامع ٨/٢، الكواكب السائرة ٥٣/١، شذرات الذهب ٧٦/١.

(٢) فتح المغيـث ١٢٤/١.

(٣) الصنعاني: محمد بن إسماعيل بن صلاح بن محمد الحسني، الكحلاني ثم الصنعاني، ولد بكحلان ونشأ وتوفي بصنعاء، برع في جميع العلوم وفاق الأقران، ترأس العلم بصنعاء وكان مجتهداً، أصيب بمحن كثيرة من الجهلاء والعوام في عصره، له نحو مئة مؤلف منها: (توضيح الأفكار شرح تنقيح الأنظار)، (سبل السلام شرح بلوغ المرام) وغيرها الكثير. توفي سنة ١١٨٢هـ. انظر: البدر الطالع ١٣٣/٢، الأعلام ٣٨/٦-٣٩.

(٤) توضيح الأفكار ٢٨١/١.

(٥) انظر: فيض القدير ٢٠٤/٦، التيسير بشرح الجامع الصغير ٤٣٨/٢.

فيكون المعنى محمولاً على إنشاء الشعر الذي فيه مخالفة شرعية، وليس المقصود به كل شعر.

وتجدر الإشارة هنا، أنه قد ثبت عن النبي ﷺ كراهية السمر^(١) والحديث بعد العشاء، فقد كان من هديه ﷺ أن لا ينام قبل العشاء ولا يسمر بعدها^(٢).

فالسمر بعد العشاء مكروه إذا كان مشتتاً على اللغو من الأقوال أو الأفعال، واعتبر الصحابة رضي الله عنهم وكذا العلماء أن الشعر من لغو الأقوال والأفعال، فيدخل في الكراهة الواردة في الحديث النبوي، لأنه لا يأتي بفائدة عظيمة كطلب العلم أو البحث في أمور المسلمين.^(٣)

وبهذا يتضح خلو الأحاديث المذكورة من أي تهوين لشأن الشعر أو حط من قدره أو تقليل لدوره، إذ إنها تتوجه بالذم إلى نوع خاص، وفي حالات ومناسبات محددة بذاتها، لا إلى فن الشعر في عمومته وعلى إطلاقه.

(١) السمر: المقصود به السهر بعد صلاة العشاء، والسمر هو ضوء القمر، ويوصف الإنسان بكونه سامراً لأن الناس كانوا يسلمون تحت ضوء القمر، والمسامرة هي الحديث بالليل. انظر: النهاية ٤٠٠/٢، لسان العرب، مادة (سمر) ٣٧٧/٤.

(٢) في الحديث عن عائشة رضي الله عنها قالت: «ما نام رسول الله ﷺ قبل العشاء ولا سمر بعدها». سنن ابن ماجه، في الصلاة، باب النهي عن النوم قبل صلاة العشاء وعن الحديث بعدها، ٢٣٠/١ (٧٠٢). قال مغلطاي: «هذا حديث إسناده صحيح». شرح سنن ابن ماجه ص ١٠٧٥. وأصل الحديث في الصحيحين عن أبي برزة الأسلمي رضي الله عنه. انظر: صحيح البخاري، في مواقيت الصلاة، باب ما يكره من السمر بعد العشاء، ١٢٣/١ (٥٩٩)، وصحيح مسلم، في المساجد ومواضع الصلاة، باب استحباب التبكير بالصبح، ٤٤٧/١ (٦٤٧).

ويؤيد المعنى ما أخرجه الإمام أحمد عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «لا سمر إلا لأحد رجلين: لمصل أولمسافر». مسند أحمد، من مسند عبد الله بن مسعود، ٣٣/٧ (٣٩١٧).

(٣) انظر: شرح معاني الآثار ٣٣٠/٤، مرقاة المفاتيح ٥٢٥/٢، نيل الأوطار ١٩/٢.

• المطلب الثاني: الأحاديث الواردة في ذم نوع من الشعر.

رويت عن النبي ﷺ أحاديث تشتمل على ذم نوع من الشعر وهو القبيح الذي يخالف روح الإسلام وتعاليمه، فلا يخلو من فحشٍ أو كذبٍ أو هتك عرض، فنراه ﷺ وهو المعلم الأول يزجر قائله ويتوعدده بالعقاب.

فمما صح من الأحاديث الواردة في ذم ما قُبِح من الشعر قوله ﷺ في الهجاء القادح^(١): «إن أعظم الناس فريةً، لرجلٌ هاجى رجلاً، فهجا القبيلة بأسرها، ورجلٌ انتفى من أبيه وزنى^(٢) أمه»^(٣).

يبيّن الرسول ﷺ في هذا الحديث أن أعظم الناس كذباً اثنان: أحدهما رجلٌ هجا رجلاً آخر؛ فوسّع دائرة هجائه له حتى طال القبيلة التي لا ذنب لها، وسبّ من لا يعرفه، فهذا النوع من الشعر مذموم؛ لأن الشتم بالشعر مما يستحليه اللسان، ويرويه كل إنسان ويبقى على مر الأزمان^(٤). وأما الثاني: فرجلٌ تبرأ من نسبه لأبيه، فجعل أمه بذلك زانيةً فهو بذلك نهش في الأعراض وأفاض بفاحش القول، فكذب وافتري ووقع في الحرام، فقوله مذموم لما يترتب عليه من قبائح عديدة لا تنحصر من خلط النسب وعقوق الأب، وقطيعة الرحم^(٥).

(١) الهجاء القادح: هو ذكر المساوئ والشتم بالشعر. غريب الحديث للحري ١٠٩٣/٣، القاموس المحيط، مادة (هجا) ١٧٣٣/١.

(٢) زنى: من التزنية، أي نسبها إلى الزنا، لأن كونه ابناً للغير لا يكون إلا بذلك. انظر: لسان العرب، مادة (زنى) ٣٥٩/١٤.

(٣) سنن ابن ماجه، في الأدب، باب ما كره من الشعر، عن عائشة رضي الله عنها ١٢٣٧/٢ (٣٧٦٠). والحديث صححه ابن حبان ١٠٢/١٣، وحسنه ابن حجر في الفتح. انظر: فتح الباري ٥٣٩/١٠. وقال في الزوائد: «هذا إسنادٌ صحيح ورجاله ثقات». مصباح الزجاجة ١٢٣/٤.

(٤) انظر: حاشية السندي على ابن ماجه ١١٤/٢، التنوير شرح الجامع الصغير ٥٠٧/٢.

(٥) انظر: فيض القدير ٧/٢، التنوير شرح الجامع الصغير ٥٠٧/٢.

وفي الحديث توجيهٌ للشعراء إلى انتهاج أسلوبٍ يجنبهم تعميم الهجاء على قوم المهجو وقبيلته، ويحمّلهم مسؤولية التزام الدقة فيما يقولون^(١).

وامتداداً لهذا المعنى في ذم الشعر القبيح نجده ﷺ يهدّد من يقوله بقطع لسانه، فقد ثبت في الحديث الذي رواه البزار^(٢) في مسنده عن بُريدة بن الحصيب الأسلمي رضي الله عنه: «أنَّ النَّبِيَّ ﷺ قال: «مَنْ قَالَ فِي الْإِسْلَامِ شِعْراً مُقْدِعاً^(٣) فَلِسَانُهُ هَدَرٌ^(٤)»^(٥).

وأخرج الطبراني بالمعنى نفسه حديثاً عن أبي أمامة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «مَنْ أَحْدَثَ هِجَاءً فِي الْإِسْلَامِ فَاقْطَعُوا لِسَانَهُ»^(٦). قال عبد الله بن أحمد بن حنبل^(٧): أي معناه هجا الإسلام^(٨).

(١) الإسلام والشعر ص ٥٠. وسيأتي تفصيل غرض الهجاء وضوابطه في فصل (أغراض الشعر في السنة النبوية).

(٢) البزار: هو أحمد بن عمرو بن عبد الخالق أبو بكر البزار، حافظ علامة من علماء الحديث من أهل البصرة، حدث في آخر عمره بأصبهان وبغداد والشام. صاحب المسند الكبير المعلن المسمى : (البحر الزاخر) والثاني صغير. توفي في الرملة سنة ٢٩٢هـ. انظر: تذكرة الحفاظ ١٦٦/٢، الأعلام ١٨٩/١.

(٣) مُقْدِعاً: هو الذي فيه قذعٌ، وهو الفحش من الكلام الذي يقبح ذكره. النهاية ٢٩/٤. لسان العرب، مادة (قذع) ٢٦٢/٨.

(٤) الهدر: هو الساقط الباطل الذي لا قود فيه ولا عقل. والمعنى: أي من يقطع لسانه في هذه الحالة فلا قصاص عليه ولا دية. انظر: النهاية ٢٥٠/٥، تاج العروس، مادة (هدر) ٤١١/١٤.

(٥) مسند البزار ٢٩٠/١٠ وعلق عليه بقوله: «وهذا الحديث لا نعلم رواه عن النبي ﷺ بهذا اللفظ إلا بريدة». والحديث في جزء أحاديث أبي محمد بن حيان ص ٢٢٧، وفي شعب الإيمان ١٠٢/٧. وذكره الهيثمي وقال: «رجاله ثقات وفي بعضهم خلاف». مجمع الزوائد ١٢٦/٨.

(٦) المعجم الكبير ٩٢/٨، تاريخ دمشق ٤٠٩/١٤. وهو ضعيف، قال الهيثمي: «فيه إسحاق بن أبي فروة وهو متروك». مجمع الزوائد ١٢٦/٨.

(٧) عبد الله بن أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني البغدادي، أبو عبد الرحمن: حافظ للحديث، من أهل بغداد. له تصانيف منها: (الزوائد) على كتاب الزهد لأبيه، و (زوائد المسند) زاد به على مسند أبيه نحو عشرة آلاف حديث. توفي سنة ٢٩٠هـ وله من العمر ٧٧ سنة. انظر: تهذيب التهذيب ١٤١/٥-١٤٢، طبقات الحنابلة ١٨٠-١٨٨.

(٨) المعجم الكبير ٩٢/٨.

فسواءً هجا الإسلام أو هجا المسلمين بقدر أعراضهم أو اتهامهم بالردائل والنقائص والشبهات، فالشعر بهذه الحالة مذمومٌ وغير مقبول.

● المطلب الثالث: الأحاديث الواردة في ذم الشعراء.

قبل أن نسوق الأحاديث التي ورد فيها ذمٌ للشعراء، يجدر بنا أن نستعرض موقف القرآن الكريم منهم، فلعلَّ أهم ما ينطلق منه البحث في هذا المطلب، هو قوله تعالى في سورة الشعراء: ﴿وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ﴿٢٢٦﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٧﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٨﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا ﴿٢٢٩﴾ وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ ﴿٢٣٠﴾﴾ [الشعراء: ٢٢٤-٢٢٧].

وصف الله تعالى شعراء الكفار بهذا الوصف الذميم؛ لأنهم كانوا يهجون رسول الله ﷺ ويتكلمون بالكذب والباطل، فيجتمع إليهم غواة الناس يستمعون إلى أشعارهم القبيحة في هجائه ﷺ.

ثم جاء الاستثناء من ربِّ العالمين لشعراء المسلمين من هذا الوصف؛ بما أنهم كانوا يُجيبون شعراء الجاهلية ويهجونهم وينافحون عن النبي ﷺ وأصحابه^(١).

فنجد أن الآيات الكريمة تناولت الشعراء من حيث أنهم فريقين، فجاهلت مسلك الشعراء الضالين في أهوائهم وانفعالاتهم وأحلامهم وسلوكهم، وأعلت من شأن الشعراء المؤمنين الداعين إلى الحق والخير، واستثنتهم من الوصف الذميم، فالنتيجة أنها لم تأت لتحقر كل الشعراء بل لتمييز بين منهجين في الشعر وفريقين من الشعراء.

ولم يكن موقف النبي ﷺ من الشعراء إلا امتداداً لموقف القرآن الكريم، فلم يرد عنه ﷺ ذم الشعراء على العموم، بل كان الذم مخصوصاً بأحوال معينة.

(١) انظر: تفسير البغوي ٣/٤٨٤-٤٨٥.

فقد صح عنه ﷺ في الحديث الذي أخرجه مسلم من رواية أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنه قال: «بَيْنَا نَحْنُ نَسِيرُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِالْعَرَجِ^(١)، إِذْ عَرَضَ شَاعِرٌ يُنْشِدُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «خُذُوا الشَّيْطَانَ أَوْ أَمْسِكُوا الشَّيْطَانَ، لَأَنْ يَمْتَلِي جَوْفُ رَجُلٍ قَيْحًا، خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَمْتَلِي شِعْرًا»^(٢).

ولعلَّ الشاعر الذي سَمَّاهُ النَّبِيُّ ﷺ بالشَّيْطَانَ لم يكن مسلماً، أو كان مسلماً لكنه يُنْشِدُ شِعْرًا مُخَالِفًا لِمَنْهَجِ الْإِسْلَامِ، أو لعله ممن غَلَبَ عَلَيْهِ الشَّعْرُ فلم يُرَدِّدْ شَيْئاً سِوَاهُ؛ وَيُؤَيِّدُ كُلَّ ذَلِكَ وَصْفُ النَّبِيِّ ﷺ لَهُ بِالشَّيْطَانَ، وَالشَّيْطَانَ لَا يَصْدُرُ مِنْهُ إِلَّا كُلُّ شَيْءٍ خَبِيثٍ. يقول الإمام النووي: «وَأَمَّا تَسْمِيَةُ هَذَا الرَّجُلِ الَّذِي سَمِعَهُ يُنْشِدُ (شَيْطَانًا) فَلَعَلَّهُ كَانَ كَافِرًا، أَوْ كَانَ الشَّعْرُ هُوَ الْغَالِبُ عَلَيْهِ، أَوْ كَانَ شِعْرُهُ هَذَا مِنَ الْمَذْمُومِ... وَبِالْجُمْلَةِ فَتَسْمِيَتُهُ شَيْطَانًا إِنَّمَا هُوَ فِي قَضِيَّةِ عَيْنٍ، تَتَطَرَّقُ إِلَيْهَا الْإِحْتِمَالَاتُ الْمَذْكُورَةُ وَغَيْرُهَا، وَلَا عَمُومَ لَهَا فَلَا يُجْتَنَّبُ بِهَا. وَاللَّهُ أَعْلَمُ»^(٣).

وقد روي عنه ﷺ ذمه للشاعر الجاهلي امرئ القيس^(٤)، وإخباره أنه سيكون قائد شعراء الجاهلية إلى النار.

(١) عقبة بين مكة والمدينة، على جادة الحاج، يُذكر مع السقيا وله ذكر كثير في الحديث وفي المغازي. الأماكن ما اتفق لفظه وافترق مسماه ٦٨٨/١، معجم البلدان ٩٩/٤. وقال السيوطي: «هي قرية من عمل الفرع على نحو سبعة وثمانين ميلاً من المدينة» شرح السيوطي على مسلم ٢٤٧/٥.

(٢) صحيح مسلم، في أوائل كتاب الشعر ١٧٦٩/٤ (٢٢٥٩).

(٣) شرح صحيح مسلم للنووي ١٤/١٥.

(٤) امرؤ القيس بن حجر بن الحارث، اشتبه بقلبه واختلف باسمه وقيل أنَّ اسمه حندج وقيل ثليكة وقيل عدي. أشهر شعراء العرب على الإطلاق، من فحول شعراء الطبقة الأولى. كان أبوه ملك أسد وعطفان. لُقِّبَ امرؤ القيس بالملك (الضليل)، و(ذو القروح). توفي سنة ٨٠ ق.هـ، وقيل سنة ٥٦٥ م. انظر: الشعر والشعراء ١٠٧/١، الأعلام ١١/٢.

فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَمْرُ الْقَيْسِ صَاحِبُ لَوَاءِ الشُّعْرَاءِ إِلَى جَهَنَّمَ»^(١).

يقول المناوي^(٢): «والمعنى هذا لواء الشهرة في الدَّم وتقبيح الشعر كما أن ثَمَّ أَلْوِيَّةً للعز والمجد والإفضال، كما يجيء أن المصطفى ﷺ بيده لواء الحمد فَثَمَّ أَلْوِيَّةٌ خِزْيٍ وفضيحة»^(٣).
فامرؤ القيس هو رئيسُ الشعراء وعظيئهم في الدنيا ويكونُ قائدهم في العُقْبَى، لَا لكونه قَالَ مَا لَمْ يَقُولُوا، بَلْ لكونه ابتدَعَ أمورا فاقتدوا بِهِ فِيهَا؛ فهو أول من تَهْتَكُ فِي شِعْرِهِ وَذَكَرَ مَا يُسْتَهْجَنُ التصريحُ به، وهو أول من نَقَدَ الشعرَ وأول من شَبَّهَ النِّسَاءَ بِالطُّبَاءِ وأول من وَقَفَ عَلَى الأطلال، وغيرها من الأمور التي استحسنتها العرب، وتبعته الشعراء^(٤).

(١) مسند أحمد، من مسند أبي هريرة، ٢٧/١٢ (٧١٢٧). وفي رواية لابن عساكر: «امرؤ القيس مذكور في الدنيا مَنْسِيٌّ فِي الآخِرَةِ، بيده لواء الشعراء إلى النار» تاريخ دمشق ٩/٢٣٠. وقد ذكر الهيثمي الحديث وقال: «فيه أبو الجهم، شيخ هشيم بن بشير ولم أعرفه وبقية رجاله رجال الصحيح». مجمع الزوائد ٨/١٢١، وذكر ابن القيسراني أنه روي من طريقين الأولى فيها من يروي عن الزهري مالميس من حديثه ولا يجوز الاحتجاج به، والثانية فيها من يروي عن أبيه المناكير لا يجوز الاحتجاج به. انظر: تذكرة الحفاظ لابن القيسراني ص ٧١.

(٢) المناوي: عبد الرؤف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين، الملقب زين الدين الحدادي ثم المناوي القاهري الشافعي، الإمام الكبير الحجة الثبت القدوة صاحب التصانيف السائرة، كان إماما فاضلا زاهدا عابدا قانتا لله خاشعا له كثير النفع وكان متقربا بحسن العمل مثابرا على التسبيح والأذكار، صابرا صادقا وكان يقتصر يومه وليلته على أكلة واحدة من الطعام، وقد جمع من العلوم والمعارف على اختلاف أنواعها وتباين أقسامها ما لم يجتمع لأحد ممن عاصره من تصانيفه: (فيض القدير) و(نتيجة الفكر) وغيرها. توفي -رحمه الله- بمصر سنة ١٠٣١ هـ. انظر: خلاصة الأثر ٤١٢/٢، فهرس الفهارس ٥٦٠/٢.

(٣) فيض القدير ١٨٦/٢.

(٤) انظر: التيسير بشرح الجامع الصغير ١/٢٣٨، التنوير بشرح الجامع الصغير ٣/٢٤١.

وقد سُئل المظفر العلوي^(١) عن قوله في هذا الحديث فأجاب: «إذا تأملت المقصدَ وحَقَّقْتَ المرادَ وجدتَ المعنى ينساقُ الى مدحِ الشعرِ، وذلك أنه ﷺ أرادَ حاملَ لواءِ شعراءِ الجاهلية والكفارِ، الذي هَجَّوا رسولَ الله وهجَّوا المسلمين واستحقَّوا النارَ بكُفْرِهِمْ لا بشعرِهِمْ، ولا خِلافَ ولا نِزاعَ بينَ العُلَماءِ في ذلك. ولو أرادَ العمومَ لدخلَ تحتَ ذلك أصحابُه المقطوعُ لهم بالجنَّةِ، وأولياؤه المؤمنونَ به، والمهاجرونَ والأنصارُ والتابعون. ومعادَ الله أنْ يذهبَ الى ذلكَ مسلِّمٌ أو يقولُ به عاقلٌ أو عالمٌ. وإنما كانَ مقصِدُه ﷺ تفخيمَ حالِ امرئِ القيسِ وتعظيمَ أمرِه وتقديمَ شعرِه على أكفائِه ونُظرائِه، وأنه استحقَّ عليهم التقديمَ والتفضيلَ بجوْدَةِ شعرِه، وحُسْنِ معانيه وواقعِ تشبيهاَتِه، فجعلَهُ لذلكَ عميدَهُمْ وسيّدَهُمْ والمتقدِّمَ عليهم وقائِدَهُمْ. ولم يكنْ يستحقُّ بكفرِه إلا النارَ وبحسنِ شعرِه إلا التقدُّمَ على الشعراءِ، فكانتَ هذه الصِّفَةُ بِهِ خَلِيقَةً، وبِمِثْلِهَا بِهِ حَقِيقَةً»^(٢).

إلا أن هذا التأويل والتوجيه لا حاجة إليه؛ فالحديث ضعيف لا تقوم به حجة، وامرؤ القيس واحدٌ من أهل الفترة، وفيه الخلاف الذي وقع لأهل الفترة^(٣) عموماً والله أعلم.

ومما روي في ذم الشعراء ما أخرجه الإمام أحمد في المسند من حديث أبي بَرزَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي سَفَرٍ فَسَمِعَ رَجُلَيْنِ يَتَغَيَّيَانِ وَأَحَدُهُمَا يُجِيبُ الْآخَرَ وَهُوَ يَقُولُ:

(١) المظفر العلوي: المظفر بن سعيد بن الفضل بن يحيى بن جعفر، ابو على الحسيني العلوي، أديب، كان في بغداد، أيام الوزير ابن العلقمي، له كتاب بعنوان (نصرة الإغريض بنصرة القريض) توفي سنة ٦٥٦ هـ. انظر: هدية العارفين ٤٦٤/٢، الأعلام ٢٥٥/٧-٢٥٦.

(٢) نصرة الإغريض في نصرة القريض ص ٣٨٢-٣٨٣.

(٣) المقصود بأهل الفترة - هم من ماتوا دون أن تبلغهم رسالة نبي بسبب عدم بعثة نبي في زمانهم - والعلماء مختلفون فيهم، منهم من يقول بنجاتهم لعدم تكليفهم، ومنهم من يقول: بأنهم سيختبرون يوم القيامة، ومنهم من يقول غير ذلك. انظر: العواصم والقواصم ٢٥٥/٧، أهل الفترة ومن في حكمهم ص ٦٧ وما بعدها.

[البحر الطويل]

لَا يَزَالُ حَوَارِيٌّ^(١) تَلُوْحُ^(٢) عِظَامُهُ زَوَى^(٣) الْحَرْبَ عَنْهُ أَنْ يُجَنَّ^(٤) فَيُقْبَرَا

فقال النبي ﷺ: «انظروا من هُما»، قال: قالوا: فلان وفلان، قال: فقال النبي ﷺ: «اللَّهُمَّ ارْكُسْنَهُمَا^(٥) رَكْسًا، وَدْعَهُمَا^(٦) إِلَى النَّارِ دَعَا»^(٧).

وقد وردت زيادة برواية البزار للحديث وهي: نظر إلى رجلين في أحد يتمثلان شعراً في حمزة^(٨).

والسؤال هنا، لماذا ذم النبي ﷺ هذين الشاعرين ودعا عليهما؟ هل بسبب أنهما كانا يُنشِدان الشعر فحسب؟ أم لسبب آخر؟

بينت بعض الزيادات في روايات الحديث أن دعاء النبي ﷺ على هذين الشاعرين، كان لأحد سببين: إمّا لأنهما كانا يتمثلان بالشعر المذموم ويقولانه في حمزة ﷺ، فاستوجبا دعاءه ﷺ، وهذا ما أفادته الزيادة الواردة في رواية البزار.

أو أن النبي ﷺ إنما ذمهما ودعا عليهما لأنهما كان من المنافقين، وأفادت بذلك الرواية التي في (معجم الصحابة) لابن قانع من حديث شقران ﷺ أنه قال: بينما نحن ليلة في سفرٍ

(١) حواري: ناصر أو خالص في الود، وهو كل مبالغٍ في نُصرة آخر. وخصَّ البعض أنصار الأنبياء. انظر: النهاية ٤٥٧/١، لسان العرب، مادة (حور) ٢٢٠/٤.

(٢) تلوح: تظهر وتبرز؛ لأنه لم يُقْبَر. انظر: لسان العرب، مادة (لوح) ٨٥٦/٢.

(٣) زوى: جمع وقْبَضَ ونَحَى. انظر: النهاية ٣٢٠/٢، لسان العرب، مادة (زوي) ٣٦٣/٤.

(٤) يُجَنَّ: أي يُدفن ويُسَرَّ تحت التراب، والجَنَن هو القبر؛ لستره الميت. انظر: النهاية ٣٠٨/١، لسان العرب، مادة (جَنَن) ٩٢/١٣.

(٥) الرَكْس: هو قلبُ الشيء على رأسه، وردُّ أوله على آخره. انظر: النهاية ٢٥٩/٢، لسان العرب، مادة (ركس) ١٠٠/٦.

(٦) الدَّعُ: هو الطردُّ والدفع العنيف. انظر: النهاية ١١٩/٢، لسان العرب، مادة (دع) ٨٥/٨.

(٧) مسند أحمد، من حديث أبي بزة الأسلمي، ٢٣/٣٣ (١٩٧٨٠). وقد ساق الهيثمي الحديث وقال: «فيه يزيد بن أبي زياد والأكثر على تضعيفه». مجمع الزوائد ١٢٤/٨.

(٨) مسند البزار ٢٠٤/١٠.

إِذْ سَمِعَ النَّبِيُّ ﷺ صَوْتًا، فَقَالَ: «مَا هَذَا؟»، فَذَهَبْتُ أَنْظُرَ، فَإِذَا مَعَاوِيَةُ بْنُ رَافِعٍ وَعَمْرُو بْنُ رِفَاعَةَ بْنُ التَّابُوتِ، وَمَعَاوِيَةُ بْنُ رَافِعٍ يَقُولُ هَذَا الشَّعْرَ. وَذَكَرَ تَمَمَةَ الْحَدِيثِ. ثُمَّ قَالَ: فَمَاتَ عَمْرُو بْنُ رِفَاعَةَ قَبْلَ أَنْ يَقْدُمَ النَّبِيُّ ﷺ مِنْ ذَلِكَ السَّفَرِ^(١).

وَمِنْ الْمُمْكِنِ الْجَمْعُ بَيْنَ السَّبِيحِينَ بِأَنْ يَكُونَ الشَّاعِرَانِ هُمَا الْمُنَافِقَانِ مَعَاوِيَةُ وَعَمْرُو، وَأَنْهُمَا كَانَا يَتِمَثَّلَانِ بِشَعْرٍ مَذْمُومٍ، وَقَدْ رَوَى عَنْهُ ﷺ النَّهْيُ عَنِ التَّمَثُّلِ بِالشَّعْرِ الْقَبِيحِ بِقَوْلِهِ: «مَنْ مَثَّلَ بِالشَّعْرِ فَلَيْسَ لَهُ عِنْدَ اللَّهِ خَلَقٌ^(٢)»^(٣).

وَبُكِّلَ الْأَحْوَالُ، فَإِنَّ الْحَدِيثَ لَا يَسْلَمُ مِنَ الضَّعْفِ الشَّدِيدِ الَّذِي يَمْنَعُ مِنَ الْاِحْتِجَاجِ بِهِ، وَهَذَا مَا نَوَّهَ إِلَيْهِ السَّنَدِيُّ فِي حَاشِيَتِهِ عَلَى مَسْنَدِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ فَقَالَ مُعَلِّقًا عَلَى الْحَدِيثِ: «قَدْ عَلِمَ أَنَّهُ ﷺ كَانَ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ، وَقَدْ جَاءَ النَّهْيُ عَنْ أَنْ يُعَانَ الشَّيْطَانُ عَلَى أَحَدٍ فِي الْأَحَادِيثِ، وَيُؤَافِقُهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ [المائدة: ٢] وَالظَّاهِرُ أَنَّ فِي مِثْلِ هَذَا الدُّعَاءِ عَوْنًا لِلشَّيْطَانِ عَلَيْهِمَا، وَبِالْجُمْلَةِ: فَهَذَا بَعِيدٌ مِمَّا عُهِدَ مِنْ حَالِهِ ﷺ، وَقَدْ صَلَّى عَلَى رَئِيسِ الْمُنَافِقِينَ الَّذِي كَانَ يُؤْذِيهِ أَشَدَّ الْإِيذَاءِ؛ رَجَاءً لِحُوقِ الرَّحْمَةِ بِهِ، وَقَالَ: «أَزِيدُ فِي الْاسْتِغْفَارِ عَلَى سَبْعِينَ» لَذَلِكَ، فَيُشَبِّهُ أَنْ يَكُونَ هَذَا الْحَدِيثُ مُوَضَّوعًا، إِلَّا أَنْ يَقَالَ: يَحْتَمِلُ أَنَّهُ نَهَاَهُمَا عَنْ ذَلِكَ مِرَارًا، فَلَمْ يَنْتَهِيَا، وَقَدْ عَلِمَ بِالْوَحْيِ أَنَّ حَالَهُمَا تَرَجَّعَ إِلَى شَرٍّ، فَدَعَا بِهَذَا الدُّعَاءِ زَجْرًا لِلْحَاضِرِينَ عَنْ مِثْلِ فَعْلِهِمَا، وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ^(٤).

(١) معجم الصحابة لابن قانع ٢٣/٣.

(٢) خلاق: حظٌّ ونصيبٌ من الخير. النهاية ٧٠/٢، لسان العرب، مادة (خلق) ٩٢/١٠.

(٣) المعجم الكبير ٤١/١١. قال الهيثمي: «فيه حجاج بن نصير، وقد ضعفه الجمهور ووثقه ابن حبان وقال: يُخطئ، وبقية رجاله ثقات» مجمع الزوائد ١٢١/٨. وقد حسن المناوي إسناده في التيسير ٤٤٤/٢. واختلف في ضبط حركة الشين في كلمة (الشعر) في الحديث، فضبطها الأكثر بفتح الشين (الشعر) كالزخشي، وضبطها البعض بكسر الشين (الشعر)، كالحيثمي والطبراني حيث أنهما ذكرا الحديث فيما جاء من الشعر والشعراء وذكراه في الأحاديث الواردة في ذم ذلك، وعليه يكون المعنى: نظمُ المهجاء في الناس حتى يصير أمثالا في ذم العباد. انظر: فيض القدير ٢٢٧/٦.

(٤) حاشية السندي على مسند الإمام أحمد بن حنبل ٤٨٥/١١-٤٨٦.

المبحث الثالث

أقوال العلماء في حُكم الشعر بناءً على الأحاديث الواردة فيه.

وفيه ثلاثة مطالب:

- المطلب الأول: القول بالكراهة.
- المطلب الثاني: القول بالإباحة.
- المطلب الثالث: التوفيق بين القولين.

● المبحث الثالث: أقوال العلماء في حكم الشعر بناءً على الأحاديث الواردة فيه.

وردت بعض الأحاديث النبوية بإباحة قول الشعر وترديده، كما جاءت بالمقابل أحاديث أخرى بالكراهة ودم قول الشعر بصريح منه ﷺ، وتبعاً لذلك فقد انقسم العلماء بالنسبة لآرائهم بخصوص الشعر إلى قسمين، فكره القسم الأول رواية الشعر وإنشاده والاشتغال به. أمّا القسم الثاني فأجازوا نظمهم وروايته وإنشاده، وقيدوا قبولهم له بشروط معينة.

وقد أشار الإمام الطحاوي^(١) إلى خلاف العلماء في الأمر بعد أن ساق الآثار الواردة في ذم الشعر، فقال: «فكره قوم»^(٢) رواية الشعر، واحتجوا في ذلك بهذه الآثار، وخالفهم في ذلك آخرون^(٣)، فقالوا: لا بأس برواية الشعر، الذي لا قدح فيه»^(٤).

وسنذكر في هذا المبحث آراء القسمين وأدلتهم وردودهم، ثم التوفيق بين الرأيين.

(١) الطحاوي: هو الإمام العلامة الحافظ صاحب التصانيف أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن سلمة الأزدي الحجري المصري، ولد ونشأ في (طحا) من صعيد مصر، وتفقّه على المذهب الشافعي، ثم تحول إلى المذهب الحنفي. كان فقيهاً ثبّتاً انتهت إليه رئاسة الحنفية بمصر. من تصانيفه: (شرح معاني الآثار) في الحديث، و(أحكام القرآن) و(المختصر) في الفقه. توفي رحمه الله في القاهرة سنة ٣٢١ هـ. انظر: طبقات الحفاظ ص ٣٣٩، الأعلام ١/٢٠٦.

(٢) قال العيني: «أراد بالقوم هؤلاء: مسروق وإبراهيم النخعي وسالم بن عبد الله والحسن البصري وعمرو بن شعيب... وروي ذلك عن عمر بن الخطاب وابنه عبد الله وسعد بن أبي وقاص وعبد الله بن مسعود رضي الله عنهم». عمدة القاري ١٨٩/٢٢.

(٣) قال العيني: «أراد بالآخرين: الشعبي وعامر بن سعد ومحمد بن سيرين وسعيد بن المسيب والقاسم والقوري والأوزاعي وأبا حنيفة ومالكا والشافعي وأحمد وأبا يوسف ومحمداً، وإسحاق بن راهويه وأبا ثور وأبا عبيد، فأثم قالوا: لا بأس برواية الشعر الذي ليس فيه هجاء، ولا نكت عرض أحد من المسلمين ولا فحش، وروي ذلك عن أبي بكر الصديق وعلي بن أبي طالب والبراء بن عازب وأنس بن مالك وعبد الله بن عباس وعمرو بن العاص وعبد الله بن الزبير ومعاوية ابن أبي سفيان وعمران بن الحصين والأسود بن سريع وعائشة أم المؤمنين رضي الله عنهن». أجمعين». عمدة القاري ١٨٩/٢٢.

(٤) شرح معاني الآثار ٤/٢٩٦.

● المطلب الأول: القول بالكراهة.

كَرِهَ قَوْمٌ الشَّعْرَ وبَالِغُوا فِي كَرَاهِيَّتِهِ، وَتَمَسَّكُوا بِبَعْضِ مَا وُصِفَ بِهِ الشَّعْرُ مِنْ كَوْنِهِ أَخْبَثُ طَعْمَةٍ تَتَوَكَّلُ، وَأَفْحَشُ صَنْعَةٍ تُعْمَلُ، لِأَنَّ قَوْلَ الشَّاعِرِ زَوْزَرٍ وَشَاؤُهُ غُرُورٌ، وَلَفْظُهُ فَجُورٌ، فَإِنْ بَعُدَ خِيفَ شَذَاهُ وَإِنْ قَرِبَ لَمْ يَأْمَنْ أَذَاهُ^(١).

فَرَأَوْا أَنَّ التَّشَاغُلَ عَنِ الشَّعْرِ أَوْلَى مِنَ الِاشْتِغَالِ بِهِ، فَلَيْسَ فِيهِ كَثِيرٌ طَائِلٌ، وَلَيْسَ فِيهِ شَيْءٌ تَدْعُو الْحَاجَةُ إِلَيْهِ فِي صَلَاحِ الدِّينِ أَوْ الدُّنْيَا.

وَمِنْ كَرِهَ رِوَايَةَ الشَّعْرِ وَإِنْشَادَهُ، مَسْرُوقُ بْنُ الْأَجْدَعِ^(٢) وَإِبْرَاهِيمُ النَّخَعِيُّ^(٣) وَسَالِمُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ^(٤)، وَالْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ^(٥)، وَعَمْرُو بْنُ شَعِيبٍ^(٦) وَالرَّبِيعُ بْنُ خَثِيمٍ^(٧).

(١) انظر: نضرة الإغريض في نصره القريض ص ٣٦٥.

(٢) مسروق بن الأجدع: أبو عائشة الوادعي الكوفي الهمداني العابد، تابعي ثقة من أهل اليمن، يُقال إنه سُرِقَ وهو صغير ثم وُجِدَ، فَسُمِّيَ مَسْرُوقًا. روى عن كثير من الصحابة: كأبي بكرٍ وعمر وعثمان وعلي ومعاذ وعائشة وابن مسعود وغيرهم، قدم المدينة في أيام أبي بكر، وسكن الكوفة وشهد حروب علي وشارك بها، وكان عالماً بالفتيا، ولده زياد بن معاوية على السلسلة ومات بها سنة ٣٢ هـ. انظر: سير أعلام النبلاء ٦٣/٤، تهذيب التهذيب ١١٠/١٠-١١١.

(٣) إبراهيم النخعي أبو عمران، وأبو عمار، إبراهيم بن يزيد بن الأسود، الإمام الحافظ فقيه العراق، نسبته إلى النخع وهي قبيلة كبيرة باليمن. رأى عائشة -رضي الله عنها- ودخل عليها، ولم يثبت له منها سماع، كان بصيرا بعلم ابن مسعود عليه السلام، واسع الرواية، فقيه النفس، كبير الشأن، كثير المحاسن. توفي -رحمه الله- سنة ٩٦ هـ. انظر: الطبقات الكبرى ٢٩١/٦، وفيات الأعيان ٢٥/١.

(٤) سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب وكنيته أبو عمر، أحد فقهاء المدينة، من سادات التابعين وعلمائهم وثقاتهم، توفي سنة ١٠٦ هـ. انظر: الطبقات الكبرى ١٤٩/٥، وفيات الأعيان ٣٤٩/٢.

(٥) الحسن البصري: هو الحسن بن أبي الحسن يسار البصري، كان من سادات التابعين وكبرائهم، إمام أهل البصرة، وحبر الأمة في زمانه، جمع كل فن من علم وزهد وورع وعبادة، وهو أحد العلماء الفقهاء الفُصحاء الشُّجعان النُّسَّاك. كان أبوه مولى زيد بن ثابت الأنصاري رضي الله عنه، وأمه خيرة مولاة أم سلمة زوجة النبي صلى الله عليه وسلم، ولد بالمدينة، وشبَّ في كنف علي بن أبي طالب رضي الله عنه، سكن البصرة وعظمت هيئته في القلوب فكان يدخل على الولاة فيأمرهم وينهاهم، لا يخاف في الحق لومة لائم. أخباره كثيرة وله كلمات سائرة. توفي بالبصرة سنة ١١٠ هـ. انظر: تهذيب التهذيب ٢٦٣/٢، وفيات الأعيان ٩٦/٢.

(٦) عمرو بن شعيب بن محمد يكنى أبا إبراهيم الإمام، قال سفيان بن عيينة: «كان إنما يحدث عن أبيه عن جده وكان حديثه عند الناس فيه شيء». وقال فيه أحمد بن حنبل: «عمرو بن شعيب له أشياء مناكير، وإنما يكتب حديثه، يعتبر به، فأما أن يكون حجة فلا». وقال يحيى بن معين: «عمرو بن شعيب ثقة»، مات سنة ١١٨ هـ. انظر: الطبقات الكبرى ٣٣٣/٥، سير أعلام النبلاء ١٦٥/٥.

(٧) انظر: عمدة القاري ٢١٩/٤. الربيع بن خثيم، وقيل خثيم، الإمام القدوة العابد، أبو يزيد الثوري الكوفي، أدرك زمان النبي صلى الله عليه وسلم وأرسل عنه. ثقة من خيار أصحاب عبد الله بن مسعود، وكان ابن مسعود إذا رآه قال: «وَبَشِّرِ الْمُحْبَبِينَ» أما لو رآك نبينا لأحبك». توفي بعد قتل الحسين بن علي سنة ٦٣ هـ. انظر: تهذيب الكمال ٧٠/٩، سير أعلام النبلاء ٢٥٨/٤.

حتى إنه روي عن مسروق أنه تَمَثَّلَ أول بيت شعر، ثم سَكَتَ، فقيل له: لِمَ سَكَتَ؟ قال: «أخافُ أن أجد في صَحيفتي شعراً»^(١).

وكذلك روي عن الرِّبيع بن خثيم أنه سئل: ما يَمْنَعُكَ أن تُجَيِّءَ بالبيت من الشعر، فإن أصحابك كانوا يجيئون بالبيت والبيتين؟ قال: إنه ليس أحدٌ يلفظ بشيءٍ إلا كُتِبَ وجُعِلَ في إمامه، ورآه يوم القيامة، وليس أحدٌ إلا يُعرضُ عليه إمامه، وإني أكره أن أقرأ في كتابي يوم القيامة بيت شعر^(٢).

كما روي عن إبراهيم النَّخعي قوله: «كانوا يكرهون من الشعر ما ضاهى القرآن»^(٣). وقد احتجَّ من كره الشعر ببعض الآثار التي سبق ذكرها في (مبحث الأحاديث الواردة في ذم الشعر)، إلا أن أهمَّ ما استدُّلُّوا به واستندوا عليه قول رسول الله ﷺ: «لأن يمتلئ جوف رجلٍ قيحاً يريه خيرٌ من أن يمتلئ شعراً»^(٤).

فأروا أنَّ المقصود من هذا الحديث النهي عن قول الشعر كله وروايته قليله وكثيره؛ وذلك أنَّ القليل من القيح في الجوف مُضِرَّةٌ، وكلُّ أحدٍ من الناس لقليل ذلك وكثيره كارٍ أن يكون في جوفه، فإذا كان الامتلاء من الشعر نظير الامتلاء من القيح، فدون الامتلاء من الشعر نظير ما هو دون الامتلاء من القيح، وكلُّ ذلك مكروهٌ في الجوف، فكذلك الشعر كله مكروهٌ أن يكون في الجوف منه شيء^(٥).

وقد سبقَ وتعرَّضت لأقوال العلماء في هذا الحديث في المبحث السابق^(٦).

(١) تهذيب الآثار ٦٤٧/٢.

(٢) تهذيب الآثار ٦٥١/٢.

(٣) مصنف ابن أبي شيبة ٢٨٢/٥.

(٤) سبق تخريج الحديث انظر: ص ٣٤

(٥) انظر: تهذيب الآثار ٦٥١/٢.

(٦) انظر (مبحث الأحاديث الواردة في ذم الشعر) من ص ٣٤ إلى ص ٣٩.

● المطلب الثاني: القول بالإباحة.

أجازَ أغلبُ العلماءِ قولَ الشعرِ وروايته، وكانَ ممن ذهبَ إلى ذلك الشَّعبي^(١)، ومحمد بن سيرين، وسعيد بن المسيب^(٢)، وأبو حنيفة ومالك والشافعي وأحمد بن حنبل وغيرهم كثير^(٣).

إلا أنَّهم قيَّدوا قبولهم لرواية الشعر وقوله بشروطٍ فقالوا: لا بأسَ برواية الشعر الذي ليس فيه هجاءٌ ولا نكت عرضٍ أحدٍ من المسلمين ولا فُحش^(٤).

واستدلَّ العلماءُ المجيزون للشعر بمحمِّلٍ ما ورد من الأحاديث التي ذُكرت في مدح الشعر والشُعراء، فاحتجُّوا بما وردَ في ثناء النبي ﷺ على الشعر كقوله: «إنَّ من الشعر حكمة»^(٥)، وباستنشاده ﷺ لأبياتٍ من شعر أمية بن أبي الصلت^(٦)، ومثَّلَه أحياناً من الشعر بالبيت بعد البيت^(٧).

كما استدلُّوا أيضاً بما تقدَّم ذكره من أمرِ حسان رضي الله عنه وغيره من شعراءِ الصحابة بهجاءِ المشركين، وبإخبارِ النبي ﷺ لأصحابه أنَّ وقعَ الهجاء على المشركين أشدُّ عليهم من نضحِ النِّبل^(٨)، وبحديث عائشة رضي الله عنها حين قالت: «كان رسول الله ﷺ يضعُ لحسان منبراً في

(١) الشعبي: عامر بن شراحيل ويُقال شراحبيل الشعبي، رأى عامرٌ عليَّ بن أبي طالب ووصفه. وروى عن أبي هريرة وابن عمر وابن عباس وعدي بن حاتم وسمرة بن جندب وغيرهم، كان عالمَ زمانه، يُستفتى وصحابةُ رسول الله ﷺ موجودون، فعن ابن سيرين قال: قدمت الكوفة، وللشعبي حلقة عظيمة، والصحابة يومئذ كثير. توفي الشعبي -رحمه الله- ١٠٤هـ. انظر: الطبقات الكبرى ٢٥٩/٦، سير أعلام النبلاء ٢٩٥/٤.

(٢) سعيد بن المسيب بن حزن بن أبي وهب، رأى جده حزن النبي ﷺ، وسمع سعيد كبار الصحابة أمثال السيدة عائشة وأم سلمة وابن عباس وابن عمر رضي الله عنهم، كان سعيد مجدداً في طلب العلم فقد كان يسير الليالي والآيام في طلب الحديث الواحد كما حدَّث عن نفسه، حتى بلغ مرتبةً عالية. حتى أنه كان يفتي وأصحاب رسول الله ﷺ أحياء، توفي بالمدينة سنة ٩٤هـ. انظر: الطبقات الكبرى ٨٩/٥، سير أعلام النبلاء ٢١٧/٤.

(٣) انظر: عمدة القاري ٢١٩/٤، ١٨٩/٢٢.

(٤) انظر: عمدة القاري ١٨٩/٢٢.

(٥) سبق تخريج الحديث انظر: ص ١٩.

(٦) سبق تخريج الحديث انظر: ص ٢٤.

(٧) وسياقي تفصيل تمثل النبي ﷺ للشعر في الفصل الثاني من هذا البحث. انظر: ص ٩٩.

(٨) انظر حديث عبد الله بن رواحة في هجاء المشركين ص ٢٣.

المسجد يقوم عليه قائماً يُفَاخِرُ عن رسول الله ﷺ»^(١).

لم يكتفِ العلماء بالاستدلال على جواز الشعر، بل اعتنى أغلبهم^(٢) بالدفاع عنه وبالردّ على من كره الأشعار بمحملها، ولم يُجْزِ الاشتغال بها، فكانت ردودهم مبنية على ما استفادوه من مُجْمَلِ الأحاديث الواردة في الشعر.

ومن خلال ما حوته كتب شروح الحديث وبعض كُتُب الأدب نستطيع أن نُجْمِلَ الردّ على من يقول بالكراهة من خلال بعض الاستدلالات:

أولاً - ضعف أحاديث الدّم، وصحة أحاديث المدح؛ فغالبية أحاديث الدّم لا تخلو من ضعف، وبالمقابل فإنّ الأحاديث الواردة في مدح الشعر وقبوله غالبها صحيحة.

وقد أشار إلى ذلك الإمام الطّبري^(٣) بقوله: «وأما الذين أنكروا رواية جميع أصناف الشعر اعتلالاً بالأخبار المروية في ذلك عن رسول الله، فإن الأخبار بذلك عن رسول الله واهية الأسانيد، غير جائزة الاحتجاج بمثلها في الدين»^(٤).

ثانياً - أنّ الدّم الوارد في الأحاديث غير موجّه إلى الشعر لذاته، فقد تناول العلماء أحاديث الدّم بالشرح والتوجيه بما يتوافق مع ما روي عنه ﷺ من أحاديث في مدح الشعر، وقبوله^(٥).

(١) سبق تخرّيج الحديث انظر: ص ٢٧.

(٢) ومنهم: ابن حبان، وابن عبد البر، والجرجاني، وابن الفضل العلوي، والقرطبي، والنووي وابن حجر وغيرهم. انظر: صحيح ابن حبان ١٣/٩٤-١٠٥ (ونرى أن الإمام ابن حبان قد ضَمَّن عناوين الأحاديث التي ساقها في باب الشعر والسجع ما استفاده منها)، التمهيد ٢٢/١٩٤، ال ١/١١-٢٧، نضرة الإغريض في نضرة القريض ص ٣٧٠-٣٧٦، تفسير القرطبي ١٣/١٥١، فتح الباري ١٠/٥٣٨-٥٤٦.

(٣) الطبري: أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد الطبري، إمام المفسرين، وأحد الأئمة، جَمَعَ من العلوم ما لم يشاركه فيه أحد من أهل عصره، فكانَ إماماً في فنون كثيرة منها التفسير والحديث والفقه والتاريخ وغير ذلك، وقد تفرّد بمسائل عُرفت عنه، من تصانيفه: التفسير الكبير (جامع البيان في تفسير القرآن)، والتاريخ الشهير الذي أسماه (تاريخ الأمم والملوك)، و(تهذيب الآثار) وغيرها. توفي سنة ٣١٠ هـ. انظر: ، تذكرة الحفاظ ٢/٢٠١، طبقات المفسرين للسيوطي ص ٩٥.

(٤) تهذيب الآثار ٢/٦٥١.

(٥) وقد سبق بيان ذلك في المبحث الثاني من هذا الفصل: الأحاديث الواردة في ذم الشعر. انظر: من ص ٣٤ إلى ص ٥٦.

ثالثاً- فِعْلُ النَّبِيِّ ﷺ وَالصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَالتَّابِعِينَ؛ فقد ثبت بالخبر الصحيح أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ سَمِعَ الشَّعْرَ، واستنشدَه، وأثنى على من قاله، وقد كان ممن أنشدَه أبوبكرٍ الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وغيره من الصحابة الكرام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أجمعين.

يقول ابن عبد البر^(١) في الاستدلال على ذلك: «وإذا كان رسول الله ﷺ يسمعه، وأبوبكرٍ يُنشدُه، فهل للتقليد والافتداء مكانٌ أرفع من هذا؟، وما استنشدَه رسول الله ﷺ وأنشد بين يديه أكثر من أن يُحصى، ولا يُكرَّر الشعر الحسن أحدٌ من أولي العلم، ولا من أولي النُهي، وليس أحدٌ من كبار الصحابة وأهل العلم، وموضع القدوة إلا وقد قال الشعر وتمثَّل به، أو سمَّعه فرضيَّه، وذلك ما كان حكمةً أو مُباحاً من القول»^(٢).

وقال الحافظ ابن حجر: «وأسند الطبري عن جماعة من كبار الصحابة ومن كبار التابعين أنهم قالوا الشعر وأنشدوه، واستنشدوه»^(٣).

وأخرج ابن أبي شيبة^(٤) بسند حسن عن أبي سلمة بن عبد الرحمن قال: «لم يكن أصحاب رسول الله ﷺ منحرفين ولا متماوتين، وكانوا يتناشدون الأشعار في مجالسهم

(١) ابن عبد البر: يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري، الحافظ شيخ علماء الأندلس وكبير محدثيها في وقته، وأحفظ من كان بها، عالم بالقراءات وبالاخلاف في الفقه، ويعلم الحديث والرجال، قلم السماع كبير الشيوخ على أنه لم يخرج عن الأندلس لكنه سمع من أكابر أهل الحديث بقرطبة وغيرها ومن الغرياء القادمين إليها، وألف مما جمع مصنَّفات نافعة سارت عنه منها: (التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد)، و(الاستيعاب في معرفة الأصحاب) وغيرها. توفي -رحمه الله- سنة ٤٦٣ هـ. انظر: ترتيب المدارك وتقريب المسالك ١٢٧/٨، بغية الملتبس ص ٤٨٩.

(٢) التمهيد ١٩٤/٢٢.

(٣) فتح الباري ١٠/٥٤٠. أخرج الطبري عن الشَّعْبِيِّ، قال: «كان أبو بكرٍ رحمه الله عليه يقول الشعر، وعُمَرُ يقول الشعر، وكان عليٌّ أشعرُ الثَّلَاثَةِ، رحمه الله عليهم». تهذيب الآثار ٦٣٦/٢.

(٤) ابن أبي شيبة: عبد الله بن محمد العبسي، إمام عالم وثقة حافظ، صاحب الكتب الكبار كالمُسند والمُصنَّف والتفسير، من أقران الإمام أحمد بن حنبل، وإسحاق بن راهويه، وعلي بن المديني في السنن والمولد والحفظ، أكبر شيخ له هو شريك بن عبد الله القاضي. انظر: سير أعلام النبلاء ١٢٢/١١، تقريب التهذيب ص ٣٢٠.

ويذكرون أمر جاهليتهم فإذا أريد أحدهم على شيء من دينه دارت حماليق^(١)
عينه»^(٢).

رابعاً- الحاجة إلى الشعر؛ ففي قول الشعر وروايته ضرورة وحاجة لمعرفة اللغة العربية.
وقد جرت عادة العلماء بالاستشهاد بالشعر في تفسير القرآن وغيره وفي غريب الحديث^(٣).
وروي عن ابن عباس رضي الله عنه أنه كان إذا سُئِلَ عن شيء من القرآن أنشد شعراً من
أشعارهم^(٤).

فعن عبيد الله بن عتبة^(٥) قال: شهدْتُ ابنَ عباسٍ رضي الله عنه، وهو يُسأل عن عريّة القرآن،
فيُنشِدُ الشعر^(٦).

وروى الحاكم^(٧) عن ابن عباس رضي الله عنه، أنه سُئِلَ عن قوله عز وجل: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ
سَاقٍ﴾ [القلم: ٤٢] قال: إذا خفي عليكم شيء من القرآن فابتغوه في الشعر، فإنه ديوان

(١) حماليق: جمع حملاق العين وهو ما يسوده الكحل من باطن أجفائها، وهو كناية عن فتح العينين والنظر بشدة.

انظر: لسان العرب، مادة (حملق) ٦٩/١٠، تاج العروس، مادة (حملق) ٢٥/٢٠٥.

(٢) مصنف ابن أبي شيبة ٢٧٨/٥، والحديث في الأدب المفرد ص ١٩٥.

(٣) انظر: دلائل الإعجاز ص ٢٧.

(٤) الأدب لابن أبي شيبة ص ٣٦٦.

(٥) عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود، من فضلاء التابعين، وأحد فقهاء المدينة السبعة، كان عالماً فاضلاً،
وفقيهاً تقياً، وشاعراً رقيقاً، روى الحديث عن جماعة من الصحابة منهم ابن عباس وعائشة وابن عمر، وأرسل عن عم
أبيه عبد الله بن مسعود، وثقه العلماء وروى له البخاري حديثاً واحداً. اختلف في سنة وفاته، ف قيل أنه مات سنة ٩٩ هـ
وقيل ١٠٤ هـ وقيل ١٠٨ هـ. انظر: الطبقات الكبرى ١٩٣/٥، تهذيب التهذيب ٢٣/٧.

(٦) فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل ٩٥٧/٢.

(٧) الحاكم: هو محمد بن عبد الله بن حمدويه بن نعيم الضبي الطهماني النيسابوري، الشهير بالحاكم، ويُعرف بابن
البيّ، من أكابر حفاظ الحديث والمصنفين فيه، جال في بلاد خراسان وما رواء النهر، وأخذ عن نحو ألفي شيخ، ولي
قضاء نيسابور. وهو من أعلم الناس بصحيح الحديث وتمييزه عن سقيمه. صنف كتباً كثيرة جداً. قال ابن
عساكر: «وقع من تصانيفه المسموعة في أيدي الناس ما يبلغ ألفاً وخمسمائة جزء» منها: (تاريخ نيسابور) و(المستدرک
على الصحيحين)، و(الإكليل) و(المدخل) وغيرها. توفي رحمه الله في سنة ٤٠٥ هـ. انظر: تذكرة الحفاظ ١٦٢/٣،
الأعلام ٢٢٧/٦.

العرب. أما سمعتم قول الشاعر:

[بجر الرجز]

اصْبِرْ عَنَّا إِنَّهُ شَرُّ بَاقٍ قَدْ سَنَّ قَوْمَكَ ضَرْبُ الْأَعْنَاقِ

وَقَامَتِ الْحَرْبُ بِنَا عَنْ سَاقٍ

قال ابن عباس: هذا يوم كُرب وشدة^(١).

ومثال ذلك أيضاً ما أخرجه ابن أبي شيبة عن ابن عباس رضي الله عنه في تفسير كلمة (الزَّيْم)،
أنه قال: الزَّيْم، اللَّيْمُ الْمُلْزَقُ، ثم أنشد هذا البيت:

[البحر الطويل]

زَيْمٌ تَدَاعَاهُ الرَّجَالُ زِيَادَةً كَمَا زِيدَ فِي عَرْضِ الْأَدِيمِ^(٢) الْأَكَارِغُ^(٣) (٤)

قال ابن قدامة^(٥): «وليس في إباحة الشعر خلاف، وقد قاله الصحابة والعلماء، والحاجة تدعو إليه لمعرفة اللغة العربية والاستشهاد به في التفسير، وتعرف معاني كلام الله تعالى وكلام رسوله ﷺ، ويستدل به أيضاً على النسب والتاريخ وأيام العرب»^(٦).

(١) المستدرک علی الصحیحین ٥٤٢/٢، وقال الحاكم: «هذا حديث صحيح الإسناد». السنن الكبرى للبيهقي ٤٠٧/١٠، وعلق البيهقي على الحديث: «هذا هو الصحيح موقوف».

(٢) الأديم: ظاهر الجلد، وقيل باطنه الذي يلي اللحم. انظر: لسان العرب، مادة (أدم) ١٠/١٢.

(٣) الأكارع: مفرد الكراع، وهو مستدق الساق العاري من اللحم في البقر والغنم. لسان العرب، مادة (كرع) ٣٠٧/٨.

(٤) مصنف ابن أبي شيبة ٢٨٠/٥، الأدب لابن أبي شيبة ص ٣٦٩. والبيت نسبته صاحب اللسان إلى الخطيم التميمي. لسان العرب، مادة (زيم) ٢٧٧/١٢. ولحسان بن ثابت في ديوانه ص ١٤٣.

(٥) عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي ثم الدمشقي الحنبلي، أبو الفرج شمس الدين. فقيه محدث ولد بجماعل، وهي قرية بجبل نابلس بفلسطين، ثم رحل إلى دمشق، وقرأ القرآن وسمع الحديث الكثير من والده ومن أبي المكارم ابن هلال وغيره، ثم رحل إلى بغداد وسمع من علمائها ثم عاد إلى دمشق. كان حجة في المذهب الحنبلي، وكان زاهداً ورعاً متواضعاً، برع وأفتى وناظر وتبحر في فنون كثيرة. له كتب كثيرة أشهرها: (المغني في شرح الخرقي) في الفقه، و(الكافي في الفقه)، و(مختصر العلل للخلال) وغيرها كثير. توفي سنة ٦٢٠ هـ. انظر: النجوم الزاهرة ٢٠١/٦-٢٠٢، ذيل طبقات الحنابلة ١٩٢/٤، ١٧٢.

(٦) المغني ١٠/١٥٨.

بالإضافة إلى الدور المهم الذي يلعبه الشعر في هجاء المشركين^(١)، وفي تقييد المعاني الشريفة، ونقل آثار الماضين وتخليدها إلى الباقين.

خامساً- أنَّ الشعر قد يحمل في معانيه الشريفة من الصدق والحكمة وفصل الخطاب

ما يرفع قدره في النفوس، ويجعله محبباً مرغوباً. ويُستدلُّ على ذلك بقوله ﷺ: «إِنَّ مِنَ الشَّعْرِ حِكْمَةً^(٢)». ولعلَّ هذا ما يُردُّ به على من زعم أن رفضه للشعر وذمه له هو من أجل ما يجد فيه من هزلٍ وسُخفٍ وهجاءٍ وسبٍ وكذبٍ وباطلٍ على الجملة^(٣).

قال الجرجاني^(٤): «ونحن نعلم أن لو كان منشور الكلام يجمع كما يجمع المنظوم ثم عمد عامد فجمع ما قيل من جنس الهزل والسُخف نثرًا في عصر واحد، لأربى على جميع ما قاله الشعراء نظماً في الأزمان الكثيرة ولَعَمْرُهُ حتَّى لا يظهر فيه»^(٥).

• المطلب الثالث: التوفيق بين القولين.

بعد أن بيَّنا في المطلبين السَّابقين أقوال العلما الكارهين والمجيزين للشعر، نرى أنَّ التوفيق بين القولين ممكن، وذلك للوصول إلى المنهجية المثلى في التعامل مع كل ما يتَّصل بالشعر قبولاً وردّاً.

فقد نظر الإسلام للشعر على أنه نوعٌ من الكلام حسنه حسن وقبيحه قبيح، فلا يُمدح لذاته ولا يُذمُّ لذاته، فكانت النظرة الإسلامية نظرةً تتجاوز الشعر كفنٍّ من الفنون إلى

(١) سأتناول الهجاء بشيءٍ من التفصيل في فصل (أغراض الشعر في السنة النبوية) انظر: ص ١٤٣.

(٢) سبق تخريج الحديث انظر: ص ١٩.

(٣) انظر: دلائل الإعجاز ص ١٥.

(٤) عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني، أبوبكر، شافعي المذهب أشعري الأصول، واضع أصول علم البلاغة، كان من كبار أئمة العربية والبيان، من أهل جرجان التي تقع بين طبرستان وخراسان، له شعر رقيقٌ وتصانيف عديدة منها: (المغني في شرح الإيضاح) في نحو ثلاثين مجلداً، و(إعجاز القرآن) الصغير والكبير، و(دلائل الإعجاز) و(أسرار البلاغة) وغيرها. توفي سنة ٤٧١ هـ. انظر: الوافي بالوفيات ٣٤/١٩، بغية الوعاة ١٠٦/٢.

(٥) دلائل الإعجاز ص ١٥.

موضوعه ومضمونه، وليس أدلّ على ذلك من قوله ﷺ: «الشُّعْرُ بِمَنْزِلَةِ الْكَلَامِ، فَحَسَنُهُ كَحَسَنِ الْكَلَامِ، وَفَبِيحُهُ كَفَبِيحِ الْكَلَامِ»^(١).

فالشُّعْرُ والمنثور من الكلام سواء، فإن حوى الحكمة والموعظة وما أبيح من القول، فهو مباحٌ ومحمود. أمّا إن حوى فُحْشاً وكذباً وأذىً للمسلمين فهو مذمومٌ ومردود. وقد اعتمد الإمام الماورديّ على هذه الفكرة في بيان حُكْمِ الشُّعْرِ، فقَسَمَهُ إلى مُسْتَحَبٍّ، ومُبَاحٍ ومَحْظُورٍ. فَأَمَّا المُسْتَحَبُّ فَمَا كَانَ فِي التَّحْذِيرِ مِنَ الْآخِرَةِ وَالْحَثِّ عَلَى مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ. وَأَمَّا الْمُبَاحُ فَمَا سَلِمَ مِنَ الْفُحْشِ وَالْكَذِبِ إِنْ جَلَبَ نَفْعاً أَوْ لَمْ يَعُْدْ بَضَرّاً. وَأَمَّا الْمَحْظُورُ فَمَا حَوَى كَذِباً وَفُحْشاً أَوْ الْحَقَّ ضَرراً^(٢).

قال القرطبي: «يعني أن الشعر ليس يُكره لذاته، وإنما يكره لمضمّناته»^(٣). «فَكَمَا أَنَّ فِي الْكَلَامِ الْمُنْثُورِ سَبَابٌ وَقَدْحٌ وَكَذِبٌ وَزُورٌ وَغِيبةٌ وَنَمِيمةٌ، وَهُوَ إِنْ اِحْتَوَى ذَلِكَ كُرْهُ وَأَثِمٌ قَائِلُهُ، فَكَذَا فِي الشُّعْرِ، مِثْلَ ذَلِكَ وَأَبْلَغُ؛ حَيْثُ أَنَّ الشُّعْرَ يَبْقَى غَالِباً وَيُرْصَدُ وَيُحْفَظُ بَلْفَظِهِ، وَتَتَنَاقَلُهُ الرِّوَاةُ»^(٤).

وأمّا منهجية الإسلام في التعامل مع الشعراء فليست إلا امتداداً حتمياً لنظرته للشعر، وليس أكثر دلالة على ذلك من قوله تعالى: ﴿وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ۚ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ۚ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ۚ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا ۗ وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ ۚ﴾ [الشُّعْرَاءُ: ٢٢٤-٢٢٧].

(١) رواه البخاري عن عبد الله بن عمرو في الأدب المفرد ص ٢٩٩، والطبراني في المعجم الأوسط ٣٥٠/٧، والدارقطني في سننه ٢٧٤/٥. وقد ذكره الهيثمي في المجمع ١٢٢/٨ وقال: «رواه الطبراني في الأوسط وقال: لا يروى عن النبي ﷺ إلا بهذا الإسناد، وإسناده حسن والله أعلم».

(٢) انظر: الحاوي الكبير ٢٠٩/١٧-٢١٠.

(٣) تفسير القرطبي ١٥١/١٣.

(٤) الفتاوى الشرعية في المسائل الطبية ص ١٣١.

قال الطاهر بن عاشور^(١) في تفسيرها: «وقد دلّت الآية على أن للشعر حالتين؛ حالة مذمومة، وحالة مأذونة، فتعيّن أن ذمّه ليس لكونه شعراً، ولكن لما حُفّ به من معانٍ وأحوالٍ اقتضت المذمّة، فانفتح بالآية للشعر بابٌ قبُولٍ ومدح»^(٢).

فقد جاءت الآيات الكريمة تذكُّم حال شعراء الجاهلية لما كانوا عليه من الصدّ عن الحقّ والدُّودِ عن الباطل بهجاء النبي ﷺ وصحابته الكرام، ثمّ تستثني من الذمّ العام الشعراء المؤمنين الصالحين الذي يذكرون الله ويشنون عليه في أشعارهم الصادقة، ويهجون الكفار وينصرون نبينهم ﷺ.

قال الطبري: «فقد وضح إذن أن المذموم من الشعراء غير الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيراً وانتصروا من بعد ما ظلموا، وأنهم هم الذين صفتهم خلاف هذه الصفة، فأما من آمن منهم وعمل الصالحات وذكر الله كثيراً فغير مذمومين، بل هم محمودون»^(٣).

إذاً فلا يُمكن أن يُقاس جميع الشعراء بالمقياس نفسه، بل يُصنّفون بحسب ما يصدر عنهم من الأشعار.

وقد تبين من خلال ما سقته في المبحثين السابقين، أن الأحاديث النبوية جاءت تطبيقاً واقعياً عملياً لهذا المنهج الإسلامي في التعامل مع الشعر والشعراء.

(١) محمد الطاهر بن محمد الشاذلي بن عبد القادر بن محمد بن عاشور، من بيتٍ شهير بالشرف والعلم والصلاح، نقيب أشرف تونس وكبير علمائها، ولي قضاء الحاضرة سنة ١٢٦٧هـ، ثم الفتيا سنة ١٢٧٧هـ، كان يقول الشعر ويُجيده، له مؤلفات منها (شفاء القلب الجريح) في شرح البردة، و (هدية الأريب) حاشية على القطر لابن هشام في النحو، و (تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد)، توفي بتونس سنة ١٢٤٨هـ. انظر: شجرة النور الزكية ١/٥٦٠، الأعلام ٦/١٧٣.

(٢) التحرير والتنوير ١٩/٢١٣.

(٣) تهذيب الآثار ٢/٦٥٦.

ولعلَّ أبرز ما يتَجَلَّى فيه العملُ بهذا المنهج؛ نقدُ النبي ﷺ لما يسمعه من الشعر، فقد كان ﷺ يقفُ على المضمون، فيصحح ما يراه مخالفاً لتعاليم الإسلام، ويصدق ما وافقها ولم يخرج عنها.

ومن ذلك ما روي عن عائشة ؓ أن النبي ﷺ مرَّ بنساءٍ من الأنصار في عرسٍ لهنَّ يُعَنِّين:

[بحر الرجز]

وَأَهْدَى لَهَا كَبْشاً تَنَحَّنَحْ^(١) فِي الْمِرْدِ^(٢)
وَزَوْجَكِ فِي النَّادِي^(٣) وَيَعْلَمُ مَا فِي غَدِ

فقال رسول الله ﷺ: «لَا يَعْلَمُ مَا فِي غَدٍ إِلَّا اللَّهُ، أَلَا قُلْتُمْ:

[بحر الهزج]

أَتَيْنَاكُمْ أَتَيْنَاكُمْ فَحَيَّانَا وَحَيَّاكُمْ»^(٤).

ففي هذا الحديث أنكر النبي ﷺ عليهن قولهنَّ: (ويعلم ما في غد)، لأن صفة علم الغيب تختص بالله تعالى دون غيره، قال تعالى: ﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ [النمل: ٦٥]. فما أن سمع قولهنَّ حتى بادر إلى تعليمهنَّ وإرشادهنَّ للمعنى الذي يرتضيه الله ورسوله.

(١) تنحنح: أي تردَّد صوته. انظر: لسان العرب، مادة (نحج) ٦١٢/٢.

(٢) المريد: محبس الإبل وموقفها. انظر: لسان العرب، مادة (ريد) ١٧٠/٣.

(٣) النَّادِي: مجتمع القوم وأهل المجلس. لسان العرب، مادة (ندي) ٣١٥/١٥.

(٤) المعجم الأوسط للطبراني ٣/٣٦٠، المستدرک علی الصحیحین ٢/٢٠١ وقال الحاكم: «هذا حديث صحيح على شرط مسلم». وأخرجه البيهقي في السنن الكبرى ٧/٤٧١ باختلافٍ بالفاظ الأبيات. وقد ذكر الهيثمي الحديث وقال: «رجاله رجال الصحيح» مجمع الزوائد ٤/٢٩٢، وحسن إسناده الحافظ ابن حجر في فتح الباري ٩/٢٠٣.

ومن ذلك أيضاً ما روي عن كعب بن مالك رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم مرَّ به وهو يُنشد:

[البحر الطويل]

أَلَا هَلْ أَتَى عَسَّانَ عَنَّا وَدُوهُم
مِنَ الْأَرْضِ حَرْقٌ^(١) حَوْلَهُ يَتَقَعَّقُ^(٢)
تُجَالِدُنَا^(٣) عَنْ حَزْمِنَا كُلِّ فَحْمَةٍ^(٤)
كَرَدَفٍ لَهَا فِيهَا الْقَوَانِسُ^(٥) تَلْمَعُ^(٦)

فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «لا يا كعب بن مالك»، فقال كعب: تُجَالِدُنَا عَنْ دِينِنَا كُلِّ فَحْمَةٍ،

فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «نعم يا كعب»^(٧).

فنرى النبي صلى الله عليه وسلم في موقفه مع كعب بن مالك رضي الله عنه يُخَطِّئُهُ في مضمون قوله، فحين وجد فيها شيئاً من العصبية الجاهلية، نهاه عنها، ليفهمه أن معاني الشعر في الإسلام يجب أن تُصاغ طبقاً للتصور الإسلامي.

وأخيراً فإن المُطَّلِعَ على الحديثين السابقين، يُمكنه أن يرى بكل وضوح تطبيقاً عملياً لمنهجية النبي صلى الله عليه وسلم في قبول الأشعار وردّها، على أساس ما تضمنته من معاني ودلالات.

(١) حَرْقٌ: ما انخرق من الشيء وبان منه، وتُطْلَقُ على المفازة الواسعة من الأرض والقفَر الذي تنخرق فيها الريح. انظر: لسان العرب، مادة (خرق) ٧٣/١٠.

(٢) يَتَقَعَّقُ: من قَعَقَعَ، أي أحدث صوتاً عند التحريك واضطرب. انظر: لسان العرب، مادة (قفع) ٢٨٦/٨.

(٣) تُجَالِدُنَا: جالده بالسيف أي ضاربه. لسان العرب، مادة (جلد) ١٢٥/٣.

(٤) فحمة: أشار محقق ديوان كعب بن مالك الدكتور سامي مكّي العاني، أن اللفظة هي فحمة وليست فحمة وأنه قد أصابها تصحيف فجاءت فحمة. والفحمة: هي الكتيبة العظيمة. انظر: ديوان كعب بن مالك ص ٢٢٣.

(٥) الْقَوَانِسُ: جمع قونس، وهو: عظم ناتئ بين أذني الفرس، وأعلى بيضة الحديد، وهي الخوذة. النهاية ١٢٦/٤، تاج العروس، مادة (قنس) ٤٠٥/١٦.

(٦) والأبيات في ديوان كعب بن مالك مع اختلاف في الألفاظ. ديوان كعب بن مالك ص ٢٢٢.

(٧) المعجم الكبير للطبراني ٩٧/١٩. ذكره الهيثمي وقال: «رواه الطبراني وإسناده حسن» واللفظ عنده (حرق حوله يُتَّبَع) بدل يتقفع. مجمع الزوائد ١٢٤/٨.

وفي الخِتام يَجِبُ على من ذمَّ رواية الشُّعر وذمَّ من ينظمه ويُشِده أن يَعْلَمَ: «أَنَّ الشُّعر كلام، وفي الكلام الجيّد والردّيء، وما يُكتسب به الثواب، وما يُجْتَلَبُ به العقاب، وما تُبتاغ به الجنان، وما تُشترى به النيران. فكيفَ يُطلَقُ الذّم على الجميع، ويُؤخَذ الرفيع بالوضيع، ويُلحق بالشُّعر كلّ كراهية تختصّ ببعضه. وأنَّ الشُّعراء بشَرُّ وفي البشر الصالح والطالح، والعاقِل والجاهل، والمحمود والمذموم، وليس من العقل والعدل أن نجدَ في رجل خلّة مذمومة فنذّم من أجلها كل من تسمّى باسمه، وكلّ من انتسب إلى أصله وجذمه، وكلّ داخلٍ في صناعته، وكلّ معدودٍ من جماعته»^(١).

وختلاصة القول أَنَّ الشُّعر الذي يقبله الإسلام هو: «شعر الحق، والكلمة الهادفة الخيرة، إنه الشُّعر الذي يبني المثل الكريمة والقيم النبيلة، ويشيد بالفضيلة، ويدعو إلى السداد. إنَّه الشُّعر الصادق المعبر عن نظرة سليمة إلى الكون والحياة والناس، شعرٌ يسمو بالعواطف إلى الخير، ويُصعدها في معارج الرقيّ والنبيل والفضل، فيه الصّدق والحكمة والمثل، تتجلى فيه قيم هذا الدين بما فيه من معاني سامية نبيلة، وخلقٍ رفيق، وأدبٍ جَمٍّ، يُجانب السفه، ويتوقى الطيش، ويحذر الكلمة الرعناء غير المسؤولة...، فإذا ما وصل الشُّعر إلى هذه القمة السامقة من الالتزام بالحق استحقَّ الإشادة والدُّعاء والثناء والإنشاد»^(٢).

وأنَّ الشَّاعِرَ الذي يلتزم في شعره بما يدعو إليه الإسلام؛ فيكون بكلمته التي يقولها مشعلاً للحق والفلاح في أمته، يقودها إلى الخير، ويُبعدها عن دروب الشر، ويُعمّق في نفوس أبنائها محبة الدين، ويُبعدها عن الضياع في أودية الضلال والشهوات، فهو بذلك مُصلِحٌ يشارك بعملية البناء والتربية والإصلاح.

(١) نصرّة الإغريض في نصرّة القريض ص: ٣٧٢.

(٢) النظرة النبوية في نقد الشُّعر ص ٤١-٤٢.

الفصل الثاني

قول النبي ﷺ الشعر

ويتضمن مبحثين:

- المبحث الأول: إنشاء النبي ﷺ الشعر.
- المبحث الثاني: تمثيل وإنشاد النبي ﷺ للشعر.

الفصل الثاني

قول النبي ﷺ الشعر

ولد النبي ﷺ في جزيرة العرب، ونشأ وترعرع في أحضان أفصح العرب لساناً وأصفاهم لغةً، فالنبي ﷺ هاشمي من قريش، وقد أجمع علماء كلام العرب والرواة لأشعارهم، أن قريشاً هي أفصح العرب؛ ذلك أنها كانت حين تفتد وفود العرب من الحجاج وغيرهم إلى مكة للحج، تتخير من كلامهم وأشعارهم ولغاتهم أحسنها وأصفاهها، فاجتمع ما استحسنا من تلك اللغات إلى نحائرهم وسلاتقهم التي طبعوا عليها، فصاروا بذلك أفصح العرب^(١).

وقد شغل الشعر في تلك البيئة العربية مكانة رفيعة، حيث كان سجيّة متأصلة في نفوس القوم، يولد معهم، ويجري على ألسنتهم، ويخلد مأثرهم، فكان من الطبيعي أن ينعكس ذلك على النبي ﷺ، وأن يتأثر بمحيطه الذي نشأ فيه، فكان ﷺ يسمع الشعر ويتذوق ما فيه من المعاني والحكم الراقية، لكنه لم يكن بحال من الأحوال شاعراً؛ فقد نزهه الله تعالى عن علم الشعر في قوله عز وجل: ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ﴾ [يس: ٦٩]، إلا إنه عند العودة إلى الأخبار التي وردت في السنة النبوية نجد أنها نقلت لنا عدداً من الأبيات الشعرية التي جرت على لسانه ﷺ، فهل يتعارض ذلك مع الآية السابقة الذكر؟ وإن كان ليس كذلك فكيف يمكننا التوفيق بين الأمرين؟.

من خلال استقراء الأبيات التي جرت على لسانه ﷺ، نجد أنها تدور في قسمين: قسم قاله ﷺ إنشاءً من قبل نفسه، والقسم الآخر كان تمثلاً وترديداً لأشعار غيره.

(١) انظر: الصاحبي في فقه اللغة ص ٢٨، المزهري في علوم اللغة ص ١٦٦.

المبحث الأول إنشاء النبي ﷺ الشعر.

وفيه مطلبان:

- المطلب الأول: تنزيه النبي ﷺ عن إنشاء الشعر.
- المطلب الثاني: ما جرى على لسان النبي ﷺ مما يوافق أوزان الشعر.

➤ المبحث الأول: إنشاء النبي ﷺ الشعر.

الإنشاء هو الابتداء، وهو مصدرٌ للفعل (أنشأ) الذي معناه ابتداءً وأقبل^(١)، أما إنشاء الشعر فهو ابتداءً قوله، بإنشاءٍ معانيه ولفظه ووزنه.

وقد وردَ في بعض الأحاديث الشريفة إنشاء النبي ﷺ لكلامٍ موزونٍ على بحور الشعر المعروفة، فهل يُعدُّ ما أنشأه ﷺ من موزونٍ الكلامِ شعراً؟ وهل يقتضي ذلك كونه ﷺ شاعراً؟ لتوضيح هذه الأمور، تناولت هذا المبحث في مطلبين:

المطلب الأول: تنزيه النبي ﷺ عن إنشاء الشعر.

المطلب الثاني: ما جرى على لسان النبي ﷺ مما يوافق أوزان الشعر.

• المطلب الأول: تنزيه النبي ﷺ عن إنشاء الشعر.

تعرَّض النبي ﷺ في تبليغه لرسالة الإسلام لموجاتٍ ظالمةٍ من الاتهاماتِ والافتراءاتِ الباطلة؛ فقد اتهمه أعداؤه بكونه ساحراً تاراً وكاهناً تاراً وشاعراً تاراً أخرى، ولعلَّ ما يهمنا في هذا المطلب، اتِّهامهم له ﷺ بالشعر.

دُهِّلَ كُفَّار قريش من فصاحة القرآن وبلاغته، وبما أتى به من معاني عظيمة، فدفعتهم حيرتهم وتخبُّطهم حيال نمطه البياني المعجز إلى وصفه بأنَّه شعر، ووصف النبي ﷺ أنه شاعر، وزعموا ذلك في مواطن كثيرة كما قال تعالى: ﴿بَلِ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ﴾ [الأنبياء: ٥]، وقال: ﴿يَقُولُونَ أَيُّنَا لَتَارِكُو آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ﴾ [الصافات: ٣٦]، وقال: ﴿أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ﴾ [الطور: ٣٠].

فعمد القرآن الكريم إلى دحض تهمة الشعر عنه ﷺ وتنزيهه عنها فقال تعالى: ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ﴾ [يس: ٦٩]، وقال: ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ﴾ [الحاقة: ٤١]، ثمَّ وضع بذلك حداً فاصلاً بين منهج الشعر ومنهج النبوة والرسالة، فجميع الآيات التي ذكرت الشعر مكّية، نزلت في معرض الدعوة إلى الإيمان، ومحاجّة المشركين، وتكذيب افتراءاتهم ومطاعنهم.

(١) انظر: لسان العرب، مادة (نشأ) ١/١٧١.

ولعلَّ أهمَّ ما ينطلقُ منه البحثُ في أمرِ تنزيهِه ﷺ عن إنشاءِ الشَّعر هو قوله تعالى: ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ﴾ [يس: ٦٩]. فما المراد من هذه الآية الكريمة؟ وما المقصِدُ وراء عدم تعليمِ الله تعالى نبيَّه الشَّعر؟ وهل تضمَّن قوله تعالى: ﴿وَمَا يَنْبَغِي لَهُ﴾ نفْيَ علمه إنشاءَ الشَّعر، أم نفْيَ إمكان إنشاده وتمثله أيضاً؟

تعدَّدت أقوال المفسرين في المراد من الآية الكريمة، إلا إنها تتلخصُ في أمرين:

أولاً- بيان التباين بين مفهومي القرآن والشَّعر.

لقد كان وصفُ كفارِ مكة للقرآن بالشَّعر؛ تبعاً لنظمِ القرآن وأسلوبه الذي أعجزهم ببلاغته وبديعِ صنعه، فلم يجدوا أقربَ من الشعر ليلحقوه به، وما أكبرَ الفرقَ بينهما، فهو فرقٌ بين كلامِ البشر وكلامِ ربِّ البشر.

فأراد الله تعالى بهذه الآية الكريمة وضعَ حدٍّ فاصل بين الشَّعر الذي هو صنعةٌ بشريةٌ متكلفةٌ، منسوجةٌ على منوالِ الوزنِ والقافية، مبنيةٌ على الخيالات والتصورات، وبين التنزيلِ الجليل المنزَّه عن مماثلةِ كلامِ البشر، المشحون بفنون الحكم والأحكام الباهرة، الموصل إلى سعادة الدنيا والآخرة.^(١)

قال الزمخشري^(٢): «القرآن ليسَ بشعر وما هو من الشعر في شيء». وأين هو عن الشَّعر، والشَّعر إنما هو كلامٌ موزون مُقَفَّى، يَدُلُّ على معنى، فأين الوزن؟ وأين التَّفْهِيْمَةُ؟ وأين المعاني التي يَنْتَحِيها الشُّعراء عن معانيه؟ وأين نَظْمُ كلامهم من نَظمه وأساليبه؟ فإذا لا مُناسبة بينه وبين الشَّعر إذا حَقَّقْتَ، اللهم إلا أنَّ هذا لفظه عربي.^(٣)

(١) انظر: فتح البيان ٣١٦/١١.

(٢) أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد بن عمر، العلامة الخوارزمي الزمخشري. الإمام الكبير في التفسير والحديث والنحو واللغة وعلم البيان، يلقب جارا لله، لأنه جاور بمكة زماناً. ولد في زمخش - قرية من قرى خوارزم - وقدم بغداد وسمع من أبي الخطاب بن البطري وغيره، قال عنه ابن خلكان: «كان إمام عصره وكان متظاهراً بالاعتزال داعية إليه». له تصانيفٌ بديعة منها (الكشاف) في التفسير، و(الفائق) في غريب الحديث، و(أساس البلاغة) وغيرها. توفي سنة ٥٣٨ هـ. انظر: وفيات الأعيان ١٦٨/٥ - ١٦٩، طبقات المفسرين للسيوطي ص ١٢٠ - ١٢١.

(٣) الكشاف ٢٦/٤.

ففي قوله تعالى: ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ﴾ نفي كون القرآن شعراً بأبلغ وجه، قال ابن عاشور: «ليس الذي علّمناه إياه إلا ذكراً وقرآناً وما هو بشعر. والتعليم هنا بمعنى الوحي، أي وما أوحينا إليه الشعر فقد أطلق التعليم على الوحي في قوله تعالى: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحى﴾ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى ﴿٥﴾ [النجم: ٤-٥] وقال: ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ﴾ [النساء: ١١٣]»^(١).

ثانياً- نفي علم الشعر عن النبي ﷺ.

استدعت ضرورة تنزيه النبي ﷺ عن قول الشعر، نفي علم الشعر عنه ﷺ، ويتجلى ذلك في قوله تعالى: ﴿وَمَا يَنْبَغِي لَهُ﴾. فحكمة الله تعالى اقتضت أن لا يجعل الشعر في طبعه ﷺ ولا في سليقته، فلو حاول لا يتأتى له ولا يسهل عليه قوله ولا يستقيم مع فطرته ولا يصلح منه.

فكانت سجيته ﷺ كما قال الإمام ابن كثير^(٢): «تأبى صناعة الشعر طبعاً وشرعاً»^(٣). قال الجصاص^(٤): «لم يعط الله نبيه ﷺ العلم بإنشاء الشعر، لم يكن قد علّمه الشعر

(١) التحرير والتنوير ٢٣ / ٥٧.

(٢) ابن كثير: هو إسماعيل بن عمر بن كثير بن ذو بن درج القرشي البصري ثم الدمشقي، أبو الفداء، عماد الدين، حافظ مؤرخ فقيه، نشأ بدمشق، ثم رحل في طلب العلم، وسمع من إسحاق الأمدى وابن عساكر والمزي وغيرهم، اشتغل بالحديث مطالعة في متونه ورجاله، له مصنفات كثيرة منها: (البداية والنهاية) في التاريخ، و(تفسير القرآن العظيم)، و(الباعث الحثيث في معرفة علوم الحديث) وغيرها. توفي رحمه الله في شعبان سنة ٧٧٤هـ. انظر: الدرر الكامنة ١/ ٤٤٥، الأعلام ١/ ٣٢٠-٣٢١.

(٣) تفسير ابن كثير ٦/ ٥٢٦.

(٤) أحمد بن علي المكنى بأبي بكر الرازي الجصاص الحنفي. والخصاص نسبة إلى العمل بالخص. درس الفقه على كبار الحنفية في عصره، كأبي الحسن الكرخي، وأبي سهل الزجاج وغيرهم. كان زاهداً ورعاً وجاداً في طلب العلم، حتى صار إمام الحنفية في عصره ببغداد. خرج في طلب العلم إلى الأهواز ثم إلى نيسابور، ثم استقر في بغداد يُدرّس ويُفقه الناس فانتفع به خلق كثير، منهم أبو عبد الله الجرجاني، وأبو الحسن الزعفراني. له مؤلفات عدّة منها: (أحكام القرآن)، و(مختصر الكرخي)، و(شرح الجامع الصغير) وغيرها. توفي ببغداد سنة ٣٧٠هـ. انظر: الجواهر المضية ١/ ٨٤-٨٥، الأعلام ١/ ١٧١.

لأنَّه الذي يُعْطِي فِطْنَةً ذَلِكَ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ»^(١). فالنبي ﷺ مُعَلِّمٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ تعالى، فقد علَّمَهُ ما أَرَادَ ولم يُعَلِّمَهُ ما لم يُرِدْ^(٢).

قال الخليل بن أحمد^(٣): «كَانَ الشَّعْرُ أَحَبَّ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْ كَثِيرِ الْكَلَامِ، وَلَكِنْ لَا يَتَأْتِي مِنْهُ»^(٤).

فَمُجْمَلُ الْمَرَادِ بِالْآيَةِ الْكَرِيمَةِ؛ هو أن القرآن ليس بِشِعْرٍ وَأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ ليس بِشَاعِرٍ، وَلَا يَتَأْتِي لَهُ قَوْلُ الشَّعْرِ، قال الآلوسي^(٥): «وَالْمَرَادُ مِنْ نَفْيِ تَعْلِيمِهِ ﷺ بِتَعْلِيمِ الْكِتَابِ الشَّعْرَ، نَفْيٌ أَنْ يَكُونَ الْقُرْآنُ شِعْرًا عَلَى سَبِيلِ الْكُنْيَةِ، لِأَنَّ مَا عَلَّمَهُ تَعَالَى هُوَ الْقُرْآنُ، وَإِذَا لَمْ يَكُنِ الْمَعْلَمُ شِعْرًا، لَمْ يَكُنِ الْقُرْآنُ شِعْرًا الْبَتَّةَ»^(٦).

(١) أحكام القرآن للخصاص ٥ / ٢٥٠.

(٢) انظر: اللباب في علوم الكتاب ١٦ / ٢٦٠.

(٣) هو الخليل بن أحمد الفراهيدي أبو عبد الرحمن الإمام، صاحب العربية، ومنشئ علم العروض، البصري، أحد الأعلام. ولد في البصرة عام ١٠٠ هـ ونشأ عابداً لله تعالى، مجتهداً في طلب العلم، واسع المعرفة، شديد الذكاء. من تصانيفه: (العين) و(معاني الحروف) و(العروض)، توفي سنة ١٧٠ هـ. انظر: وفيات الأعيان ٢ / ٢٤٤، بغية الوعاة ١ / ٥٥٧-٥٥٨.

(٤) تفسير القرطبي ١٥ / ٥٢.

(٥) الآلوسي: محمود بن عبد الله الآلوسي الشهاب البغدادي أبو الثناء مفتي بغداد، صاحب التفسير المسمى (روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني)، له رسالة ألفها في بيان حاله ومذهبه وكيفية اشتغاله وإجازته في العلوم العقلية والنقلية وتراجم من أخذ عنهم العلم، كما صنّف - رحمه الله - (الأجوبة العراقية عن الأسئلة الإيرانية)، و(الأجوبة العراقية عن الأسئلة اللاهوتية)، سافر إلى القسطنطينية ورجع إلى بلده وتوفي بها سنة ١٢٧٠ هـ. انظر: فهرس الفهارس ١ / ١٣٩، هدية العارفين ٢ / ٤١٨.

(٦) روح المعاني ١٢ / ٤٥ - ٤٦.

أما سبب تنزيه النبي ﷺ عن علم الشعر، والعلّة من صرفه عن إنشائه، فتكمن في إزالة اللبس الذي يحاول المشركون إثارتته بُجَاهِ النَّبِيِّ ﷺ وبُجَاهِ الْوَحْيِ الَّذِي يُبَلِّغُهُ عَنْ رَبِّهِ عَنْ طَرِيقٍ مَا يَتَعَمَّدُونَ إِثَارَتَهُ مِنَ الشُّبُهَاتِ.

وتبرزُ الْحِكْمَةُ فِي ثَلَاثَةِ أُمُورٍ تَجْتَمِعُ لِتُرْسَخَ الْمَفْهُومُ الْحَقِيقِيُّ لِلنَّبُوءَةِ وَالْوَحْيِ:

أولاً- أن الله أراد بذلك ترسيخ المفهوم الحقيقي للنبوة، ووضعه خارج مجال الالتقاء أو الاشتباك بمفهوم الشاعر، لئلا يُظَنَّ أَنَّهُ قَوِيَ عَلَى الْقُرْآنِ بِمَا فِي طَبْعِهِ مِنَ الْقُوَّةِ عَلَى الشَّعْرِ، قَالَ الْجَصَّاصُ: «وَأَمَّا لَمْ يُعْطَ ذَلِكَ لئلا تدخل به الشُّبُهَةُ عَلَى قَوْمٍ فِيمَا أَتَى بِهِ مِنَ الْقُرْآنِ؛ أَنَّهُ قَوِيَ عَلَى ذَلِكَ بِمَا فِي طَبْعِهِ مِنَ الْفِطْنَةِ لِلشَّعْرِ»^(١).

فَجَعَلَ اللَّهُ تَعَالَى ذَلِكَ عِلْمًا مِنْ أَعْلَامِ نُبُوَّتِهِ ﷺ وَصِفَةً مُمِيزَةً لَهُ، كَمَا جَعَلَهُ أَمِيًّا لَا يَتَهَدَّى لِلخَطِّ وَلَا يُحْسِنُهُ؛ لِنَفْيِ الظَّنِّ عَنْهُ، وَلِتَكُونَ الْحُجَّةُ أَثْبَتَ وَالشَّبَهَةُ أَدْحَضَ^(٢).

ثانياً- لتوضيح المعنى الحقيقي للوحي؛ وصياغته صياغة دقيقة، بعيدة عن كل ما قد يشوبه من معتقداتٍ وأوهامٍ قديمةٍ سائدة.

فَلَمَّا كَانَ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ يَنْتَزِلُ عَلَى الرَّسُولِ ﷺ مِنْ عَالَمِ الْغَيْبِ وَحِيًّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ تَعَالَى، اصْطَدَمَ مَفْهُومُ الْوَحْيِ عِنْدَ الْعَرَبِ بِمَفَاهِيمٍ أُخْرَى كَانُوا يَعْتَقِدُونَ قَدِيمًا أَنَّ لَهَا اتِّصَالَ بِعَالَمِ الْغَيْبِ، وَمِنْهَا مَفْهُومُ الشَّاعِرِ^(٣)؛ فَقَدِيمًا كَانَ الْعَرَبُ يَزْعُمُونَ أَنَّ لِكُلِّ شَاعِرٍ شَيْطَانًا خَاصًّا بِهِ

(١) أحكام القرآن للحصاص ١٥ / ٢٥٠.

(٢) انظر: الكشف ٢٦/٤، تفسير القرطبي ١٥/٥٥.

(٣) أشار إلى هذا الأمر الدكتور نجيب البهيبي في كتابه المعلقة العربية الأولى أو عند جذور التاريخ، وقام بتفنيده ودراسته، ببيان الفرق بين المصدرين، مصدر التنزيل-القرآن الكريم- ومصدر الشعر- الذي كان يعتقد العرب قديما وهو الشياطين- انظر: المعلقة العربية الأولى ص ٧١-٧٢.

يتبعه وينفث على لسانه الشعر ويوحى له به^(١)، حتى إنَّ بعض الشعراء ذكروا ذلك في قصائدهم^(٢).

فكان لا بُدَّ من توضيح أنَّ اتصال الرسول ﷺ بالغيب عن طريق الوحي -جبريل عليه السلام- أمرٌ آخر يختلفُ اختلافاً تاماً عن ما كانوا يظنونونه من أمرٍ شعرائهم. ولحسم ذلك بشكل تام، عمد القرآن لنفي الشعر عن النبي ﷺ؛ ذرئاً لأيِّ ملامسات قد تقتزن بمفهوم الوحي الإلهي، الذي يُعدُّ القطب الرئيسي للنبوة والرَّسالة.

ثالثاً- لأنَّ الشعر لا يليق بمقام النبوة؛ فهو «يدعو إلى تغيير المعنى لمراعاة اللفظ والوزن، فأحسنُ الشعر المبالغة والمجازفة والإغراق في الوصف، وأكثره تحسين ما ليس بحسن وتقبيح ما ليس بقبيح، وكل ذلك يستدعي الكذب أو يحاكيه الكذب، وجَلَّ جنابُ الشارع عن ذلك»^(٣).

كما أنَّ طبيعة الأنبياء تتنافى بشكلٍ كامل مع طبيعة الشعراء، الذين عُرفَ الكثيرُ منهم في الجاهلية بمسلكٍ خلقي يتسمُ بالإسرافِ في اللُّهو، والإقبالِ على الملماتِ^(٤).

(١) انظر: جمهرة أشعار العرب ٦٣/١، تاريخ النقد الأدبي عند العرب ص ٣٨٧.

(٢) دَكر الأعشى شيطانه والذي يُدعى (مسحل) فقال:

وما كنتُ شاحِرداً ولكن حَسِبْتَنِي إِذَا مِسْحَلٌ سَدَى لِي الْقَوْلَ أَنْطِقُ.

وقيل أنَّ شيطان امرئ القيس كان اسمه لافظ بن لاحظ، وشيطان عبيد بن الأبرص كان يُدعى هبيد، وشيطان زياد الذبياني كان يُدعى هاذر، وروي عن الفرزدق انه كان يقول أنَّ للشعر شيطانان يُدعى أحدهما الهوبر والآخر الهوجل، فمن انفرد به الهوبر جاد شعره وصحَّ كلامه، ومن انفرد به الهوجل فسد شعره. انظر: جمهرة أشعار العرب ص ٥٠-٦٣، ديوان الأعشى الكبير ص ٢٢١.

(٣) روح المعاني للآلوسي ٤٦/١٢.

(٤) انظر: جزء أحاديث الشعر/مقدمة المحقق ص ٧.

فالشَّعْرُ لم يكن يليقُ به ﷺ ولا يصلحُ له، فهو أعلى مقاماً وأسمى رتبةً، حتى ولو لم يمدح مع المداحين ولو لم يتغزل مع المتغزلين، وحاشاهُ من كلِّ ذلك عليه الصلاة والسلام، فهو النموذجُ الأمثلُ الذي ظهرت فيه أخلاقُ الإسلام بكلِّ جلاءٍ، بوصفه القدوة الأولى لكل المسلمين.

• المطلب الثاني: ما جرى على لسان النبي ﷺ مما يوافق أوزان الشعر.

نقلت السنة إلينا بعض الكلام -المنثور- الذي صدرَ عن النبي ﷺ في أحيان نادرة مُسجَّعاً موزوناً على بحور الشعر، وذلك شأنٌ من شؤون الفصحاء الذين اكتملت فصاحتهم وبلغوا أعلى درجاتها ومن ذلك:

- ما رواه الشيخان أنه ﷺ قال يوم حُنين لما تفرَّق عنه أصحابه، فافتَحَ صفوفُ الأعداء مع نفرٍ قليلٍ منهم على بغلته البيضاء قائلاً:

[بحر الرجز]

أنا النَّبيُّ لا كَذِبُ أنا ابن عبدِ المطلب^(١)

وهذا البيتُ موزونٌ على الرَّجَزِ^(٢)، جرى على لسانه ﷺ، قاصداً إعلامَ الصَّحابةِ بوجوده

(١) صحيح البخاري، في الجهاد والسير، باب من قاد دابةً غيره في الحرب، عن البراء بن عازب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ٣٠/٤ (٢٨٦٤)، وفي صحيح مسلم بألفاظٍ متقاربة، في الجهاد والسير، باب في غزوة حنين، ١٤٠٠/٣ (١٧٧٦).

(٢) الرَّجَز: هو بحرٌ من بحور الشعر، قال الخليل: «سُمِّيَ رجزاً لاضطرابه»، وقال ابن دريد: «سُمِّيَ رجزاً لتقاربِ أجزائه وقلة حروفه»، ووزنه في الأصل ستة تفعيلات:

مستفعلن مستفعلن مستفعلن مستفعلن مستفعلن مستفعلن.

وهو أكثر بحور الشعر ثقلباً وتَعَرُّضاً لإصابته بالزحافات والعلل والشَّطْر والتَّهْكِ والجُزْء، فلا يبقى على حال واحدة. انظر: العيون الغامزة على خبايا الرامزة ١٨٢/١، بحور الشعر العربي ص ١٢٠. ومعنى الزَّحاف: هو ما يلحق أي جزء كان من الأجزاء السبعة التي جعلت موازين الشعر من نقص أو زيادة أو تقلص حرف أو تأخير أو تسكينه، ولا يكاد يسلمُ منه شعر. العمدة ١٢٤/١ =

وثباته وأنه لم يُصَبَّ بسوء؛ فتطمئن قلوبهم ويتم جمعهم، بعد اضطرابهم وانحلالهم.

قال السيوطي^(١): «وقوله أنا النبي لا كذب أي: حقاً فلا أفر ولا أزول، وإنما انتسب

إلى جده دون أبيه لشهرته»^(٢).

= ويُستعمل بحر الرجز تاماً ومختصراً، فالتام: هو ما كانت تفاعيله ستاً، والمختصر: ثلاثة أنواع هي:

١. مجزوء الرجز: وهو ما بقي البيت منه على أربع تفاعيل.

٢. مشطور الرجز: وهو ما بقي البيت منه على ثلاث تفاعيل.

٣. منهوك الرجز: وهو ما بقي البيت منه على تفعيلتين.

والرجز من أكثر ضروب الشعر انتشاراً بين العرب، فقد كان يجري على الألسنة في شتى المناسبات لبساطته، يتفق للصبيان والضُعفاء من العرب، فيتراجزون به في عملهم وفي لعبهم وفي سوقهم، وكانت ترتجزه الركبان أيضاً حينما تسير الإبل ويسمى حذاءً. انظر: علم العروض والقافية ٧١/١-٧٢، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ص ٢١٠-٢١٢.

ويُعدُّ الرجز أخفض طبقة من الشعر وأضعفها، وأقربها إلى النثر وأكثرها تعرضاً للتحويل والتغيير، قال عنه أبو العلاء المعري: «من سفاسف القريض». تاريخ النقد الأدبي عند العرب ص ٣٨٨.

(١) الحافظ جلال الدين، عبد الرحمن بن أبي بكر ابن محمد الخضير السيوطي، إمام حافظ ومؤرخ ومحقق ومسنّد وأديب، نشأ في القاهرة يتيماً، ثم رحل إلى الشام والحجاز واليمن والهند والمغرب ثم عاد إلى مصر فاستقر بها وتولى مناصب عدة، ولما بلغ الأربعين اعتزل الناس وخلا بنفسه واشتغل بتصنيف الكتب، فكانت له تأليف قيّمة في علوم عديدة منها: (الديباج على صحيح مسلم بن الحجاج) و(الجامع الكبير) و(الجامع الصغير)، وهو صاحب (الإتقان في علوم القرآن) و(تدريب الراوي) في شرح تقريب النواوي، و(الآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة)، و(الدرر المتناثرة في الأحاديث المتواترة) وغير ذلك عشرات المصنفات بل مئاتها، فقد وصلت كتبه إلى خمسمائة مصنف، فقد كان يكتب في كل يوم كراسة، وقال عن نفسه: إنه حفظ مائتي ألف حديث. توفي سنة ٩١١ هـ. انظر: الكواكب السائرة ٢٢٧/١، الأعلام ٣٠١/٣-٣٠٢.

(٢) شرح السيوطي على مسلم ٣٨٧/٤.

وقال الحافظ ابن حجر: «وأراد النبي ﷺ تنبيه أصحابه بأنه لا بُدَّ من ظهوره وأنَّ العاقبة له لتَقْوَى قُلُوبُهُمْ إِذَا عَرَفُوا أَنَّهُ ثَابِتٌ غَيْرُ مُنْهَزِمٍ»^(١).

وقد كَانَ من عَادَةِ الْعَرَبِ أَن يَرْجِزَ أَبْطَالُهُمْ فِي مِثْلِ هَذِهِ الْمَوَاضِعِ؛ إِثَارَةً لِلْحِمَاسَةِ وَتَحْرِيزاً عَلَى الْقِتَالِ^(٢).

- ومنه أيضاً ما ثبت في الصحيحين من حديث جُنْدَبِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ

الْبَجَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ فِي بَعْضِ الْمَشَاهِدِ^(٣)، وَقَدْ دَمِيتُ^(٤) إِبْصَعُهُ فَقَالَ:

[بِحَرِّ الرِّجْزِ]

هَلْ أَنْتَ إِلَّا إِبْصَعٌ دَمِيتَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ مَا لَقِيتُ^(٥)

وهذا قولٌ موزونٌ، جرى على لسانه ﷺ حين أوجعته إِبْصَعُهُ بَعْدَ أَنْ جُرِحَتْ فِي إِحْدَى

الْمَشَاهِدِ، فَخَاطَبَهَا عَلَى سَبِيلِ الْإِسْتِعَارَةِ تَسْلِيَةً لَهَا، بِقَوْلِهِ تَثْبِيتِي فَإِنَّكَ مَا ابْتَلَيْتِ بِشَيْءٍ مِنْ

الْهَلَاكِ سِوَى أَنْكَ دَمِيتَ، وَلَمْ يَكُنْ ذَلِكَ هَدِراً بَلْ كَانَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَرِضَاهُ^(٦).

(١) فتح الباري ٣١/٨

(٢) انظر: بحث بعنوان (شعر أهل الحديث ٢)، للأستاذ: عبد العزيز القارئ/ مجلة الجامعة الإسلامية/ العدد ١١/ ص ٨٤/ www.scholars.iu.edu.sa

(٣) بعض المشاهد: أي في بعض المغازي.

(٤) دميت: أي جُرِحَتْ وَظَهَرَ مِنْهَا الدَّمُ. انظر: لسان العرب، مادة (دمي) ٢٦٨/١٤.

(٥) صحيح البخاري، في الجهاد والسير، باب ما ينكب في سبيل الله، ١٨/٤ (٢٨٠٢)، وفي صحيح مسلم، في

الجهاد والسير، باب ما لقي النبي ﷺ من أذى المشركين، ١٤٢١/٣ (١٧٩٦).

(٦) عمدة القاري ٩٩/١٤.

وقد اختلف العلماء^(١) في هذا البيت، إن كان قاله النبي ﷺ متمثلاً؟ أم قاله

مُنشئاً من قِبَل نفسه؟

فجزم ابن التين^(٢) والطبري^(٣) وابن الجوزي^(٤)، أَنَّهُ قاله مُتمثلاً عن عبدِ الله بن

رواحة.

(١) ذكره الحافظ في "فتح الباري" ٥٤١/١٠.

(٢) عبد الواحد بن التين، أبو محمد، الصفاقسي، المغربي، المالكي. الشهير (بابن التين)، فقيه محدث مفسر متفنن متبحر. له اعتناء زائد في الفقه ممزوجاً بكثير من كلام المدونة وشراحها مع رشاقة العبارة ولطف الإشارة، اعتمده الحافظ ابن حجر في شرح البخاري. من تصانيفه: (المخبر الفصيح في شرح البخاري الصحيح)، توفي سنة ٦١١ هـ بصفاقس وقبره بها معروف. شجرة النور الزكية في طبقات المالكية ٢٤٢/١، هدية العارفين ٦٣٥/١.

(٣) تاريخ الطبري ٥٣٢/١١.

(٤) انظر: كشف المشكل ٤٧/٢، والإمام ابن الجوزي: هو أبو الفرج عبد الرحمن بن أبي الحسن علي بن محمد القرشي البكري، كان علامة عصره، جلدأً صاحب حافظه واعية ، وذكاء متوقد، حتى برع في كثير من العلوم فكان محدثاً، حافظاً، مفسراً، فقيهاً، واعظاً، أديباً، مؤرخاً. من مصنفاته: (زاد المسير في التفسير) و(المغني في أحكام القرآن) و(كشف المشكل على الصحيحين) وغيرها الكثير. توفي سنة ٥٩٧ هـ. انظر: وفيات الأعيان ١٤٠/٣، تذكرة الحفاظ ٩٢/٤.

ويؤيده أن ابن أبي الدنيا^(١) أورده لابن رواحة في حديث غزوة مؤتة^(٢)، وذكر الواقدي^(٣) وابن هشام^(٤) أنه من شعر الوليد بن الوليد بن المغيرة^(٥).

وخالفهم الكرماني^(٦) وابن بطلال^(٧) وأكثر أهل التفسير^(٨)؛ فقد نسبوه للنبي ﷺ عن غير قصد ولا تكلف منه لإنشائه.

(١) ابن أبي الدنيا: عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن قيس، الحافظ أبو بكر ابن أبي الدنيا، القرشي مولى بني أمية البغدادي، صاحب التصانيف الكثيرة المشهورة، كان يؤدب غير واحد من أولاد الخلفاء، ومما روي عنه أنه إذا جالس أحداً إن شاء أضحكه وإن شاء أبكاه في آن واحد؛ لتوسعه في العلم والأخبار من مصنفاته: (كتاب التوبة) و(كتاب الصبر وثوابه) و(كتاب صفة الجنة) و(كتاب صفة النار)، توفي سنة ٢٨١ هـ. تذكرو الحفاظ ١٨٢/٢ الوافي بالوفيات ٢٨١/١٧.

(٢) محاسبة النفس ص ٦٨.

(٣) الواقدي: محمد بن عمر بن واقد الواقدي مولى بني سهم بن أسلم، أبو عبد الله، صاحب (المغازي). أديب نبيل عالم بالحديث والسير والأخبار، وعالم بالمغازي والسير والفتوح، وضع الكتب وكان واسع العلم كثير المعرفة، سكن بغداد وولي القضاء بها. روى عن مالك أحاديث كثيرة، وفقهاً ومسائل، وفي حديثه منقطع كثير وغرائب، وكذلك في مسائله عن مالك منكرات على مذهبه لا توجد عند غيره. لا يتقن الحديث وهو رأس في المغازي والسير ويروي عن كل ضرب، قال القاضي وكيع: «كان الواقدي من المتسعين في العلم». توفي ببغداد سنة ٢٠٧ هـ. انظر: وفيات الأعيان ٣/٤٨٨، تذكرو الحفاظ ١/٢٥٤.

(٤) ابن هشام: أبو محمد عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، مذهب السيرة النبوية، سمعها من زياد بن عبد الله البكائي صاحب ابن إسحاق، ونقحها وحذف جملة من أشعارها. كان عالم مصر بالغريب في الشعر. له كتاب في (أنساب حمير وملوكها) وكتاب في (شرح ما وقع في أشعار السير من الغريب) توفي بمصر سنة ٢١٣ هـ. انظر: وفيات الأعيان ٣/١٧٧، الوافي بالوفيات ١٩/١٤٣.

(٥) المغازي ٢/٦٢٩، سيرة ابن هشام ١/٤٧٦.

(٦) غرائب التفسير وعجائب التأويل ٢/٩٦٥. والكرماني: هو محمود بن حمزة بن نصر، أبو القاسم برهان الدين الكرماني، المعروف بتاج القراء، إمام كبير محقق ثقة، من تصانيفه (غرائب التفسير وعجائب التأويل) نقل فيه آراء مستنكرة في معرض التحذير منها كان الأولى إهمالها، ومن كتبه (لباب التأويل) و(البرهان في متشابه القرآن)، توفي سنة ٥٠٥ هـ. انظر: غاية النهاية في طبقات القراء ٢/٢٩١، الأعلام ٧/١٥٨.

(٧) شرح صحيح البخاري لابن بطلال ٥/١٩.

(٨) انظر: الكشف ٤/٢٦، أنوار التنزيل وأسرار التأويل ٤/٢٧٣، تفسير النسفي ٣/١١١، فتح القدير للشوكاني ٤/٤٣٥.

وقد وقع اختلافٌ في مناسبة قول النبي ﷺ لهذا البيت، ويتضح ذلك من خلال روايات الحديث:

ففي روايةٍ أخرى عند البخاري أوردها عن جُنْدُب بن عبد الله ﷺ قال: «بينما النبي ﷺ يمشي إذ أصابه حَجَرٌ، فَعَثَرَ، فَدَمِيتُ إصْبَعُهُ.....»^(١) وأوردها الترمذي عن جُنْدُب ﷺ قال: «كنت مع النبي ﷺ في غارٍ^(٢) فدميت إصْبَعُهُ.....»^(٣)

ويمكن الجمع بين الروايات؛ باحتمال أن يكون ﷺ قد دخل مغارةً في بعض الغزوات فخرج منها يمشي، فاصطدمت قدمه بحجرٍ فسال الدم من إصبع قدمه^(٤)، والله أعلم.

وَمِمَّا صدرَ عنه ﷺ منظوماً أيضاً؛ ما أخرجه ابن ماجه عن ابن عباس ﷺ قال: «نَكَحْتُ عَائِشَةَ ذاتَ قرَابَةٍ لها من الأنصارِ، فجاء رسولُ الله ﷺ، فقال: «أَهْدِيْتُمُ الفَتَاةَ؟» قالوا: نعم، قال: «أرسلْتُم معها من يُعْنِي»، قالت: لا، فقال رسولُ الله ﷺ: «إِنَّ الأنصارَ قومٌ فيهم غَزَلٌ، فلو بعثْتُم معها من يقول:

(١) صحيح البخاري، في الأدب، باب ما يجوز من الشعر والرجز والحداء وما يكره منه، ٣٤/٨ (٦١٤٦).

(٢) قال القاضي عياض: «قد يراد بالغار هنا الجيش، لا واحد الغيران التي هي الكهوف، فيوافق قوله: في بعض المشاهد، ومنه قول علي: ما ظنك بامرئ جمع بين هذين الغارين أي العسكرين والجمعين». شرح صحيح مسلم للنووي ١٥٦/١٢، تحفة الأحوذى ١٩١/٩.

(٣) سنن الترمذي، في أبواب تفسير القرآن، باب ومن سورة الضحى، ٤٤٢/٥ (٣٣٤٥). وقال الترمذي: «هذا حديثٌ حسنٌ صحيح».

(٤) فتح المنعم شرح صحيح مسلم ٣١٦/٧.

[بحر الهزج]

أَتَيْنَاكُمْ أَتَيْنَاكُمْ فَحَيَّانَا وَحَيَّاكُمْ^(١)

وفي روايةٍ عند الطبراني في الأوسط عن عائشة بزيادة بيتين:

لَوْلَا الذَّهَبُ الْأَحْمَرُ مَا حَلَّتْ بِوَادِيكُمْ
وَلَوْلَا الْحَبَّةُ السَّوْمَاءُ مَا سَمِنَتْ عَذَارِيكُمْ^(٢)

وهذه الأبيات موزونة على بحر الهزج، وهي كلمات لطيفة فيها إظهار للفرح والسرور والابتهاج بالزواج الميمون.

- ومنه أيضاً ما وقع منه ﷺ في غزوة أحد كما جاء في الحديث عن البراء بن عازب رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَمَرَ الْمُسْلِمِينَ حِينَ انْتَهَتْ الْغَزْوَةُ أَنْ يَرْتَدُّوا عَلَى أَبِي سَفْيَانَ حِينَ قَالَ: اْعْلُ هُبْل، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَجِيبُوهُ»، قَالُوا: مَا نَقُول؟ قَالَ: «قُولُوا: اللَّهُ أَعْلَى وَأَجَل»، قَالَ أَبُو سَفْيَانَ: لَنَا الْعِزَى وَلَا عِزَى لَكُمْ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَجِيبُوهُ» قَالُوا: مَا نَقُول؟ قَالَ: «قُولُوا: اللَّهُ مَوْلَانَا، وَلَا مَوْلَى لَكُمْ»^(٣).

(١) سنن ابن ماجه، في النكاح، باب الغناء والدف، عن عبد الله بن عباس رضي الله عنه ٦١٢/١ (١٩٠٠). قال العيني: «هذا حديث ضعيف» عمدة القاري ١٣٦/٢٠، وقال البوصيري: «إسناد رجاله ثقات إلا أن الأجلح مختلف فيه، وأبو الزبير قال فيه ابن عيينة: يقولون أنه لم يسمع من ابن عباس، وقال أبو حاتم رأى ابن عباس رؤية، انتهى. وأصله في صحيح البخاري من حديث ابن عباس بغير هذا السياق، وله شاهد من حديث جابر رواه النسائي في الكبرى ورواه البيهقي في سننه الكبرى من حديث جابر عن عائشة ورواه مسدد في مسنده من حديث جابر ورواه أحمد بن منيع في مسنده من طريق أبي الزبير عن جابر به.» مصباح الزجاجة ١٠٧/٢. وللحديث شاهد في مسند أحمد عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه ٣٧٩/٢٣ (١٥٢٠٩). أما حديث جابر فقال عنه البوصيري: «هذا إسناد حسن، لقصور الأجلح عن درجة الحفظ والإتقان». إتحاف الخيرة المهرة ٤٩/٤.

(٢) علّق عليه الطبراني قائلاً: «لم يرو هذا الحديث عن هشام بن عروة إلا شريك، ولا عن شريك إلا رواد، تفرد به محمد بن أبي السري». المعجم الأوسط للطبراني ٣١٥/٣.

(٣) صحيح البخاري، في المغازي، باب غزوة أحد، ٩٤/٥ (٤٠٤٣).

فَقَوْلُهُ ﷺ «اللَّهُ مولانا ولا مولى لكم» موزونٌ على مشطور الرَّجَزِ^(١)، والمعنى هنا أَنَّ الله تعالى هو ناصر المؤمنين فهو يتولى نصرتهم وإعانتهم، ويخذل الكافرين^(٢)^(٣).

وَبَعْدَ مَا ذَكَرْتُ الْأَخْبَارَ وَالرَّوَايَاتِ الَّتِي وَرَدَتْ عَنْهُ ﷺ فِي صُدُورِ كَلَامٍ مِنْهُ فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ وَأَوَقَاتِهِ مُوَافِقاً لِأَوْزَانِ الشَّعْرِ، فَأُيِّنُ تَأْوِيلَ ذَلِكَ مَعَ شَهَادَةِ اللَّهِ تَعَالَى لَهُ بِأَنَّهُ لَمْ يُعَلِّمْ الشَّعْرَ.

التوفيق وإزالة التعارض:

كَانَ لِلْعُلَمَاءِ أَقْوَالٌ مُتَعَدِّدَةٌ فِي دَفْعِ التَّعَارُضِ الظَّاهِرِ، فَأَبْعَدَ بَعْضُهُمْ وَجَانِبَ الصَّوَابِ، وَوَفَّقَ الْأَكْثَرُ مِنْهُمْ لَذَلِكَ.

وَفِيمَا يَأْتِي سَأَسْتَعْرِضُ أَقْوَالَ الطَّرَفَيْنِ وَأَسُوقُ أَدْلَتَهُمْ فِي تَنْزِيهِهِمُ النَّبِيَّ ﷺ عَنْ إِنْشَاءِ الشَّعْرِ:

أولاً - الاتجاه الأول في دفع التعارض.

رَأَى بَعْضُ النَّاسِ فِي قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ لَمَّا سَبَقَ ذَكَرَهُ مِنَ الْكَلَامِ الْمَوْزُونِ عَلَى بَحُورِ الشَّعْرِ عَيْباً لَهُ يَنَاقِضُهُ فِي رِسَالَتِهِ، فَصَارُوا يَلْتَمِسُونَ لَهُ مَا يُبَرِّئُهُ مِنْ كُلِّ شِعْرٍ - وَحَاشَاهُ ﷺ أَنْ يَكُونَ شَاعِراً - فَنَرَى مِنْهُمْ مَنْ صَرَّفَ عَنْهُ الشَّعْرَ بِأَنَّهُ مِنَ السَّجْعِ عَلَى جَزَائِنٍ، وَهَذَا لَا يَكُونُ شِعْراً، أَوْ أَنَّهُ أَعْرَبَ بَعْضَ كَلِمَاتٍ فِيهِ مِمَّا أَخْرَجَهُ عَنْ وَزْنِهِ فَيُظْهِرُ بَثْوَبٍ جَدِيدٍ خَارِجٍ عَنِ الشَّعْرِ^(٤).

(١) انظر: شرح صحيح مسلم للنووي ١٢/١١٩.

(٢) انظر: عمدة القاري ١٤/٢٨٤، إرشاد الساري ٦/٢٩٣.

(٣) فإن قيل: أليس الله عز وجل هو مولى الخلق كلهم، فالجواب: أَنَّ المولى هاهنا بمعنى الولي، فالله تعالى هو يتولى المؤمنين بالنصر والإعانة ويخذل الكافرين. كشف المشكل من حديث الصحيحين ٢/٢٥٥.

(٤) انظر: جزء أحاديث الشعر/مقدمة المحقق ص ٨.

- إخراج الرجز بأنواعه من بُحور الشعر.

ذهب الخليل بن أحمد والأخفش^(١) أنَّ ما كان يجري على لسانه ﷺ هو عبارات توافق وزن الرجز، فأنكروا كون الرجز شعراً لوقوعه من النبي ﷺ مع قوله تعالى: ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ...﴾، ولو كان الرجز شعراً لكان ممنوعاً عنه ﷺ^(٢).

قال الخليل: «الرجز المشطور والمنهوك ليسا من الشعر، وقيل له: ما هما؟ قال: أنصاف مسجعة»^(٣). أي أن الشعر لا يكون شعراً - في نظره - حتى يكتمل البيت، وما دام الرجز المشطور والمنهوك لا يمثلان بيتاً كاملاً فهو لا يعتبرهما شعراً.

ووافقه في ذلك الأخفش، فجعل المشطور والمنهوك من قبيل السجع، ولم يجعلهما شعراً البتة، ويحتج بأن النبي ﷺ تكلم بهما وهو لا يقول الشعر^(٤).

وسلك ابن التين مسلك الخليل والأخفش في ذلك، فقال: «لا يُطلق على الرجز شعراً، إنما هو كلام مُرجَزٌ مُسَجَّعٌ بدليل أنه يُقال لصانعه: راجز، ولا يُقال: شاعر»^(٥).

(١) الأخفش: أبو الحسن سعيد بن مسعدة الجاشعي، المعروف بالأخفش الأوسط، أحد نخبة البصرة. أخذ النحو عن سيبويه - وكان أكبر منه - وصحب الخليل بن أحمد. كان الأخفش أعلم الناس بالكلام وأحذقهم بالجدل. دخل الفراء على سعيد بن سلم، فقال: «قد جاءكم سيد أهل اللغة، وسيد أهل العربية»، فقال الفراء: «أما مادام الأخفش - يعني سعيد بن مسعدة - يعيش فلا». من مصنفاته: (تفسير معاني القرآن) و(شرح أبيات المعاني) و(الاشتقاق) و(معاني الشعر). توفي سنة ٢١٥ هـ. انظر: إنباه الرواة على أنباه النحاة ٢ / ٣٦، ٣٩، وفيات الأعيان ٢ / ٣٨٠.

(٢) شرح السنة للبعوي ٣٧٢/١٢، الشعر في ضوء الشريعة الإسلامية ص ١٥٨، و انظر: شرح صحيح مسلم للنووي ١١٨/١٢.

(٣) العين للفراهيدي ٦ / ٦٤.

(٤) العيون الغامزة على خبايا الرامزة ١ / ١٨٦.

(٥) عمدة القاري ٤ / ١٧٨.

كما مال الرافعي^(١) لهذا الرأي فقال: «الرَّجَزُ فِي أَصْلِهِ لَيْسَ بِشَعْرٍ إِنَّمَا هُوَ وَزْنٌ، كَأَوْزَانِ السَّجْعِ، وَهُوَ يَتَّفِقُ لِلصَّبِيَّانِ وَالضَّعْفَاءِ مِنَ الْعَرَبِ، يَتَرَاوِجُونَ بِهِ فِي عَمَلِهِمْ وَفِي لَعِبِهِمْ وَفِي سَوْقِهِمْ، وَمِثْلُ هَؤُلَاءِ لَا يَقَالُ لَهُمْ شُعْرَاءُ، فَقَدْ يَتَّسِقُ لَهُمُ الرَّجَزُ الْكَثِيرُ عَفْوَاً بِغَيْرِ مَجْهُودٍ، حَتَّى إِذَا صَارُوا إِلَى الشَّعْرِ انْقَطَعُوا»^(٢).

وَيُعْتَرِضُ عَلَيْهِمْ بَعْدَ أُمُور:

أولاً- بَأَنَّهُ وَرَدَ فِي بَعْضِ مَا جَرَى عَلَى لِسَانِهِ ﷺ مَا لَيْسَ عَلَى بَحْرِ الرَّجَزِ كَقَوْلِهِ ﷺ:

[بِحَرْزِ الْهَزَجِ]

أَتَيْنَاكُمْ أَتَيْنَاكُمْ فَحَيَّانَا وَحَيَّاكُمْ

فهذه أبياتٌ على وزنِ الهَزَجِ، فهل يَلْزَمُ مِنْ صَدُورِهَا عَنْهُ ﷺ إِخْرَاجُ الْهَزَجِ مِنَ الشَّعْرِ أَيْضاً؟!

ثانياً- أَنَّ قَرِيشاً حِينَ اجْتَمَعَتْ وَتَرَاءَتْ فِيمَا تَقُولُ لِلنَّاسِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ قَائِلٌ: «نَقُولُ هُوَ شَاعِرٌ»، فَقَالُوا: «لَا وَاللَّهِ مَا هُوَ بِشَاعِرٍ: لَقَدْ رَأَيْنَا الشَّعْرَ وَسَمِعْنَا أَصْنَافَهُ كُلَّهَا هَزَجَهُ، وَرَجَزَهُ وَقَرِيشُهُ»^(٣). فَذَكَرُوا الرَّجَزَ مِنْ جُمْلَةِ أَنْوَاعِ الشَّعْرِ.

(١) الرافعي: مصطفى صادق بن عبد الرزاق بن سعيد بن أحمد بن عبد القادر الرافعي، عالم بالأدب، وشاعر، من كبار الكُتَّاب. أصله من طرابلس الشام، ومولده في بختيم (بمنزل والد أمه) ووفاته في طنطا (بمصر) أصيب بصمم فكان يُكتب له ما يُراد مخاطبته به. شعره نقيّ الديباجة، على جفافٍ في أكثره. ونشره من الطراز الأول. له (ديوان شعر) مطبوعٌ في ثلاثة أجزاء، وكتابُ تاريخِ آداب العرب، و(إعجاز القرآن والبلاغة النبوية)، و(تحت راية القرآن). كانت وفاته سنة ١٣٥٦هـ. انظر: الأعلام ٢٣٥/٧، معجم المؤلفين ٢٥٦/١٢.

(٢) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ص ٢١٠.

(٣) دلائل النبوة للبيهقي ٢٠١/٢.

ثالثاً- ومما يدل أيضاً على كون الرجز من الشعر؛ ما ورد عن ارتحاز عامر بن الأكوع^(١) بعض الأبيات بين يدي النبي ﷺ عندما طلبوا منه أن يُسمعهم شيئاً من شعره؛ فقد جاء في الرواية عند البخاري عن سلمة بن الأكوع^(٢) رضي الله عنه: «فقال رجل من القوم لعامر: يا عامر ألا تسمعنا من هنيهاتك؟ وكان عامر رجلاً شاعراً، فنزل يحدو بالقوم يقول:

[بجر الرجز]

اللهم لولا أنت ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا
فأعفر فداءً لك ما أبقينا وثبت الأقدام إن لاقينا
والقين سكينه علينا إنا إذا صيح بنا أبينا
وبالصياح عولوا علينا

فقال رسول الله ﷺ: «من هذا السائق؟»، قالوا: عامر بن الأكوع، قال: «يرحمه الله»^(٣).

قال الحافظ ابن حجر: قوله «وكان عامر رجلاً شاعراً» قيل هذا يدل على أن الرجز من أقسام الشعر، لأن الذي قاله عامر حينئذٍ من الرجز^(٤). وإنما أخرجه من جنس الشعر من أشكل عليه إنشاد النبي ﷺ إياه^(٥).

(١) عامر بن الأكوع: صحابي جليل وهو عم سلمة بن عمرو، واسم الأكوع هو سنان بن عبد الله، كان عامر بن الأكوع شاعراً يحدو بمن مع رسول الله ﷺ في غزوة خيبر ويرتجز، استشهد ﷺ في خيبر حين كان يبارز مرحباً اليهودي، فرجع عليه سيف نفسه فاستشهد منه، فقال النبي ﷺ: «له أجره مرتين»، فاستغفر له ودعا له، وقال: «مات جاهداً مجاهداً». انظر: معرفة الصحابة ٢٠٥٣/٤، الاستيعاب ٧٨٥/٢.

(٢) سلمة بن الأكوع: صحابي جليل يكنى أبا مسلم، وقيل أبو إياس. كان سلمة ﷺ ممن بايع تحت الشجرة مرتين، سكن المدينة ثم انتقل فسكن الريدة، وكان شجاعاً رامياً محسناً فاضلاً، قال له رسول الله ﷺ يوم غزوة ذي قرد حين استنقذ لقاح رسول الله ﷺ: «خير رجالنا سلمة بن الأكوع». توفي سنة ٧٤ هـ. الاستيعاب ٦٣٩/٢، ٥١٧/٢.

(٣) صحيح البخاري، في المغازي، باب غزوة خيبر، ١٣٠/٥ (١٩٦/٤).

(٤) فتح الباري ٤٦٥/٧.

(٥) انظر: المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم ٥٣/٥.

فَيَتَضَيِّحُ من خلال الاستدلالات السابقة أَنَّ الرَّجْزَ صِنْفٌ من أصناف الشُّعْرِ، وَلَوْ أنَّ من ألوانه، وَجَزُّ من بحوره، له وَزْنٌ وإيقاع، وقد نَظَرَ له أهل الجاهلية على أَنَّهُ كذلك؛ فَتَجَدُّ لِشُعْرَاءِ الجاهلية قصائد نُظِمَتْ على بحر الرَّجْزِ وَوُجِدَتْ في دواوينهم الشُّعرية^(١).

فارتجزة ﷺ لليسير من الشعر، لا يستدعي إخراج الرجز من أقسام الشعر، بل لا يعني كونه ﷺ راجزاً أو شاعراً.

٢. إعرابُ كلمات البيت لإخراجه عن وزنه.

ذهب البعض إلى إعراب بعض كلمات البيت الشعري الذي جرى على لسان النبي ﷺ وذلك بتحريك بعض كلماته لإخراجه عن أوزان الشعر؛ تأكيداً منهم على أَنَّهُ ﷺ لم يقل شعراً البتة. فأجاب ابن العربي^(٢) عن قول النبي ﷺ في غزوة حنين:

[بحر الرجز]

أنا النَّبِيُّ لا كَذِب أنا ابن عبدِ المطلب

بأنَّ البيت لا يكونُ موزوناً على منهوك الرَّجْزِ إلا بالوقفِ على الباءِ من (لا كَذِبَ) وعلى الباءِ في (عبدِ المطلب)، وأنَّ الأظهر من حال النبي ﷺ أَنَّهُ حين قال هذا البيتَ نطقَ بـ (لا كَذِبَ) بتنوين الباءِ مرفوعةً، وبخفصِ الباءِ من (عبدِ المطلب) على الإضافة، فهو بالتالي ليسَ موزوناً وليسَ شعراً^(٣).

(١) ومن ذلك الشاعر الأعشى الكبير الذي كانت له على الرَّجْزِ أكثر من قصيدة، وقد وقفت على أربعة قصائد في الديوان على مشطور الرَّجْزِ: قصيدتان يهجو بهما وائل بن شرحبيل بن عمرو بن مرثد وقومه، وقصيدتان يُحَرِّضُ بهما ابن أخيه حثيم بن حمة بن قيس بن جندل على القتال. انظر: ديوان الأعشى الكبير ص ٢٦٥ - ٢٦٧.

(٢) ابن العربي: الإمام العلامة الحافظ القاضي أبو بكر محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله ابن العربي الأندلسي الإشبيلي المالكي، صاحب التصانيف، أدخل الأندلس إسناداً عالياً وعلماً جمّاً. وكان ثاقب الذهن، عذب المنطق، كريم الشمائل، كامل السؤدد، ولي قضاء إشبيلية فحمدت سياسته، وكان ذا شدة وسطوة. كان شديد الإقبال على نشر العلم وتدوينه، ويقال إنه بلغ رتبة الاجتهاد. صنّف في الحديث والفقه والأصول وعلوم القرآن والأدب والنحو والتواريخ، ومن مصنفاته: (أحكام القرآن)، و(عارضة الأحوذى) في شرح جامع أبي عيسى الترمذي، و(المحصل في الأصول). توفي سنة ٥٤٣ هـ. انظر: سير أعلام النبلاء ١٩٧/٢٠ - ١٩٨، طبقات المفسرين للسيوطي ص ١٠٥.

(٣) انظر: أحكام القرآن ٢٦/٤.

وأجاب الكرمانى عنه أن النبى ﷺ قال: (لا كذب) بفتح الباء، وقال: (عبدالمطلب) بكسر الباء^(١)، وقد أبعدا -رحمهما الله- في ذلك؛ فإنى لم أجد في روايات الحديث كلها ما يدلُّ عليه.

قال أبو جعفر النحاس^(٢) في الردِّ عليهما: «وهذا مكابرة العيان لأن أشعار العرب على هذا قد رواها الخليل وغيره»^(٣).

- وأما عن قوله ﷺ:

[بجر الرجز]

هَلْ أَنْتِ إِلَّا إِضْبَعُ دَمِيتِ وفي سبيل الله ما لقيتِ

فقد جزمَ الكرمانى بأثَمَّا في الحديثِ بالسكون فقال: «فإنَّ (دميتِ) من غير إشباع، و(لقيتِ) بالسكون للوقف، فلا يكون موزوناً»^(٤).

ورجَّحَ ابن العربي ذلك فقال: «لعلَّ النبى ﷺ قالها ساكنة التاء أو متحرَّكة التاء من غير إشباع»^(٥). ولا دليل لهما في ذلك!!

(١) انظر: غرائب التفسير وعجائب التأويل ٩٦٥/٢.

(٢) أبو جعفر النحاس: أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس، من علماء العربية، كان نحوياً فاضلاً وأخذ عن أبي العباس المبرد، وأبي الحسن الأخفش، وأبي عبد الله الملقب بنفطويه، وعن أبي إسحاق الزجاج. لم يكن صاحب دراية واستنباط، وإنما كان معوّله على النقل والرواية، قال الزبيدي: «كان النحاس واسع العلم، غزير الرواية، كثير التأليف، وإذا خلا بقلمه جوّد وأحسن». صنف كتباً منها: كتاب (الكافي) في علم العربية، وكتاب سماه (المقنع) ذكر فيه اختلاف البصريين والكوفيين، وكتابه المعروف (إعراب القرآن). توفي سنة ٣٣٧هـ. انظر: نزهة الألباء ص ٢١٧-٢١٨، إنباه الرواة ١٣٧/١.

(٣) إعراب القرآن ٢٧٣/٣.

(٤) غرائب التفسير وعجائب التأويل ٩٦٥/٢.

(٥) أحكام القرآن لابن العربي ٢٧/٤.

وقد ردَّ الحافظ ابن حجر والقاضي عياض^(١) هذا التعليل، فقال الإمام الحافظ: «جَزَمَ الكرماني بأَنهما في الحديث بالسكون وفيه نظر، وزَعَم غيره أَن النبي ﷺ تعمَّد إسكانهما لِيُخْرِجَ القسمين عن الشعر وهو مردود، فإنه يصير من ضربٍ آخر من الشعر وهو من ضروب البحر الملقب الكامل، وفي الثاني زحاف جائز^(٢)»^(٣).

نقل الإمام النووي عن القاضي عياض قوله: "وقد غفل بعض الناس فروى (دميت) و(لقيت) بغير مد فخالف الرواية ليسلم من الإشكال فلم يُصب"^(٤).

- وفي قوله ﷺ «الله مولانا ولا مولى لكم»، قال ابن العربي: «إنما يكون شعراً إذا تكلم به المتكلم موصولاً، فإن وقف على قوله: (الله مولانا) أو وصل وحرك الميم من قوله: (لكم) لم يكن شعراً. وقد نَقَلَهُ وَوَصَلَهُ بكلام»^(٥)، ولم أجد في روايات الحديث أَنَّ النبي ﷺ وصله بكلام. فهذه مكابرة لا دليل عليها^(٦).

(١) القاضي عياض: القاضي أبو الفضل عياض بن موسى اليحصبي الأندلسي المالكي. كان إمام وقته في الحديث وعلومه، فكان له عناية كبيرة بجمع الحديث وتقييده، وكان عالماً بالنحو واللغة وكلام العرب وأيامهم وأنسابهم، وهو من أهل التفنن في العلم والذكاء واليقظة، صنَّف التَّصَانِيف المفيدة منها (الإكمال في شرح كتاب مسلم) الذي أكمل به كتاب المعلم في شرح مسلم للمازري، ومنها (مشارك الأنوار على صحاح الآثار) في الحديث، وكتاب (الشفاء في تعريف حقوق المصطفى) وغيرها. توفي بمراكش سنة ٥٤٤ هـ. انظر: وفيات الأعيان ٤٨٣/٣، سير أعلام النبلاء ٢٠/٢١٣.

(٢) الرَّحَاف: هو ما يلحق أي جزء كان من الأجزاء السبعة التي جعلت موازين الشعر، من نقص أو زيادة أو تقديم حرف أو تأخير أو تسكينه، ولا يكاد يسلم منه شعر. العمدة ١٢٤/١.

(٣) فتح الباري ١٠/٥٤١.

(٤) انظر: شرح صحيح مسلم للنووي ١٩/١٥٦.

(٥) أحكام القرآن ٤/٢٧.

(٦) انظر: إعراب القرآن ٣/٢٧٣.

ثانياً- الاتجاه الثاني في دفع التعارض:

اتفق أكثر أهل الأدب والحديث^(١) على أن الكلام الموزون الصادر عن النبي ﷺ، لا يعارض بحالٍ من الأحوال نفي الشعر عنه ﷺ، وقد وُفقوا لدريء التعارض الظاهر وأجابوا عليه من خلال بيان شروط اعتبار الشعر والشاعر.

١. شرط اعتبار الشعر.

يُطلق الشعر على «الكلام الموزون وزناً عن تَعَمُّدٍ»^(٢)، فإنه يشترط في الشعر بحسب ما جاء في التعريف: أن يكون كلاماً موزوناً، وأن يكون مقصوداً ومُتَعَمِّداً^(٣).

وتبعاً لذلك فوقع الكلام منه ﷺ في بعض الأحيان موزوناً، لا تصحُّ تسميته بالشعر؛ فإنما هو اتفاق كلامٍ يقع أحياناً عن غير قصدٍ أو نية، فالشرط لاعتبار المنظوم من الكلام شعراً؛ هو أن يقصد إليه قائله ويريده ويهتدي إليه ويتعمد أن يوقعه موزوناً مقفياً، فإن خلا من هذه الأوصاف أو من بعضها لم يكن شعراً ولا يكون قائله شاعراً وقد استُدلَّ على ذلك بوقوعه في القرآن الكريم وفي كلام الناس^(٤).

(١) منهم: ابن رشيقي القيرواني، وابن القطاع الصقلي، والبغوي، وأبو العباس القرطبي، والنووي، وابن حجر. انظر: العمدة ٦٦/١، شرح السنة للبغوي ٣٧٢/١٢، المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم ١٢٤/١١، شرح صحيح مسلم للنووي ٨/٥، فتح الباري ٥/١٠.

(٢) مفتاح العلوم ص ٥١٧.

(٣) المراد بتعمد الوزن هو أن يقصد الوزن ابتداءً ثم يتكلم مراعيًا جانبه لا أن يقصد المتكلم المعنى وتأديته بكلمات لائقة من حيث الفصاحة، ولا يُقال إنه بذلك يلزم أن لا تُسمي من قال القصيدة أو القطعة شاعراً بناءً على تجويز أن لا يكون تعمداً ذلك، وامتناع ذلك ظاهر، فالجواب هو أن العقل يُصحح الاتفاق في القليل دون الكثير. انظر: مفتاح العلوم ص: ٥١٦.

(٤) انظر: شرح السنة للبغوي ٣٧٢/١٢، فتح الباري ٥٤١/١٠، مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ٦٠/١٤.

• وقوعه في القرآن.

وقعت في القرآن آيات ومقاطع من آياتٍ تَتَّفَقُ مع أوزانِ الشَّعر، وذلك كقوله تعالى: ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران ٩٢] وقوله: ﴿نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ﴾ [الصف ١٣]، وإِنَّمَا هو اتفاقٌ من غيرِ قَصْدٍ لِذَاتِ الْوِزْنِ^(١)

قال الحافظ ابن حجر: «وقد وقع الكثير من ذلك في القرآن العظيم، لكن غالبها أشتار أبياتٍ والقليل منها وقع وزن بيت تام»^(٢).

ثُمَّ إِنَّ نَظْمَ الْأَلْفَاظِ وتوافق فواصل بعض الآيات، هي ناحيةٌ جماليةٌ من نواحي الجمال والكمال في القرآن الكريم.

• وقوعه في كلام الناس.

لو تتبعنا كلام الناس لظهر لنا الكثير منه على بحور الشَّعر مثل قول أحدهم: (أجب سؤالي مالك ومالي)، أو قولهم: (إسقني في الكوز ماء يا فلان... واسرج البغل وجئني بالطَّعام)... إلخ، فلو أنَّ كلَّ من اتفق بعضُ كلامه من أوزان الشعر كان شاعراً للزم من ذلك كون كل الناس شعراء!!!

(١) أما الوزنُ وإصابة القافية عند الشعراء فهو الأساس، فلربما راعى الشاعر الوزن فأخلَّ بقوة المعنى حتى لا يَضِيعَ عليه اتفاقُ الأبيات في الوزن، وحاشا لكلام الله تعالى أن يكون كذلك، بل هو الكلام الفصل الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

(٢) وقد ذكر الحافظ الكثير من الآيات التي جاءت موزونة ومميَّز بين التي كانت على وزن تام وبين التي هي على أشتار أبيات، فمن التام قوله تعالى: ﴿الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ﴾ [التوبة: ١١٢]، وقوله تعالى: ﴿أُوتِيتَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾ [النمل: ٢٣]، ومن الأشتار قوله: ﴿فَأَصْبَحُوا لَا يُرَى إِلَّا مَسَاكِنُهُمْ﴾ [الأحقاف: ٢٥]، وقوله: ﴿فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهَا أُمَمٌ﴾ [الرعد: ٣٠]، انظر: فتح الباري ١٠/٥٤٣.

قال الجاحظ^(١): «لو اعترضت أحاديث الناس وخطبهم ورسائلهم، لوجدت فيها مثل: مستفعلن مستفعلن كثيراً، ومستفعلن مفاعلن، وليس أحد في الأرض يجعل ذلك المقدار شعراً، ولو أن رجلاً من الباعة صاح: من يشتري باذنجان؟ لقد كان تكلم بكلام في وزن مستفعلن مفعولات، وكيف يكون هذا شعراً وصاحبه لم يقصد إلى الشعر؟ ومثل هذا المقدار من الوزن قد يتهياً في جميع الكلام، وإذا جاء المقدار الذي يُعلم أنه من نتاج الشعر والمعرفة بالأوزان والقصد إليها، كان ذلك شعراً»^(٢).

٢. شرط اعتبار الشاعر.

تُطلقُ تسميةُ (الشاعر) على المُكثّر من الشّعْر، وليسَ على من قال البيت الواحد، فإنّه لا يُقالُ له شاعر، وإنما الشاعر هو الذي قصّد الشّعْر ونظّم القصائد، فوصّف ومدّح وتصرّف تصرّف الشعراء في هذه الأفانين، وقد برأ الله رسوله ﷺ من ذلك وصان قدره، وأخبر أن الشّعْر لا ينبغي له^(٣).

(١) الجاحظ: عمرو بن بحر بن محبوب الجاحظ وكنيته أبو عثمان، كان عالماً بالأدب فصيحاً بليغاً، مصنفًا في فنون العلوم، وكان من أئمة المعتزلة، تلميذ أبي إسحاق النظام، أصابه في أواخر عمره الفالج، فكان يقول: «أما من جانبي الأيسر مفلوج فلو قرض بالمقاريض ما علمت به، ومن جانبي الأيمن منقرس فلو مر به الذباب لأملت». من أحسن تصانيفه وأمتعها كتاب (الحيوان) الذي جمع كل غريبة، وكذلك كتاب (البيان والتبيين). كانت وفاته سنة ٢٥٥هـ. انظر: نزهة الألباء ص ١٤٨، وفيات الأعيان ٣/٤٧٣، ٤٧١.

(٢) البيان والتبيين ١/٢٤٠.

(٣) انظر: عمدة القاري ١٤/١٠٠، مفتاح العلوم ص ٥١٧.

قال الباقلاني^(١): «فإذا كَانَ بيتاً واحداً فليسَ ذلكَ بشعر، وقد قيل إن أقل ما يكون منه شعراً أربعة أبيات بعد أن تتفق قوافيها»^(٢). أما تسمية كل لافظٍ للشعر شاعراً، فهذا أمر لا يُقبل من عاقلٍ عنده إنصاف^(٣).

وفي نهاية هذا المبحث وبعد ذكر أقوال العلماء في دفع التعارض، يتبين لنا أن النبي ﷺ لم يكن ينشئ الشعر، بل كان بعيداً كُلَّ البعد عن ذلك، وما صدر عنه ﷺ لم يكن سوى كلامٍ موزون من غير قصدٍ أو نيةٍ يمكن أن يصدر من أي إنسان، وهذا لا يتعارض مع تنزيه الله عز وجل له عن قول الشعر.

(١) الباقلاني: أبو بكر بن محمد بن الطيب بن محمد القاضي المعروف بابن الباقلاني. الملقب بشيخ السنة، ولسان الأمة، المتكلم على مذهب أهل السنة وأهل الحديث وطريقة أبي الحسن الأشعري، كان شيخ وقته، وعالم عصره، كان حسنَ الفقه وانتهت إليه رئاسة المالكيين بالعراق في وقته، وكانت له بجامع المنصور ببغداد حلقة عظيمة. قال ابن عمار الميوقري: «كان ابن الطيب مالكيًا، فاضلاً متورعاً، ممن لم تحفظ له قط زلة، ولا نُسبت إليه نقيصة. وكان يلقب بشيخ السنة ولسان الأمة، وكان فارس هذا العلم مباركاً على هذه الأمة. قال: وكان حصناً من حصون المسلمين، وما سرُّ أهل البدع بشيء كسرورهم بموته». صَنَّفَ التَّصَانِيفَ الكثيرة في علم الكلام وغيره منها كتاب (الإبانة) و(شرح اللمع)، و(إعجاز القرآن). توفي سنة ٤٠٣ هـ. انظر: ترتيب المدارك وتقريب المسالك ٤٤/٧-٤٥، وفيات الأعيان ٢٧٠/٤.

(٢) إعجاز القرآن ٥٥/١.

(٣) انظر: مفتاح العلوم ص ٥١٧.

المبحث الثاني

تَمْثُلُ وَإِنْشَادُ النَّبِيِّ ﷺ لِلشَّعْرِ.

وفيه مطلبان اثنان:

- المطلب الأول: ما تمثله ﷺ مما قاله شعراء الجاهلية.
- المطلب الثاني: ما تمثله ﷺ مما قاله شعراء الإسلام.

➤ المبحث الثاني: تَمَثُّلُ وإنشادِ النبي ﷺ للشعر.

إِنَّ النبي ﷺ مُنَزَّهٌ عَنْ إنشاءِ الشعر، وَلَكِنَّهُ ﷺ لَمْ يَمْنَعْ مِنْ تَمَثُّلِ^(١) الشعر وإنشاده لفوائدٍ كان يراها، كضربِ مَثَلٍ أَوْ تَنْشِيطِ لِهَمِّ أَصْحَابِهِ ﷺ أَوْ بَعَثِ لِلْحِمَاسَةِ فِي قُلُوبِهِمُ لِلجِهَادِ وَغَيْرِهِ، وَقَدْ وَرَدَ ذَلِكَ عَنْهُ ﷺ بِأَبْيَاتٍ مِنَ الشَّعْرِ فِي بَعْضِ الْأَحْيَانِ، وَلَا تَنَافٍ فِي ذَلِكَ مَعَ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشَّعْرَ﴾.

وقد تَكَلَّمَ الْعُلَمَاءُ فِي مَسْأَلَةِ تَمَثُّلِ النبي ﷺ بالشَّعْرِ عَنْ غَيْرِهِ، فَقَالَ الْحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ: «اِخْتَلَفَ فِي جَوَازِ تَمَثُّلِ النبي ﷺ بِشَيْءٍ مِنَ الشَّعْرِ وَإِنْشَادِهِ حَاكِياً عَنْ غَيْرِهِ، فَالصَّحِيحُ جَوَازُهُ^(٢)».

وَمَا يُدُلُّ عَلَى جَوَازِ إِنشَادِهِ ﷺ مُتَمَثِّلاً عَنْ غَيْرِهِ حَدِيثُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَا أَبَالِي شَرِبْتُ تَرِياقاً، أَوْ تَعَلَّقْتُ بِتَمِيمَةٍ أَوْ قُلْتُ شِعْراً مِنْ قَبْلِ نَفْسِي»^(٣).
قال السندي في شرحه للحديث: «وقوله (من قبل نفسي) فيه إشارة إلى أَنَّ إنشادَ شعرٍ الغيرِ جائزٌ له ﷺ»^(٤).

(١) التَّمَثُّلُ ببيتٍ من الشعر: أي ضربه مثلاً لمعنى فيه. انظر: لسان العرب، مادة (مثل) ٦١١/١١.

(٢) فتح الباري ٥٤١/١٠.

(٣) سنن أبي داود، في الطب، باب في شرب الترياق، من حديث عبد الله بن عمرو ؓ ٦/٤ (٣٨٦٩). الحديث سكت عنه أبو داود، وقال الهيثمي في المجمع: «رواه الطبراني في الأوسط عن شيخه موسى بن عيسى بن المنذر الحمصي ولم أعرفه، وبقيته رجاله ثقات». مجمع الزوائد ١٠٣/٥. وقال الطبراني: «لا يروى هذا الحديث عن عبد الله بن عمرو بن العاص إلا بهذا الإسناد، تفرد به: معاوية بن يحيى». المعجم الأوسط ٥٩/٨. وقال المناوي في تخریج أحاديث المصابيح: «وفي إسناد الحديث عبد الرحمن بن رافع التنوخي قاضي إفريقية، قال البخاري: في حديثه بعض المناكير». كشف المناهج والتناقيح ١٠٥/٤. انظر: التاريخ الكبير ٢٨٠/٥. قال الحافظ في التقريب عن التنوخي: «حافظ إفريقية ضعيف من الرابعة». تقريب التهذيب ص ٣٤٠.

(٤) حاشية السندي على مسند الإمام أحمد ٣٣٩/٤. ويقول الإمام السندي في شرح الحديث: «أي إن المرء يبالي بما يأتي، ويميز بين الجائز منه وغيره، للمحافظة على الورع والتقوى، فإن فعلت أنا شيئاً من هذه الأشياء، فما بقي لي من التقوى شيء حتى أبالي ما آتي محافظة عليها، والمقصود تقبيح هذه الأفعال في حقه ﷺ، وأما في حق غيره، فكذلك إلا ما خصه دليل.... والترياق: هو دواء مركب مشهور نافع عن السموم، وقيل أَنَّ وجه قبحه، أنه يُجعل فيه لحوم الأفاعي والأشياء الحرمه..... و التميمية ما تعلق في العنق من العين، وغيرها من التعويذات، وقيل المراد تائم الجاهلية». حاشية السندي على مسند أحمد ٣٣٨/٤.

وقال القسطلاني^(١): «وقد قيل: إِنَّ الممتنع عليه ﷺ إنشاء الشعر لا إنشاده، ولا دليل على منع إنشاده مُتمثلاً»^(٢).

وقد عمدت في هذا المبحث إلى جمع الأبيات التي تمثلها النبي ﷺ، وصنفتها تبعاً للشعر الذي تمثله ﷺ؛ فجعلته في مطلبين:

الأول: ما تمثله ﷺ مما قاله شعراء الجاهلية.

الثاني: ما تمثله ﷺ مما قاله شعراء الإسلام.

• المطلب الأول: ما تمثله ﷺ مما قاله شعراء الجاهلية.

لم يكن النبي ﷺ يرفض كل ما كان يُقال في الجاهلية من الشعر، وإنما كان يأخذ منه ما وافق الضوابط الشرعية للشعر، ويترك ما خالف ذلك، حتى إنه ﷺ تمثل ببعض الشعر الجاهلي ليُبين لنا أنَّ هذا الأمر جائز.

- فأخرج ابن حنبل في مسنده عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ إذا استراحت الخبر تمثل فيه بيت طرفة: «ويأتيك بالأخبار من لم تزود»^(٣).

(١) القسطلاني: أحمد بن محمد الشيخ الإمام العلامة، الحجة الفقيه النبيه المقرئ المجيد المسند المحدث أبو العباس شهاب الدين القسطلاني المصري، ثم القاهري الشافعي، صاحب المؤلفات الحافلة والفضائل الكاملة، قال الشعراوي: «كان من أحسن الناس وجهاً، طويل القامة، حسن الشيب، يقرأ بالأربع عشرة رواية، وكان صوته بالقرآن يُكي القاسي، إذا قرأ في المحراب تساقط الناس من الخشوع والبكاء». من مؤلفاته: (إرشاد الساري على صحيح البخاري)، و(الأنوار في الأدعية والأذكار)، و(المواهب اللدنية). توفي -رحمه الله- سنة ٩٢٣ هـ لعروض فالج له. انظر: الكواكب السائرة ١٢٨/١، البدر الطالع ١٠٢/١.

(٢) المواهب اللدنية بالمنح المحمدية ١٨٨/١.

(٣) مسند أحمد، مسند الصديقة عائشة بنت الصديق ﷺ ٢٤/٤٠ (٢٤٠٢٣). قال الهيثمي في المجمع: «رواه الترمذي غير أنه جعل مكان طرفة عبد الله بن رواحة، رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح». مجمع الزوائد ١٢٨/٨.

وهذا عَجَزُ بَيْتٍ وَصَدْرُهُ: (ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلاً)^(١)، والبيت لطرفة بن العبد البكري^(٢)، في معلقته المشهورة^(٣)، وهو موزونٌ على البحر الطويل^(٤)، تَمَثَّلَ به ﷺ مشطوراً بذكر الشطر الأول دون الثاني.

ويجدر بنا الإشارة هنا إلى أن البحر الطويل من أتمّ البحور العروضية الذي لم تستعمله شعراء العرب إلا تامةً، أمّا مشطور الطويل فلا يُستعمل^(٥)، فسبحان من قال: ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ﴾ [يس: ٦٩].

وفي رواية عن قتادة^(٦) قال: بلغني أنه قيل لعائشة رضي الله عنها: هل كان رسول الله يتمثل بشيء من الشعر؟ قالت: كان أبغض الحديث إليه غير أنه كان يتمثلُ بيت أخي بني قيس يجعل آخره أوله وأوله آخره، ويقول: «ويأتيك من لم تزود بالأخبار» فقال له أبو بكر رضي الله عنه: ليس هكذا، فقال رسول الله ﷺ: «إني والله ما أنا بشاعر، ولا ينبغي لي»^(٧).

(١) والبيت في ديوان طرفة بن العبد ص ٢٩، وفي لسان العرب، مادة (تبت) ٨/٢، (ريث) ١٥٧/٢، والمعنى: سَطَّلَكَ الأيام على ما تغفل عنه وسينقل إليك الأخبار من لم تزوده. شرح المعلقات السبع ١٢٠/١ وانظر: لسان العرب ٨/٢-١٥٧.

(٢) طرفة بن العبد بن سفيان بن سعد البكري الوائلي، اسمه عمرو ولقبه طرفة، شاعرٌ جاهليٌّ بحرايٍ من الطبقة الأولى، يُعدُّ من أشعر الشعراء بعد امرئ القيس، كان في حَسْبٍ من قومه جريئاً على هجائهم وهجاء غيرهم من غير فُحْشٍ في القول، وكانت الحكمة تفيضُ على لسانه في أكثر شعره، من أحدث الشعراء سناً، وقد قُتِلَ وهو ابن عشرين سنة وقيل وهو ابن ست وعشرين. انظر: الشعر والشعراء ١٨٢/١-١٨٥، خزنة الأدب ٤١٩/٢، الأعلام ٢٤٤/٣.

(٣) في معلقته التي تربو أبياتها إلى المائة التي مطلعها (لِجَوْلَةِ أَطْلَالٍ بِرُقَّةٍ تُهَمِّدُ.... تلوحُ كباقي الوشم في ظاهر اليد)، ديوان طرفة بن العبد: ص ١٩.

(٤) أصل الطويل فعولن مفاعيلن أربع مرات، وتقطيعُ هذا البيت على (فعولن مفاعيلن) أربع مرات، وهو من مقبوض الطويل. انظر: مفتاح العلوم ٥٢٨/١.

(٥) لا يُستعمل البحر الطويل إلا تامةً وجوباً، وإنَّ من أسباب تسمية البحر الطويل باسمه؛ لأنه طال بتمام أجزائه؛ فهو لا يستعمل مجزوءاً ولا مشطوراً ولا منهوكاً. انظر: العمدة ١٣٦/١، موسوعة العروض والقافية ص ٣٧.

(٦) قتادة: هو قتادة بن دعامة بن قنادة بن عزيز، أبو الخطاب السدوسي البصري، ثقةٌ ثبتٌ ويقال أنه ولد أكمه، روى عن أنس بن مالك وعن أبي سعيد الخدري وغيرهما، قال سعيد بن المسيب: «ما أتاني عراقي أحسن من قتادة»، وقال بكير بن عبد الله المزني: «ما رأيت الذي هو أحفظ منه ولا أجدر أن يؤدي الحديث كما سمعته»، وقال بن سيرين: «قتادة هو أحفظ الناس». توفي سنة ١١٧ وقيل ١١٨ هـ. انظر: تهذيب التهذيب ٣٥٣/٨، تقريب التهذيب ص ٤٥٣.

(٧) تفسير الطبري ٥٤٩/٢٠، تفسير ابن أبي حاتم ٣٢٠/١٠، تفسير ابن كثير ٥٢٥/٦، الدر المنثور ٧١/٧.

وهي رواية، قيل: ليس لها إسناد، وعلى فرض صحتها فهي لا تعارض ما جاء في روايات الحديث عن تمثله للمصراع بلا تغيير، لأنه قد يقوله تارة على أصله وتارة على خلافه^(١).

وفي بعض الروايات نجد أن عائشة رضي الله عنها نسبت البيت لابن رواحة على المجاز^(٢)، كما ورد عند الترمذي في سننه وعند البخاري في (الأدب المفرد)^(٣)، أن شريح بن هانئ^(٤) سأل عائشة رضي الله عنها: أكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتمثل بشيء من الشعر؟ قالت: كان يتمثل من شعر ابن رواحة، ويقول: «ويأتيك بالأخبار من لم تزود»^(٥).

- كان النبي صلى الله عليه وسلم متذوقاً للشعر الملتزم بمضمونٍ شريفٍ غاية التذوق، فقد روي عنه صلى الله عليه وسلم أنه تمثّل بِصَدْرِ بَيْتٍ لِمَا حَوَاهُ مِنْ مَعَانٍ رَاقِيَةٍ صَادِقَةٍ.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: أصدق بيتٍ قاله الشاعر^(٦):
[الطويل] «أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مَا خَلَا اللَّهَ بَاطِلٌ»^(٧)

قال الحافظ ابن حجر: «قوله أصدق بيت، أطلق البيت على بعضه مجازاً فإن الذي ذكره نصفه وهو المصراع الأول المسمّى عروض البيت، وأما نصفه الثاني وهو المسمى

(١) انظر: فيض القدير ٢٠٢/٥، التنوير شرح الجامع الصغير ٥٣٦/٨.

(٢) انظر: تحفة الأحوذى ١١٤/٨.

(٣) الأدب المفرد ص ٣٠٠.

(٤) شريح بن هانئ: هو التابعي الجليل شريح بن هانئ الحارثي، أصله من اليمن، أدرك النبي صلى الله عليه وسلم ولم يره وكان من أحلة أصحاب علي رضي الله عنه، ومن أمراء جيشه يوم الجمل، روى عن كبار الصحابة رضي الله عنهم كبلال بن رباح، وسعد بن أبي وقاص، وأبو هريرة، وعائشة أم المؤمنين. قُتِلَ غَازِيًا بِسَجِسْتَانَ سَنَةِ ٧٨ هـ. انظر: الاستيعاب ٧٠٢/٢، تهذيب الكمال ٤٥٢/١٢.

(٥) سنن الترمذي، في أبواب الأدب، باب ما جاء في إنشاد الشعر، ١٣٩/٥ (٢٨٤٨) قال الترمذي: «حديث حسن صحيح».

(٦) وفي رواية: "أصدق كلمة قالها شاعر" وهو المشهور، وفي رواية: "أشعر بيتٍ قاله الشاعر"، وفي رواية: "أشعر كلمة تكلمت بها العرب" انظر: شرح صحيح مسلم للنووي ١٢/١٥، فتح الباري ١٥٢/٧.

(٧) سبق تخريج الحديث انظر: ص ٢٠.

بالضرب فهو (وكل نعيم لا محالة زائل)، ويحتمل أن يكون على سبيل الاكتفاء، فأشار بأول البيت إلى بقيته والمراد كله، وعكسه ما مضى في باب ما يجوز من الشعر في كتاب الأدب بلفظ (أصدق كلمة)^(١) فإن المراد بها القصيدة وقد أطلقها وأراد البيت^(٢).

وهذا البيت للشاعر (المخضرم)^(٣) لبيد بن ربيعة^(٤)، نَظَّمَهُ قبل إسلامه^(٥).

فهو من الشعر الذي استحسنته ﷺ، فتمثَّل أوله وترك آخره^(٦)، ووصفه بأنه أصدق أو أشعر بيت؛ لموافقته لقول الله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القصص ٨٨]^(٧). وهو من قصيدة من الطويل^(٨) وجملتها عشرة أبيات^(٩).

(١) صحيح البخاري، في الأدب، باب ما يجوز من الشعر والرجز والحداء وما يكره منه، ٣٥/٨ (٦١٤٧).

(٢) فتح الباري ٣٢٢/١١.

(٣) يُطلق لفظ المُخَضْرَم على كل من أدرك الجاهلية والإسلام، لأنهم أدركوا الخضرمتين؛ خضرمة الجاهلية وخضرمة الإسلام. والخضرمة: هي قطع إحدى أذني الناقة وهي سمّة جاهلية، فلما جاء الإسلام أمرهم النبي ﷺ أن يُخَضِّرُوا من غير الموضع الذي يُخَضِّرُ منه أهل الجاهلية. انظر: لسان العرب، مادة (خضرم) ١٨٥/١٢.

(٤) لبيد بن ربيعة بن عامر بن مالك بن جعفر بن كلاب، يكنى أبا عقيل، أخذ الشعراء الفرسان الأشراف في الجاهلية. أدرك الإسلام، ووفد على النبي ﷺ فأسلم وحسن إسلامه. لم يقل بعد إسلامه إلا بيتاً واحداً، وقال لعمر ﷺ لما سأله عما قاله من الشعر في الإسلام «قد أبدلني الله بالشعر سورة البقرة»، ثم سكن الكوفة ومات بها في خلافة عثمان ﷺ سنة ٤١ هـ. انظر: الشعراء والشعر ٢٦٦/١-٢٦٧، الاستيعاب ١٣٣٥/٣، ١٣٣٨.

(٥) وقد ذكر ابن إسحاق في مناسبة هذا البيت قصة رواها عن صالح بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف عمّن حدثه عن عثمان بن مظعون ﷺ أنه حين رجع من الهجرة الأولى إلى الحبشة دخل مكة في جوار الوليد بن المغيرة فلما رأى المشركين يؤذون المسلمين وهو آمن، ردّ على الوليد جواره فيبينما هو في مجلسٍ لقريش وقد وفد عليهم لبيد بن ربيعة، فقعد ينشداهم من شعره فقال لبيد: (ألا كل شيء ما خلا الله باطل) فقال عثمان بن مظعون: صدقت، فقال لبيد: (وكل نعيم لا محالة زائل)، فقال عثمان: كذبت نعيم الجنة لا يزول، فقال لبيد: متى كان يؤذى جليساكم يا معشر قريش، فقام رجل منهم فلطم عثمان فاخضرت عينه، فلامه الوليد على ردّ جواره، فقال: قد كنت في ذمة منيعة، فقال عثمان: إن عيني الأخرى لما أصاب أحتها لفقيرة، فقال له الوليد فعد إلى جوارِي، فقال بل أرضى بجوار الله تعالى. انظر: سيرة ابن هشام ٣٧٠/١.

(٦) انظر: الأدب لابن أبي شيبة ص ٣٤٤.

(٧) انظر: حاشية السندي على ابن ماجه ٤١٠/٢، فيض القدير ٥٢٤/١.

(٨) سبقَت الإشارة إلى أنَّ شعراء العرب لم يستعملوا البحر الطويل إلا تاما انظر ص ١٠٢ (الحاشية: ٥).

(٩) عمدة القاري ٢٩٤/١٦، إرشاد الساري ١٧٨/٦.

- ومن الأبيات التي تمثلها ﷺ من أشعار الجاهلية ما روي عن ابن عباسٍ رضي الله عنه ^(١) أنه صلى الله عليه وسلم تمثل قول الشاعر:

[بجر الرجز]

«إِنْ تَغْفِرَ اللَّهُمَّ تَغْفِرْ جَمًّا وَأَيُّ عَبْدٍ لَكَ لَا أَلَمًا» ^(٢)

وهذا البيت لأمية بن أبي الصلت ^(٣)، وقد كان أهل الجاهلية يطوفون بالبيت وهم يقولونه ^(٤)، تمثل به المصطفى صلى الله عليه وسلم؛ لما حمل من معنى جميل ووصفٍ مُعَبِّرٍ عن حال العبد المؤمن في طلب المغفرة من الكريم الغفار الذي يغفر ذنوب عباده الخطائين، فمعناه إن تغفر ذنوب عبادك، فقد غفرت ذنوبا كثيرة فإن جميع عبادك خطاؤون، وقوله: لَا أَلَمًا أي: لم يلم بمَعْصِيَةٍ ^(٥).

(١) ذكره ابن عباس في تفسيره لقول الله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ﴾ [النجم: ٣٢]، وقال: هو الرَّجُلُ يُلَمُّ بالفاحشة ثم يتوب. انظر: تفسير الطبري ٥٣٥/٢٢.

(٢) سنن الترمذي، في أبواب تفسير القرآن، باب ومن سورة النجم، ٣٩٦/٥ (٣٢٨٤)، قال الترمذي: «هذا حديث حسن صحيح غريب لا نعرفه إلا من حديث زكريا بن إسحاق». وأخرجه الحاكم في المستدرک على الصحيحين ١٢٢/١ - ١٢٢ وقال الحاكم: الحديث على شرط الشيخين.

(٣) نُسِبَ هذا البيت لأمية بن أبي الصلت في: قوت المغتذي ٨١١/٢، فيض القدير ٢٩/٣، خزانة الأدب ٤/٤، وذكر أنَّ هذا البيت منسوبٌ لأبي خراش الهذلي، قاله وهو يسعى بين الصفا والمروة: لا هم هذا خامس إن تمّا... أمّهُ الله وقد أمّا، إن تغفر اللهم... الخ. مُغْنِي اللَّيْب ٣٢١/١، خزانة الأدب ٢٩٥/٢، لسان العرب، مادة (جـم) ١٠٤/١٢. وجمع البغدادي بين القولين فقال: «وليس البيت لأبي خراش وإنما هو لأمية بن أبي الصلت قاله عند موته وقد أخذه أبو خراش وضّمّه إلى بيت آخر، وكان يقولهما وهو يسعى بين الصفا والمروة». خزانة الأدب ٢٩٥/٢.

(٤) أخرج ابن جرير في تفسيره عن مجاهد قال: «كان أهل الجاهلية يطوفون بالبيت وهم يقولون:

إن تغفر اللهم تغفر جما... وأي عبد لك لا ألما»، تفسير الطبري ٥٣٧/٢٢.

(٥) انظر: قوت المغتذي ٨١١/٢، فيض القدير ٢٩/٣.

- ومنه ما روي عنه ﷺ يوم بدرٍ أنه جعل يمشي بين القتلى وهو يقول: «نفلقُ هاماً»^(١)، فيقول أبو بكر الصديق رضي الله عنه مُتمِّماً البيت:

[بحر الطويل]

..... من رجالٍ أعزَّةٍ عَلَيْنَا وَهُمْ كَانُوا أَعَقَّ وَأَظْلَمًا^(٢)

وهذا البيت للشاعر الجاهلي حصين بن الحمام^(٣)، في قصيدة له وهي في الحماسة^(٤)، ابتداءً للنبي ﷺ بأولِّه لما أراده من معنى البيت، فقد كان ﷺ حينها مُتَأَلِّماً لِقِتَالِهِ صَنَادِيدَ قَوْمِهِ فِي غَزْوَةِ بَدْرٍ، فمُشْرِكُو قَرِيشِ هُم أَصْحَابُ قَرَابَةٍ مِنْهُ ﷺ، وَلَكِنَّهُمْ كَانُوا أَسْبَقَ إِلَى عَقْوِهِ وَظُلْمِهِ هُوَ وَمَنْ آمَنَ بِهِ، وَكَانُوا هُم مَنْ أَلْجَوْهُ إِلَى قِتَالِهِمْ^(٥).

وروي بحديثٍ ضعيفٍ أنَّ النبي ﷺ كان قد تَمَثَّلَ^(٦) ببيتٍ من الشعر قيل في الفأل الحسن^(٧):

(١) فلق: أي شق، والتفليق مثله. لسان العرب، مادة (فلق) ٣٠٩/١٠، وهاماً: جمع هامة، وهي الرأس، والمعنى نَشُقُّ رؤوساً.

(٢) تفسير ابن كثير ٥٢٤/٦، إنسان العيون (السيرة الحلبية) ٩٣/٢. ونسب ابن كثير الحديث إلى الأموي في مغازيه.

(٣) هو حصين بن الحمام بن ربيعة المري الذبياني، كان سيد قومه وشاعرهم، اشتهر بـ (مانع الضيم)، يُعدُّ من أوفياء العرب، وهو ممن نَبَذُوا عِبَادَةَ الْأَوْثَانِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، وَمَنْ أَشْعَرَ الْمُقْلِينَ، مات قبل ظهور الإسلام، وقيل أنه أدرك الإسلام. انظر: الشعر والشعراء ٦٣٤/٢، الأعلام ٢٦٢/٢.

(٤) ديوان الحصين بن الحمام ص ٦٧، العقد الفريد ١٣١/٥.

(٥) انظر: شرح ديوان الحماسة ١٤٦/١.

(٦) لم أجد قائل هذا البيت، واستنتجت أنه ليس من قول النبي ﷺ، وإنما تمثله عن غيره، والذي أثبت لي ذلك قول الحافظ ابن حجر حين علَّقَ على الحديث بقوله: «يؤيد ذلك، أنه ﷺ كان يجوزُ له أن يحكي الشعر عن ناظمه»، فالغالب أنه قاله ﷺ مُتَمَثِّلاً. فتح الباري ٥٤٢/١٠.

(٧) كان النبي ﷺ يُعْجِبُهُ الْفَأَلُ الْحَسَنُ، وَيُنْهَى عَنِ الطَّيْرَةِ، ففي الحديث المتفق عليه: قال ﷺ: «لا طيرة، وخيرها الفأل قيل: يا رسول الله وما الفأل؟ قال: الكلمة الصالحة يسمعها أحدكم» صحيح البخاري، في الطب، باب الطيرة، ١٣٥/٧ (٥٧٥٤). صحيح مسلم، في السلام، باب الطيرة والفأل وما يكون فيه من الشؤم، ١٧٤٥/٤ (٢٢٢٣). فالفأل هو الكلمة الطيبة التي يسمعها المسلم، فيرتاح لها وتسره. انظر: النهاية ٤٠٥/٣، لسان العرب، مادة (فأل) ٥١٣/١١. وإنما أحبَّ ﷺ الفأل لأنَّ النَّاسَ إِذَا أَمَلُوا فَائِدَةَ اللَّهِ تَعَالَى وَرَجَوْا عَائِدَتَهُ عِنْدَ كُلِّ سَبَبٍ ضَعِيفٍ أَوْ

فَعَنْدَ الْبِيهَقِيِّ ^(١) فِي السَّنَنِ الْكُبْرَى عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: مَا جَمَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَيْتَ شَعْرِ قَطٍ، إِلَّا بَيْتًا وَاحِدًا:

[بِحَرْ الطَّوِيلِ]

تَفَاءَلُ بِمَا تَهْوَى يَكُنْ فَلَقَلَّمَا يُقَالُ لِشَيْءٍ كَانَ إِلَّا تَحَقَّقَ

قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «وَلَمْ يَقُلْ تَحَقَّقَا؛ لِأَنَّ يُعْرَبُ فَيَصِيرُ شِعْرًا» ^(٢).

قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ: «وَأَمَّا لَمْ يُعْرَبْ لِأَنَّ يَكُونُ شِعْرًا، فَهُوَ شَيْءٌ لَا يَصِحُّ. وَمَا يَدُلُّ عَلَى وَهَائِهِ التَّعْلِيلُ الْمَذْكُورُ، وَالْحَدِيثُ الثَّلَاثُ فِي الْبَابِ ^(٣) يُؤَيِّدُ ذَلِكَ، أَنَّهُ ﷺ كَانَ يَجُوزُ لَهُ أَنْ يَحْكِيَ الشَّعْرَ عَنْ نَازِلِهِ» ^(٤).

● الْمَطْلَبُ الثَّانِي: مَا تَمَثَّلَهُ ﷺ مِمَّا قَالَهُ شِعْرَاءُ الْإِسْلَامِ:

بَعْدَ أَنْ جَاءَتْ رِسَالَةُ الْإِسْلَامِ، وَأَرَادَ النَّبِيُّ ﷺ تَأْسِيسَ دَوْلَةٍ لِلْمُسْلِمِينَ بِنَاءَ مَسْجِدٍ لِيَكُونَ مَرْكَزًا لِقِيَادَتِهِمْ، وَفِي أَثْنَاءِ بِنَاءِ الْمَسْجِدِ النَّبَوِيِّ وَحَيْثُ إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَنْقُلُ مَعَ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ اللَّبَنَ فِي بُنْيَانِهِ، أَخَذَ ﷺ يُنْشِدُ الشَّعْرَ إِشْعَالًا لِلرَّغْبَةِ فِي قُلُوبِهِمْ لِإِتْمَامِ الْعَمَلِ وَرَبِطَهُمْ بِأَجْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَثَوَابِهِ الْعَظِيمِ.

قَوِي فَهَمُّ عَلَى خَيْرٍ، وَالطَّيْرَةُ فِيهَا سُوءُ الظَّنِّ بِاللَّهِ.

(١) الْبِيهَقِيُّ: أَبُو بَكْرٍ أَحْمَدُ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ الْبِيهَقِيُّ، أَحَدُ أَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ، فَقِيهٌ جَلِيلٌ حَافِظٌ أَصُولِي، لَهُ مَوْلاَتٌ كَثِيرَةٌ فِي نَصْرِ الْمَذْهَبِ الشَّافِعِيِّ، وَبَسْطَ مَوْجِزَهُ. وَمِنْ أَهَمِّ تَصَانِيفِهِ: (السَّنَنِ الْكُبْرَى) وَ(السَّنَنِ الصَّغْرَى)، وَ(دَلَالُ النَّبُوَّةِ) وَغَيْرُهَا. تَوَفَّى رَحِمَهُ اللَّهُ سَنَةَ ٤٣٥ هـ. انْظُرْ: طَبَقَاتُ الشَّافِعِيَّةِ ٨/٤، الْأَعْلَامُ ١١٥/١-١١٦.

(٢) السَّنَنِ الْكُبْرَى لِلْبِيهَقِيِّ ٦٨/٧، قَالَ الشَّيْخُ: «وَلَمْ أَكْتُبْهُ إِلَّا بِهَذَا الْإِسْنَادِ، وَفِيهِمْ مَنْ يُجْهَلُ حَالُهُ»، وَالْحَدِيثُ فِي تَارِيخِ بَغْدَادٍ، قَالَ الْخَطِيبُ: «غَرِيبٌ جَدًّا، وَلَمْ أَكْتُبْهُ إِلَّا بِهَذَا الْإِسْنَادِ» تَارِيخُ بَغْدَادٍ ٤٢٦/١١. قَالَ الْكَشْمِيرِيُّ: «وَتَبَيَّنَ عَنْهُ هَذَا الشَّعْرُ، وَفِي إِسْنَادِهِ أَئِمَّةُ النَّحْوِ». فَيُضِ الْبَارِي: ٦٠/٢، وَقَالَ أَبُو الْحَجَّاجِ الْمَزِينِيُّ عَنْ هَذَا الْحَدِيثِ أَنَّهُ مُنْكَرٌ. إِمْتَاعُ الْأَسْمَاعِ ٩٦/١٣.

(٣) فِيهِ إِشَارَةٌ الْحَافِظِ لِحَدِيثِ تَمَثُّلِ النَّبِيِّ ﷺ لِشَطْرِ بَيْتٍ لِبَيْدٍ، دُونَ أَنْ يَغَيَّرَ فِيهِ. صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ ٤٢/٥ (٣٨٤١).

(٤) فَتَحُ الْبَارِي ٥٤١/١٠.

- فقد أخرج البخاري عن الزهري^(١) عن عروة بن الزبير^(٢) مرسلاً^(٣)، في بناء المسجد

النبي: أن رسول الله ﷺ طَفِقَ ينقل مع الصحابة اللبن في بنيانه ويقول، وهو ينقل

اللبن:

[بحر الرجز]

«هَذَا الْحِمَالُ لَا حِمَالُ خَيْرُ هَذَا أَبَرُّ رِنَا وَأَطْهَرُ
ويقول:

اللَّهُمَّ إِنَّ الْأَجَرَ أَجْرُ الْآخِرَةِ فَارْحَمْ الْأَنْصَارَ وَ الْمُهَاجِرَةَ

(١) الزهري: اسمه محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله الأصغر بن شهاب، أحد الفقهاء والمحدثين والأعلام التابعين بالمدينة، رأى عشرة من الصحابة -رضوان الله عليهم- وروى عن جماعة من الأئمة منهم مالك بن أنس وسفيان بن عيينة وسفيان الثوري، وكان قد حفظ علم الفقهاء السبعة. كتب عمر بن عبد العزيز إلى الآفاق: «عليكم بابن شهاب، فإنكم لا تجدون احدا أعلم بالسنة الماضية منه». توفي سنة ١٢٣هـ وقيل ١٢٤هـ وقيل ١٢٥هـ. انظر: وفيات الأعيان ١٧٧/٤، الوافي بالوفيات ١٧/٥.

(٢) عروة بن الزبير بن العوام: القرشي أخو عبد الله بن الزبير أمهما أسماء بنت أبي بكر الصديق ﷺ، هو أحد الفقهاء السبعة بالمدينة وأفاضل التابعين وعباد قريش، كان يقرأ كل يوم ربع القرآن في المصحف نظراً بالتدبر والتفكير، كان ثقة كثير الحديث فقيهاً عالياً مأموناً ثباً، قال عمر بن عبد العزيز: «ما أحد أعلم من عروة بن الزبير». وقال الزهري: «عروة بحر لا تكدره الدلاء». مات -رحمه الله- سنة ٩٤هـ. انظر: الطبقات الكبرى ١٣٧/٥، وفيات الأعيان ٢٥٥/٣.

(٣) قال الحافظ ابن حجر: «صورته مرسل، لكنه وصله الحاكم أيضاً من طريق معمر عن الزهري قال: أخبرني عروة أنه سمع الزبير به» فتح الباري ٢٤٣/٧.

قال عُروَة: «فَتَمَثَّلَ بِشَعْرِ رَجُلٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ لَمْ يُسَمَّ لِي»^(١).

قال ابن شهاب: ولم يبلغنا في الأحاديث أن رسول الله ﷺ تمثل ببيت شعر تام غير هذا البيت^(٢).

- وأخرج ابن أبي شيبة في بناء المسجد النبوي، أن رسول الله ﷺ كان يبني المسجد وعبد الله بن رواحة يقول: أَفْلَحَ مَنْ يُعَالِجُ الْمَسَاجِدَا، وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «قَدْ أَفْلَحَ مَنْ يُعَالِجُ الْمَسَاجِدَا» وعبد الله يقول: وَيَتْلُو الْقُرْآنَ قَائِمًا وَقَاعِدًا، وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «وَيَتْلُو الْقُرْآنَ قَائِمًا وَقَاعِدًا» وَهُمْ يَبْنُونَ الْمَسْجِدَ^(٣).

(١) صحيح البخاري، في مناقب الأنصار، باب هجرة النبي ﷺ وأصحابه إلى المدينة، ٦٠/٥ (٣٩٠٦)، وأخرجه مرسلًا عن ابن شهاب الزهري: ابن أبي شيبة في مصنفه في الأدب: باب الرخصة في الشعر ٢٧٩/٥ (٢٦٠٦٨)، والبيهقي في دلائل النبوة ٥٣٨/٢.

وقد ذكر ابن القيم في زاد المعاد أنه ﷺ كان يقول عند بناء المسجد:

هَذَا الْحِمَالُ لَا جِمَالَ خَيْرَ هَذَا أَبَرُّ رَبَّنَا وَأَطْهَرُ
فِيحْيِيهِ بَعْضُ الصَّحَابَةِ قَائِلًا:

لَئِنْ قَعَدْنَا وَالنَّبِيُّ يَعْمَلُ ذَاكَ إِذَا لَلْعَمَلُ الْمَضْلَلُ
وَمِنْ طَرِيقٍ أُخْرَى عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ نَحْوَهُ وَزَادَ: قَالَ: وَقَالَ عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ:

لَا يَسْتَوِي مَنْ يَغْمُرُ الْمَسَاجِدَ يَدَأُبُ فِيهَا قَائِمًا وَقَاعِدًا
وَمَنْ يَرَى عَنِ الثَّرَابِ حَائِدًا

انظر: زاد المعاد ٥٦/٣، وذكر هذه الأبيات أيضاً الحافظ ابن حجر في فتح الباري ٢٤٧/٧.

(٢) لا اعتراض على قول الزهري، فإنه حتى لو ثبت عنه ﷺ أنه أنشد غير ما نقله الزهري فإنه نفى أن يكون بلغه ولم يطلق النفي المذكور. وروى ابن سعد عن معمر عن الزهري قال: «لم يقل النبي ﷺ شيئاً من الشعر قيل قبله أو يروى عن غيره إلا هذا» كذا قال، وقد قال غيره: إن الشعر المذكور لابن رواحة فكأنه لم يبلغه، وما في الصحيح أصح، وهو قول عروة: «شعر رجل من المسلمين»، انظر: فتح الباري ٢٤٧/٧، ولعل ابن شهاب قصد أن النبي ﷺ لم يتمثل ببيت شعر كامل موزون وزناً صحيحاً غير هذا والله أعلم.

(٣) مصنف ابن أبي شيبة، من حديث أبي جعفر الخطمي ٢٧٧/٥، الأدب لابن أبي شيبة ص ٣٧٠. معجم الصحابة لابن قانع ٢٦٨/٢. بلفظ «قَدْ أَفْلَحَ مَنْ بَنَى الْمَسَاجِدَ، وَقَرَأَ الْقُرْآنَ قَائِمًا وَقَاعِدًا». قال ابن الحافظ ابن حجر أن الحديث «من مرسل أبي جعفر الخطمي». فتح الباري ٥٤١/١٠.

- وروى البخاري عن أنس رضي الله عنه، قال: جعل المهاجرون والأنصار يحفرون الخندق حول المدينة، وينقلون التراب على متونهم، ويقولون:

[بجر الرجز]

نَحْنُ الَّذِينَ بَايَعُوا مُحَمَّدًا عَلَى الْإِسْلَامِ مَا بَقِينَا أَبَدًا.

والنبي ﷺ يجيهم ويقول:

[بجر الرجز]

اللَّهُمَّ إِنَّهُ لَا خَيْرَ إِلَّا خَيْرُ الْآخِرَةِ فَبَارِكْ فِي الْأَنْصَارِ وَالْمُهَاجِرَةِ^(١).

وأورده البخاري أيضاً في باب غزوة الخندق من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه بلفظ:

اللَّهُمَّ لَا عَيْشَ إِلَّا عَيْشُ الْآخِرَةِ فَاغْفِرْ لِلْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ^(٢).

وأورده من حديث أنس رضي الله عنه كذلك في باب البيعة في الحرب بلفظ: «فَأَكْرَمِ الْأَنْصَارَ وَالْمُهَاجِرَةَ»^(٣).

أمّا أصل البيت فهو لابن رواحة^(٤)، تمثّل به النبي ﷺ أثناء حفر الخندق، لما فيه من إقامة النفوس في الحرب وإثارة الأنفة والعزة، والترغيب بما عند الله للمؤمنين^(٥).

(١) صحيح البخاري، في الجهاد والسير، باب حفر الخندق، ٢٥/٤ (٢٨٣٥)، وقد أورد البخاري روايات أخرى بألفاظ مختلفة للأبيات، فقد أورده كذلك في الجهاد والسير، باب التحريض على القتال، بلفظ: "اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة، فاغفر للأنصار والمهاجرة" ٢٥/٤ (٢٨٣٤)، وفي مناقب الأنصار، وفي الرقاق، بلفظ: "فأصلح الأنصار والمهاجرة"، ٣٤/٥ (٣٧٩٥)، ٨٨/٨ (٦٤١٣).

(٢) صحيح البخاري في المغازي، باب غزوة الخندق وهي الأحزاب ١٠٧/٥ (٤٠٩٨)، صحيح مسلم، في الجهاد والسير، باب غزوة الأحزاب، ١٤٣١/٣ (١٨٠٤).

(٣) صحيح البخاري، في الجهاد والسير، باب البيعة في الحرب أن لا يفروا، ٥٠/٤ (٢٩٦١).

(٤) وقد نسب البيت لابن رواحة كل من: ابن بطّال، و ابن التين، والمناوي. انظر: شرح صحيح البخاري لابن بطّال ٥٩/٩، فتح الباري ٣٩٤/٧، فيض القدير ١٠٠/٢.

(٥) انظر: شرح صحيح البخاري لابن بطّال ٥٩/٩.

وقد وردَ البيتُ منكسراً في كل رواياتِ الحديث، وذكرَ الحافظ ابن حجر أنَّ النبي ﷺ تعمَّد كسره، فقال في معرض شرحه لحديث سهل بن سعد رضي الله عنه: «ولعلَّه ﷺ تعمَّد ذلك، ولعلَّ أصله (فاغفر للانصار والمهاجرة)، بتسهيل لام الأنصار، وباللام في المهاجرة»^(١).
وأبعدَ الكرمانِي^(٢) في محاولة إثبات أنَّ النبي ﷺ قد كَسَرَ وزن البيت، فذكر أنَّه ﷺ كان يقفُ على (الآخرة) و (المهاجرة) بالتاء محرَّكةً، فيُخرجهُ عن الوزن^(٣).
ويُردُّ عليه بأنَّه لا يوجد دليلٌ يدلُّ على إنشاد النبي ﷺ للبيت بهذه الطريقة، كما أنَّ البيت مكسورٌ حتى دون الوقوف على التاء متحركة.

وقيل^(٤) أنَّ البيتَ لابن رواحة بلفظ (لاهُمَّ إن العيشَ) بلا ألف ولام، وأنَّ بعضَ الرواة إمَّا أوردوه على المعنى، وقد ردَّ الدماميني^(٥) على ذلك بأنَّه: «توهيتم للرواة من غير داعٍ إليه

(١) فتح الباري ٣٩٤/٧.

(٢) الكرمانِي: محمد بن يوسف بن علي بن سعيد، شمس الدين الكرمانِي: عالم بالفقه والحديث والتفسير والأصولين والمعاني والعربية، أصله من كرمان، واشتهر في بغداد، وأقام مدة بمكة، وفيها فرغ من تأليف كتابه (الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري) وله من المصنفات الكثير منها: (ضمائر القرآن) و(شرح مختصر بن الحاجب) وغيره، مات راجعاً من الحج في طريقه إلى بغداد سنة ٧٨٦هـ. انظر: الدرر الكامنة ٦/٦٦، بغية الوعاة ١/٢٧٩.

(٣) انظر: الكواكب الدراري ٩٠/٤.

(٤) قاله الداوودي فيما نقله عنه ابن التين. انظر: التوضيح لشرح الجامع الصحيح ٧٧/١٨، فتح الباري ٣٩٤/٧.

(٥) ردَّ على ذلك الدماميني في مصابيح الجامع ٢٥٠/٦. وهو محمد بن أبي بكر بن عمر بن أبي بكر بن محمد بن سليمان بن جعفر القرشي المخزومي الاسكندراني، بدر الدين المعروف بابن الدماميني المالكي النحوي الأديب، برع في النحو والنظم والنثر والخط ومعرفة الشروط، وشارك في الفقه وغيره، وناب في الحكم، ودرس بعدة مدارس، واشتهر ذكره. من مؤلفاته: (تحفة الغريب في حاشية مغنى اللبيب)، و(مصابيح الجامع) في شرح صحيح البخاري. انظر: ديوان الإسلام ٢٨٤/٢، نزهة الخواطر ٢٦٨/٣.

فلا يمتنع أن يكون ابن رواحة قال: (اللهم) -بألفٍ ولام- على جهة الخزم^(١)،...وعندها لا يُعتدُّ بالزيادة ويكون ابتداء النظم ما بعدها»^(٢).

- وأخرج البخاري، عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الخندق وهو ينقلُ التراب، حتى وارى التراب شعر صدره، وكان رجلاً كثير الشعر، وهو يرتجز برجز عبد الله:

[بحر الرجز]

للهمَّ لولا أنتَ ما اهتدينا	ولا تصدّقنا ولا صليّنا ^(٣)
فأنزلن سَكِينَةً عَلَيْنَا	وثبّتِ الأقدامَ إنْ لاقينا
إنَّ الأعداءَ قد بَعَّوْا عَلَيْنَا	إذا أرادوا فِتْنَةً أَبِينَا

يرفعُ بها صَوْتَهُ»^(٤).

وهذه الرواية أخرجه الإمام البخاري في باب الرجز في الحرب ورفع الصوت في حفر الخندق، قال الحافظ ابن حجر: «وفيه جَوَازُ رَفْعِ الصَوْتِ في عمل الطاعة لِيُنَشِّطَ نفسه وَغَيْرُهُ»^(٥).

(١) الخزم: من علل الزيادة، وهو زيادة حرفٍ أو أكثر في أول صدر البيت، أو أول عجزه في بعض البحور. وهذا أمرٌ لا نزاع فيه بين العروضيين ولم يقل أحد منهم بامتناعه وإن لم يستحسنوه. انظر: العمدة ١/١٢٦، مفتاح العلوم ١/٥٢٦، العيون الغامزة ١/٩٧.

(٢) مصابيح الجامع ٦/٢٥٠.

(٣) والصَّوابُ في الوزن: لاَهُمْ، أو تالله، أو والله لولا أنت، شرح صحيح مسلم للنووي ١٢/١٦٦، ويكون على الرواية المذكورة قد دخله الخزم وهو جائز.

(٤) صحيح البخاري، في الجهاد والسير، باب الرجز في الحرب ورفع الصوت في حفر الخندق، ٤/٦٤ (٣٠٣٤). وجاء بلفظ: (إنَّ الألى قد بَعَّوْا عَلَيْنَا)، عند البخاري في كتاب الجهاد والسير، باب حفر الخندق ٤/٢٦ (٢٨٣٧). وعند مسلم في الجهاد والسير، باب غزوة الأحزاب بلفظ: (إنَّ الألى قد أبوا علينا) ٣/١٤٣١ (١٨٠٣).

(٥) فتح الباري ٦/١٦١.

فهي من الرَّجَزِ الذي استُعملَ عند العرب في الحرب ليزيدَ في النَّشاطِ وبيعَتِ الهمم، وهذه الأبيات من شعر عبد الله بن رواحة رضي الله عنه ويؤيد ذلك رواية البخاري في باب غزوة الخندق بلفظ: «فسمعتَه يرتجزُ بكلماتِ ابن رواحة»^(١).

وقد وردت الأبيات بالفاظٍ مختلفة^(٢) فرويت بزحافٍ تارةً، وبغير زحافٍ تارةً أخرى، إلا أنها جاءت في كل الروايات تحمِلُ معانٍ راقية تبعثُ على النشاط وتُساهمُ برفع الروح الإيمانية.

- وورد أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم أعطى المؤلفَ قلوبهم من غنائم حنين، فأعطى مئة من الإبل لكلٍ من أبي سفيان بن حرب، وصفوان بن أمية وعيينة بن حصن، والأقرع بن حابس، وأما عباس بن مرداس السُّلَمي^(٣) فأعطاه دون ذلك؛ فأنشد قائلاً:

(١) صحيح البخاري في المغازي، باب غزوة الخندق وهي الأحزاب ١١٠/٥ (٤١٠٦). وقد ارتجز بنفس الأبيات أيضاً عامر بن الأكوع رضي الله عنه، ووجه الجمع بينهما أن يكون عامر وابن رواحة تواردا على ما تواردا منه، بدليل ما وقع لكلٍ منهما مما ليس عند الآخر. انظر: فتح الباري ٤٦٥/٧.

(٢) فقد جاءت في بعض الروايات بلفظ: «لولا أنت ما اهتدينا» كما في رواية سافها الإمام البخاري في الجهاد والسير، باب حفر الخندق، ٢٦/٤ (٢٨٣٧)، أي بحذف الجزء الأول وهو ما يُسمى بالحَرَم: «وهو ذهابُ أول حركةٍ من وتد الجزء الأول من البيت، وأكثر ما يقع في البيت الأول، وقد يقع قليلاً في أول عجز البيت، وقد أنكره الخليل لقلته فلم يُجزَّه وأجازه غيره». العمدة ١٢٥/١.

(٣) العباس بن مرداس: هو العباس بن مرداس بن حارثة، أسلم قبل فتح مكة وأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم في تسعمائة من قومه على الخيول معهم القنا والدروع الظاهرة فحضرُوا فتح مكة وحضر حنين. وأعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم مع من أعطى من المؤلفَ قلوبهم، لم يسكن العباس بن مرداس مكة ولا المدينة وكان يغزو مع النبي صلى الله عليه وسلم ويرجع إلى بلاد قومه وكان ينزل بوادي البصرة ويأتي البصرة كثيراً. وكان ممن حرم الخمر في الجاهلية. انظر: معجم الصحابة للبغوي ٣٩٤/٤، الاستيعاب ٨١٩/٢.

[بحر المتقارب]

فأصبح نَهْيِي^(١) وَنَهَبَ الْعُبَيْـُٔ — دِ بَيْنَ عُيَيْنَةٍ وَالْأَقْرَعِ^(٢)

فحين بلغ قوله النبي ﷺ دَعَاه وقال له: «أنت القائل:

فأصبح نَهْيِي وَنَهَبَ الْعُبَيْـُٔ — دِ بَيْنَ الْأَقْرَعِ وَعُيَيْنَةٍ»

فقال أبو بكر الصديق ﷺ: بأبي وأمي أنت لم يقل كذلك، ولا والله ما أنت بشاعر

وما ينبغي لك، وما أنت براوية، قال: «فكيف؟» فأنشده أبو بكر، فقال النبي ﷺ: «سواء

هما، ما يضرُّك بأيُّهما بدأت: بالأقْرَع، أم عَيْنَةٍ»^(٤).

ثُمَّ أَمَرَ ﷺ أَنْ يَاقُطَعُوا عَنْهُ لِسَانَهُ، بِزِيَادَتِهِ مِنَ الْعَطَاءِ، فَأَتَمَّ لَهُ مِئَةً.

- وَمِنْ ذَلِكَ تَمَثَّلَهُ ﷺ بِمِصْرَاعٍ بَيْتٍ، أُنِيسَ فِيهِ مَعْنَى وَاقِعِيًّا وَبَسِيطًا، وَهُوَ قَوْلُ الْأَعْشَى

الْمَازِنِيِّ^(٥): وَهَنْ شَرُّ غَالِبٍ لِمَنْ غَلَبَ. فَقَدْ رَوَى عَنِ الْأَعْشَى الْمَازِنِيِّ، أَنَّهُ قَالَ: أَتَيْتَ النَّبِيَّ

ﷺ، فَأَنْشَدْتَهُ:

(١) النهب: هو الغنيمة، والجمع نهابٌ ونُهوب، لسان العرب، مادة (نَهَبَ) ٧٧٣/١.

(٢) العُبَيْدُ: مُصَغَّرٌ وهو اسم فرس العباس بن مرداس، لسان العرب، مادة (عَبَدَ) ٢٧٧/٣.

(٣) والبيت في ديوان العباس بن مرداس ص ١١١، لسان العرب، مادة (نَهَبَ) ٧٧٤/١، (عَبَدَ) ٢٧٧/٣.

(٤) أخرجه بهذا اللفظ البيهقي في دلائل النبوة من طريق عروة بن الزبير وموسى بن عقبة عن الزهري. دلائل النبوة

١٨١/٥-١٨٢. كما ذكره كذلك ابن كثير في البداية والنهاية من نفس الطريق ٣٦٠/٤. والحديث أصله في صحيح

مسلم من حديث رافع بن خديج دون التطرق لتكرار النبي ﷺ للبيت. انظر: صحيح مسلم، في كتاب الزكاة، باب

إعطاء المؤلف قلوبهم ٧٣٧/٢ (١٠٦٠)، والحديث أيضاً في صحيح ابن حبان ١٥٨/١١، معرفة السنن والآثار

٣٣٣/٩، السنن الكبرى للبيهقي ٢٧/٧.

(٥) الأعشى المازني: عبد الله بن الأعور، المازني نسبةً لبني مازن وقيل الحِرمَازي نسبةً لبني الحِرمَاز، وحقَّق القول في ذلك

ابن الأثير في "أسد الغابة" ٢٥٦/١، فذكر أنَّ الحِرمَاز ومازن أخوان، قال: «وقد جرت عادتهم-أي العرب- ينسبون

أولاد البطن القليل إلى أخيه إذا كان مشهوراً»، ونسبه ابن عبد البر في الاستيعاب ٨٦٦/٣ الحِرمَازي المازني؛ الأولى على

الجادة والثانية على التغليب. ولُقِّبَ بأعشى بني مازن. انظر: الإصابة ٢٤٦/١، المؤلف والمختلف ١٧/١-١٨، الشعر

والشعراء ٦٧٣/٢.

[بحر الرجز]

يا مالك الناس وديان العرب^(١) إني لقيت ذربة^(٢) من الدرب
غدوت أبغيها الطعام في رجب فخلفتني^(٣) بنزاع وحرب^(٤)
أخلفت العهد ولطت بالذنب^(٥) وهن شر غالٍ لمن غلب^(٦)

قال: فجعل يقول النبي ﷺ عند ذلك: «وهن شر غالٍ لمن غلب»^(٧).

وقصة هذه الأبيات ما بينتها رواية أخرى في مُسند أحمد قال فيها:
«عن نُضلة بن طريف، أن رجلا منهم، يقال له، الأعشى، واسمه: عبد الله بن الأعور،
كانت عنده امرأة يقال لها: مُعاذة، خرج في رجب يدير أهله من هجر، فهربت امرأته بعده
ناشراً عليه، فعادت برجل منهم، يقال له: مطرف بن بُهصل بن كعب، فجعلها خلف
ظهره. فلما قدم -أي الأعشى- ولم يجدها في بيته، وأخبر أنها نشرت عليه، وأنها عادت
بمطرف بن بُهصل، أتاه فقال: يا ابن عم، أعندك امرأتي مُعاذة؟ فادفعها إلي، قال: ليست

(١) الديان: من دان الناس، أي: قهرهم على الطاعة، النهاية ١٤٨/٢.

(٢) ذرية: قيل في معناها فسادها وخيانتها، وقيل فساد منطقها وسلطانها، النهاية ١٥٦/٢.

(٣) خلقتني: يقال إن امرأة فلان تخلف زوجها بالنزاع إلى غيره إذا غاب عنها، لسان العرب، مادة (خلف)، ٩٠/٩.

(٤) النزاع: الخصومة. والحرب، بالتحريك: الغضب، منال الطالب لابن الأثير ص ٤٩٩.

(٥) لطت بالذنب: لطت الناقة بذنبها، إذا ألزقته بفرجها، تفعل ذلك إذا أبت على الفحل، فكنى بذلك عن نشوزها عليه. المرجع السابق.

(٦) يعني النساء اللاتي امرأته منهن. المرجع السابق.

(٧) مسند أحمد، مسند عبد الله بن عمرو بن العاص ﷺ، ٤٧٨/١١ (٦٨٨٥). وهذا الحديث من زيادات عبد الله بن الإمام أحمد. في رجال إسناده الحديث صدقة بن طيسلة ومعن بن ثعلبة، ترجم لهما البخاري في (التاريخ الكبير) ٢٩٥/٤، ٣٩٠/٧ ولم يورد فيهما جرحاً ولا تعديلاً، وتبعه على ذلك ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل ٤٣٣/٤ - ٤٣٤، ٢٧٧/٨، وذكرهما ابن حبان في (الثقات) ٢٩٥/٤، ٣٩٠/٧، وذكره الهيثمي في (المجمع) وقال: «رواه عبد الله بن أحمد ورجاله ثقات» ٣٣٢/٤. وقال العيني: «إسناده صحيح». نخب الأفكار ٣٦/١٤.

عندي، ولو كانت عندي لم أدفعها إليك، قال: وكان مطَّرفُ أعز منه، فخرج حتى أتى النبي ﷺ، فعاذ به، وأنشأ يقول: (يا مالك الناس وديان العرب.... إلى آخر الأبيات) فقال النبي ﷺ عند ذلك: «وَهَنَّ شَرُّ غَالِبٍ لِمَنْ غَلَبَ» فشكا إليه امرأته وما صنعت به، وأنها عند رجل منهم يقال له: مطَّرفُ بن بُهْضَل، فكتب له النبي ﷺ: إلى مطَّرف، انظر امرأة هذا مُعَاذَة، فادفعها إليه، فأتاه كتاب النبي ﷺ، فقرأ عليه، فقال لها: يا مُعَاذَة، هذا كتاب النبي ﷺ فيك، فأنا دافعك إليه، قالت: خذ لي عليه العهد والميثاق وذمة نبيه: لا يعاقبني فيما صنعت، فأخذ لها ذاك عليه، ودفعها مطَّرفُ إليه، فأنشأ يقول:

[بحر الطويل]

لَعَمْرُكَ مَا حُبِّي مُعَاذَةً بِالَّذِي يُغَيِّرُهُ الْوَاشِي وَلَا قِدَمُ الْعَهْدِ
وَلَا سُوءُ مَا جَاءَتْ بِهِ إِذْ أَرَاهَا غَوَاةَ الرِّجَالِ، إِذْ يُنَاجُونَهَا بَعْدِي^(١)

- وروى ابن سعد^(٢) في طبقاته من طريق علي بن زيد^(٣) عن الحسن البصري مرسلاً، أن رسول الله ﷺ قال: «كَفَى بِالْإِسْلَامِ وَالشَّيْبِ لِلْمَرْءِ نَاهِيًا». فقال أبو بكرٍ رضي الله عنه: يا رسول الله! إنما قال الشاعر: كفى الشَّيْبُ وَالْإِسْلَامُ لِلْمَرْءِ نَاهِيًا. ورسول الله ﷺ يقول:

(١) مسند أحمد بن حنبل، مسند عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه، ٤٨١/١١ - ٤٨٣ (٦٨٨٦). قال الهيثمي: «رواه عبد الله بن أحمد، والطبراني، وفيه جماعة لم أعرفهم» مجمع الزوائد ٣٣١/٤.

(٢) ابن سعد: محمد بن سعد بن منيع أبو عبد الله مولى بني هاشم، وهو كاتب الواقدي، كان من أهل الفضل، كثير العلم، كثير الحديث والرواية، صنف كتاباً كبيراً في طبقات الصحابة والتابعين والخلفاء إلى وقته، فأجاد فيه وأحسن، سمع من: سفيان بن عيينة، وإسماعيل ابن علية وغيرهم، من مصنفاته (الطبقات الكبير)، و(الطبقات الصغير). توفي ببغداد سنة ٢٣٠هـ، ودفن في مقبرة باب الشام. انظر: تاريخ بغداد ٢٦٦/٣، وفيات الأعيان ٣٥١/٤.

(٣) علي بن زيد بن عبد الله القرشي البصري، سمع أنساً رضي الله عنه وأبا عثمان وسعيد بن المسيب ويوسف بن مهران. ضعَّفه ابن عيينة، وقال حماد بن زيد: «كان يُقْلِبُ الأحاديث»، وقال أحمد ويحيى: «ليس بشيء» وقال البخاري، وأبو حاتم: «لا يحتج به». ت ١٣١هـ. انظر: التاريخ الكبير ٢٧٥/٦، الضعفاء والمتروكون ١٩٣/٢، ميزان الاعتدال ١٢٨/٣.

«كفى بالإسلام والشَّيبَ لِلْمَرْءِ نَاهِيًّا». فقال أبو بكر رضي الله عنه: أشهد أنك رسول الله، ما علّمك الشعر وما ينبغي لك! ^(١)

وهذا من شعر سُحَيْم عبد بني الحسحاس ^(٢)، في قصيدته التي أولها:

[بجر الطويل]

ودّع سُلَيْمَى إن تَجَهَّرْتَ غَادِيًّا كَفَى الشَّيْبُ وَالْإِسْلَامُ لِلْمَرْءِ نَاهِيًّا ^(٣)

وقد تمثّل صلى الله عليه وسلم شطره الثاني، وقَدَّمَ الإسلام على الشَّيب، فلعلّه رأى أنَّ هذا هو الأفضل لمواقع الألفاظ في سياق البيت، حتى يتناسب مع مراده حين تمثّل به.

وبعد أن استعرضت الأبيات التي تمثّلها النبي صلى الله عليه وسلم في المطلب السَّابق، نلاحظ أنه في غالب تلك الأبيات أجرى تغييراً؛ إما بقول البيت مُختَصِراً بإنشاد أحدِ المصراعين، كما هو الحال في قوله: «ألا كلُّ شيءٍ ما خلا الله باطلٌ»، أو بإنشاد جزءٍ من المصراع أحياناً؛ كقوله: «نُفَلِّقُ هَاماً»، أو أنه صلى الله عليه وسلم كان حين ينشد البيت كاملاً بمصراعيه يُخلُّ ببنيته الشعرية؛ فيُنشده منكسراً بتقديم أو تأخير ونحو ذلك، ومثال ذلك قوله صلى الله عليه وسلم للعباس بن مرداس:

(١) الطبقات الكبرى ٢٩٠/١، تفسير البغوي ٢١/٤، تفسير ابن كثير ٥٢٣/٦، إسناده ضعيف، لإضعف علي بن زيد، ولعله الإرسال. قال ابن حجر: «هو مع إرساله فيه ضعف». التلخيص الحبير ٢٧٥/٣.

(٢) سُحَيْم: عبدُ بني الحسحاس بن هند من بني أسد بن خزيمه، كان عبداً أسود نوبياً أعجمياً، وكان ينطقُ العربيةً بلكنةً نوبية، لكنه أوتيَ ملكةَ الشعر، فهو شاعرٌ مُخَضَّرٌ شهدَ الجاهلية والإسلام، قُتِلَ في ٤٠ هـ وقيل قبل ذلك، وقد قيل في مقتله أنه قُتِلَ لتشبيبه بنساء أسياده. انظر: الإصابة ٢٠٧/٣، المؤلف والمختلف للدارقطني ٩١٨/٢-٩١٩، سير أعلام النبلاء ٥٤٠/٢.

(٣) ديوان سُحَيْم ص ١٦، مغني اللبيب ١٤٤/١-١٤٥، خزانة الأدب ٢٦٧/١، وروي أنه أنشدَ عمر بن الخطاب هذا البيت فقال له عُمر رضي الله عنه: «حسبك، صدقت صدقت»، انظر: جامع معمر بن راشد ٢٦١/١١، الأدب المفرد ص ٤٢٤.

«أنت القائل: أتجعلُ نهي وَهَبِ العُبَيْدِ بين الأقرعِ وعُيَيْنَةَ؟». يقول ابن كثير: «وردَّ أَنَّهُ ﷺ لَا يَحْفَظُ بَيْتًا عَلَى وَزْنٍ مُنْتَظَمٍ، بَلْ إِنْ أَنشَدَهُ زَحَفَهُ أَوْ لَمْ يُتِمَّهُ»^(١).

ويبرز السؤال هنا، هل كان إنشادُ النبي ﷺ للأبيات على هذا النحو، عن قصدٍ منه وَتَعَمُّدٍ، أم كان عن غير قصدٍ؟ وبعبارةٍ أخرى هل كان النبي ﷺ يُحَسِّنُ الشَّعْرَ ولكنه لا يتعاطاه^(٢) امتثالاً لأمرِ الله تعالى، بتحريمه عليه؟، أم أَنَّهُ كان لا يُحَسِّنُهُ ولا يَمْلِكُ المقدرة على قوله تاماً صحيحاً؟

ذَهَبَ البعضُ إِلَى أَنَّ النبي ﷺ كان يُحَسِّنُ الشَّعْرَ، وَلَكِنَّهُ امتنعَ عن قوله عملاً بأمرِ الله تعالى في تحريمه عليه، وممن قال ذلك محمد بن إبراهيم الكِنَاني^(٣)، وتقي الدين المقرئ^(٤)^(٥). ولو فرضنا صِحَّةَ هذا القول، للزَمَ منه أَنَّ تغييره للبيت كانَ عَمْدًا، فَعِلِمَهُ بأوزان الشعر وأعاريضه أَمَكَّتَهُ من إحداثِ تغييرٍ من شأنه أن يُخِلَّ بوزن البيت فيكسره.

(١) تفسير ابن كثير ٥٢٣/٦.

(٢) ويُحَسِّنُ الشَّعْرَ: أي يأتي به موزوناً قصداً، ولكنه كان لا يتعاطاه: أي لا يقصد الإتيان به موزوناً. إنسان العيون في سيرة الأئمة المأمون (السيرة الحلبية) ٩٧/٢.

(٣) الكِنَاني: محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة قاضي القضاة شيخ الإسلام بدر الدين أبو عبد الله الكِنَاني الحموي الشافعي المفسر، كان قوي المشاركة في علم الحديث والفقه والأصول، خطيباً ذا تعبد وأوراد، وله تصانيف منها (المنهل الروي في الحديث النبوي)، و(تحرير الأحكام في تدبير أهل الإسلام). توفي -رحمه الله- سنة ٧٣٣هـ. انظر: طبقات الشافعية ١٣٩/٩، لحظ الألاحظ ص ٧٣.

(٤) تقي الدين المقرئ: أحمد بن علي بن عبد القادر الشيخ الإمام البار، عُمدَةُ المؤرخين، وعين المحدثين، تقي الدين المقرئ، البعلبكي الأصل. تفقه وبرع، وصنَّفَ التصانيف المفيدة النافعة الجامعة لكل علم، وكان ضابطاً مؤرخاً، محدثاً. ولي حسبة القاهرة أكثر من مرة. من مصنفاته (إمتاع الأسماع في ما للنبي ﷺ من الحفدة والمتاع)، و(الخبر عن البشر) وغيرها. كانت وفاته سنة ٨٤٥هـ. انظر: الضوء اللامع ٢/٢١، البدر الطالع ١/٧٩.

(٥) انظر: إمتاع الأسماع ١٣/٩٤-٩٥.

ويُردُّ على ذلك بأمرين، الأول: أنَّه ﷺ روي عنه في بعض الأحيان أنه تمثَّلَ بأبياتٍ مستقيمة تامة، ولم يُجرِ عليها أيَّ تغير، كقوله:

هَذَا الْحِمَالُ لَا حِمَالُ خَيْرِ هَذَا أَبْرُ رَبَّنَا وَأَطْهَرِ

والثاني: أنَّ كَسَرَ البيتِ لا يستلزمُ علَمَ الشعرِ بأعاريضه وأوزانه، فذلك سهلٌ، مُيسَّرٌ للجميع؛ فتغيير حركةٍ أو حرفٍ في البيتِ مِنْ شَأْنِهَا أَنْ تَكْسِرَ وزنه في الغالب. والله أعلم.

وذهب أغلبُ العلماء إلى أنَّ النبي ﷺ لم يكن يُحَسِّنُ الشَّعْرَ، ولا يَمْتَنِعُ مِنْ ذلك تحريمه عليه وإن لم يُحَسِّنْهُ؛ ويكونُ المراد حينئذٍ تحريمُ التوصلِ إليه، وممن قال بذلك الإمام النووي والإمام الرافعي والإمام البغوي^(١) -رحمهم الله-.

وأرى أن عدمَ إحسانه للشعر هو الأصح؛ ويُؤيدُ هذا الرأي قول النبي ﷺ لأبي بكر حين راجعه في صحة بيت العباس بن مرداس، وأنشده البيتَ على صورته دون تقديم الأقرع على عينية.

فقال له النبي ﷺ: «سواء هما، ما يضرُّك بأيُّهما بدأت: بالأقرع، أم عينة»^(٢)، فهذا يعني أنه عليه الصلاة والسلام كان يَعْرِفُ مِنَ الشَّعْرِ ما اشتهر تداوله بين الناس، لكنه لا دراية له بِعِلْمِ الشعرِ، فيُخطئُ أحياناً دون أن يرى أنَّ تغيير البيت، يؤثِّرُ أو يضرُّ بنظمه.

ولا يُعدُّ هذا عيباً في بلاغته ﷺ، ولا بفصاحته، فالشَّعْرُ بالإضافة إلى كونه ملكةً وموهبةً، هو علَمٌ له قواعد وأسس ينبغي على قائله أن يُتَقَنَّها وأن لا يَخْرُجَ عنها. فليس من الضرورة على كل من كان فصيحاً وبليغاً، أن يُحَسِّنَ قولَ الشَّعْرِ.

(١) انظر: روضة الطالبين ٣/٤٩٩، شرح السنة للبغوي ١٢/٣٧٢، روح البيان ٧/٤٣١.

(٢) دلائل النبوة للبيهقي ٥/١٨١-١٨٢، كشف المشكل من حديث الصحيحين ٢/٤٧.

ومن خلال ما ورد في هذا الفصل نستطيعُ الخُلوصَ إلى بعضِ النتائج:

١. كان اهتمامُ النبي ﷺ بالشَّعرِ اهتماماً موضوعياً، نابِغاً مما تحمله معانيه، حيثُ كان ﷺ يهتمُّ بتحريرِ معنى البيتِ دونَ كيفيةِ تأديته.
٢. كان الغالبُ على النبي ﷺ أنه لا يقول بيتاً من الشَّعرِ على وزنٍ منتظم، بل كان إذا أنشده زَحَفَهُ أو لم يُتمه.
٣. لم يمتنع النبي ﷺ أن يُنشِدَ بيتاً تاماً من غيرِ نقصٍ ولا زحافٍ^(١)، وإصابته للوزن لا توجبُ علمه بالشَّعرِ، وكذلك ما يأتي من نشرِ كلامه مما يدخلُ في وزنِ الشَّعرِ.
٤. لم يكن ﷺ ممن يهتمُّون بحفظِ الشَّعرِ وروايته، بل كان بعيداً كلَّ البُعدِ عن ذلك، ولو كان جريان أبياتٍ يسيرةٍ على لسانه يَصِّحُّ أن يكونَ ذريعةً لاثامه بقول الشَّعرِ، لما قصرَ أعداؤه في ذلك، وهم أهلُ الفصاحةِ والبلاغةِ، ولما ادَّخروا وسيلةً يستطيعون بها تكذيبه والتَّشكيكَ به إلا وفعلوها، ولكن الواقعُ يشهدُ أنهم إنما اتهموه بالشَّعرِ، بسببِ نظم القرآن، وإبطالاً لفكرةِ الوحي والرسالة.

(١) لكنَّه لم يرد عنه أنَّه أنشد بيتين متتابعين تامين موزونين.

الفصل الثالث

الأغراض الشعريّة في ظلّ السُّنة النبوية.

ويتضمّن خمسة مباحث:

- المبحث الأول: المدح في السُّنة النبوية.
- المبحث الثاني: الهجاء في السُّنة النبوية.
- المبحث الثالث: الغزل في السُّنة النبوية.
- المبحث الرابع: الرِّثاء في السُّنة النبوية.
- المبحث الخامس: أغراض شعرية أُخرى في السُّنة النبوية.

الفصل الثالث

الأغراض الشعرية في ظلّ السُّنة النبوية.

أغراض الشعر، هي الموضوعات والمعاني التي يتناولها الشعراء في قصائدهم، وقد تعددت هذه الأغراض وتنوعت بتنوع دوافع الشعراء ومُتطلّبات حياتهم ونواحيها، فيجِدُ الدّارس للشعر العربي أنّ أغراضه دارت في معانٍ مختلفة، كالمديح والهجاء والغزل والرّثاء وغيرها من المواضيع التي طرقها الشعراء في قصائدهم.

وعندما جاء الإسلام بتعاليمه التي تشمل كل ألوان الحياة، كان لا بد أن يلتزم الشعراء المسلمون بقوانين الدّين الجديد وينظّمه، فتوجّهوا بأغراضهم الشعرية نحو تلك الحياة الجديدة، بعد أن طرّحوا منها ما يتنافى مع مبادئ وأخلاقيات المجتمع الإسلامي، فهجروا بعض الأغراض التي نهى الإسلام عنها كوصف الخمر ومجالس اللهو والغزل الماجن، وحافظوا على أغلبية الأغراض الجاهلية مع مراعاة تهذيب الإسلام لها وتقبيده لبعضها. ولعلّ هذا التّغير الذي مَسَّ الأغراض الشعرية كان يعكس الأثر الكبير الذي أحدثته الإسلام في المجتمع العربي، مرّقياً به نحو أسمى صورة عرفت بها البشرية.

وكان لا بد لإيفاء البحث حقه من إفراد الأغراض الشعرية الأساسية كالمديح والهجاء والرّثاء والغزل بمباحث مستقلة، تعرضت في كلّ منها لتأصيل الغرض الشعري في الجاهلية، ثم بيان موقف السُّنة النبوية منه، وتأثير تعاليمها في استعماله. ثم جمعت في المبحث الأخير أغراضاً شعرية متفرقة، استعملت في العصر النبوي، وأقرتها السُّنة النبوية الشريفة.

المبحث الأول

المدح في السُّنة النبوية.

وفيه ثلاثة مطالب:

- المطلب الأول: تعريف المدح وأهميته في شعر الجاهلية.
- المطلب الثاني: ضوابط المدح في السُّنة النبوية.
- المطلب الثالث: شعر المدح في عصر النبوة.

➤ المبحث الأول: المدح في السّنة النبوية:

يُعَدُّ المدح من الأغراض الرئيسية التي عُرِفَتْ في الشّعر العربي القديم، وله قيمة أدبية واجتماعية كبيرة؛ إذ إنّه من آنس الفنون للعاطفة الإنسانية وأقربها، فالكلمة الطيبة تحمّل سِحراً يستميل القلوب ويبدّل النفوس.

• المطلب الأول: تعريف المدح وأهميته في شعر الجاهلية:

المدح في اللغة: نقيض الهجاء، وهو حُسْنُ الثّناء^(١).

أمّا اصطلاحاً فالمدح: هو تعداد لجميل المزايا، ووصف للشّمائل الكريمة، وإظهار للتقدير العظيم الذي يُكِنُّه الشّاعر لمن توافرت فيهم تلك المزايا^(٢).

والمدح من الأغراض الشعرية الأساسية التي تناولتها القصيدة العربية في الجاهلية، وهو من الفنون التي ظهرت في أشعار الجاهليين مبكراً، فكان في بداية الأمر فناً راقياً يندفع إليه الشّعراء، تعبيراً عن إعجابهم بالشّمائل والأخلاق، كالعقل والشّجاعة والعدل والعفة وغيرها من القيم الإنسانية النبيلة^(٣).

فكان الشّعراء يمدحون إشادةً بعظيم، أو إعجاباً وإكباراً لعمل جليل، أو اعترافاً بصنع جميل^(٤)، ومثال ذلك: الأبيات التي امتدح بها زهير بن أبي سلمى^(٥) رجلين كانا من قبيلتي عبس وذبيان، لما قدّماه من التوسط بين القبيلتين لوقف نار الحرب بينهما (حرب داحس والغبراء) التي استمرت أربعين عاماً، ولما تحمّلا من أعباء هذه الحرب بأموالهما في دماء

(١) لسان العرب، مادة (مدح) ٥٨٩/٢، تاج العروس مادة (مدح) ١١١/٧.

(٢) المعجم الأدبي ص ٢٤٥.

(٣) انظر: تاريخ الأدب العربي/ العصر الجاهلي ص ٢١٠، في تاريخ الأدب الجاهلي ص ٣٩٣.

(٤) في تاريخ الأدب الجاهلي ص ٣٨٢.

(٥) هو زهير بن ربيعة بن قرط، واسم أبي سلمى ربيعة بن رياح ابن قرط، شاعر جاهلي مجيد لم يُدرِك الإسلام، وأدركه ابنه كعب وبجير، هو حكيم الشعراء، في الجاهلية، وهو أحد الثلاثة المقدّمين على سائر الشعراء. انظر: طبقات فحول الشعراء ٥١/١، الشّعر والشّعراء ١٣٧/١-١٤١.

القتلى، فقد أعجب بهما وتأثر بمساعييهما الحميدة، فهاجت قريحته فمدحهما بمدائح رائعة، منها قوله:

[بحر الطويل]

يَمِيناً لَنِعَمِ السَّيْدَانِ وَجِدْتُمَا عَلَى كُلِّ حَالٍ مِنْ سَحِيلٍ وَمِيزَمٍ^(١)
تَدَارَكْتُمَا عَبَساً وَذِيَّانَ بَعْدَمَا تَفَانُوا وَدُقُّوا بَيْنَهُم عَطَرَ مَنْشَمٍ^(٢)

ولعلَّ أبرزَ صور المدح في الحياة الجاهلية القبليَّة، هي مدحُ الشاعر لسادات القبيلة وفرسانها، بالإشادة بحسبهم ونسبهم، وتعداد مناقبهم والتغني بفضائلهم وبطولاتهم.

يصفُ شوقي ضيف^(٣) شعر المدح في الجاهلية فيقول: «كان عندهم مديح واسع يتمدَّحون فيه بمناقب قبائلهم وسادَّتها، وكانوا كثيراً ما يمدحون القبيلة التي يجدون فيها كرم

(١) السحيل، هو المفتول على قوة واحدة. الميزم، هو المفتول على قوتين أو أكثر، ثم يستعار السحيل للضعيف والميزم للقوي. ومعنى البيت أي: حلفت حلفاً، نعم السيدان وجدتما على كل حال ضعيفة وحال قوية، لقد وجدتما كاملين مستوفيين لخلال الشرف في حال يحتاج فيها إلى ممارسة الشدائد وحال يفتقر فيها إلى معاناة النوائب، وأراد بالسيدان هرم بن سنان والحارث بن عوف، مدحهما لإتمامهما الصلح بين عبس وذييان وتحملهما أعباء ديات القتلى. شرح المعلقات السبع للزوزني ص ١٣٩

(٢) التدارك، هو التلافي. التفاني، هو التشارك في الفناء. منشم، قيل فيه: إنه اسم امرأة عطارة اشترى قوم منها جفنة من العطر وتعاقدوا وتحالفوا وجعلوا آية الحلف غمسهم الأيدي في ذلك العطر، فقاتلوا العدو الذي تحالفوا على قتاله فقتلوا عن آخرهم، فَتَطَيَّرَ العرب بعطر منشم وسار المثل به، وقيل: بل كان عطاراً يشتري منه ما يحتطُّ به الموتى فسار المثل بعطره.

ومعنى البيت: تلافيتما أمر هاتين القبيلتين بعدما أفنى القتال رجالهما وبعد دقهم عطر هذه المرأة أي بعد إتيان القتال على آخرهم كما أتى على آخر المتعطين بعطر منشم. شرح المعلقات السبع للزوزني ص ١٣٩-١٤٠.

والأبيات في ديوان زهير بن أبي سلمى ص ١٠٥-١٠٦.

(٣) شوقي ضيف: أحمد شوقي عبد السلام ضيف الشهير بشوقي ضيف، أديبٌ وعالمٌ لغوي مصري معاصر، وقد كان الرئيس السابق لجمع اللغة العربية المصري، يُعدُّ علامة من علامات الثقافة العربية، ألفَ عدداً من الكتب في مجالات الأدب العربي، بلغت مؤلفاته الخمسين مؤلفاً، منها: (سلسلة تاريخ الأدب العربي) وهي من أشهر ما كتب، وكتاب (تجديد النحو) وغيره. نال عدداً من الجوائز العلمية، وتوفي عن عمرٍ يُناهز ٩٥ عاماً، سنة ٢٠٠٥م.

www.ar.wikipedia.org

الجوارِ مُتَحَدِّثِينَ عَنْ عِزَّتِهَا وَإِبَائِهَا وَشَجَاعَةِ أُنْبَائِهَا وَمَا فِيهِمْ مِنْ فَتْكِ بَأْعَدَائِهِمْ وَإِكْرَامٍ لَضِيُوفِهِمْ وَرِعَايَةِ لِحَقُوقِ حِيرَانِهِمْ»^(١).

إلا إنه وفي أواخر العصر الجاهلي، راح الشعراء يتخذون من المديح وسيلةً للتكسب^(٢)، فجرت العادة بمدح ذوي السلطة والقوة والمال، حتى تُنال الرغائب فيما عندهم، فكانوا يقدمون على مدح ملوك المناذرة والغساسنة، وكل من كانت له سيادة وسلطة؛ طمعاً بجوائزهم وعطاياهم الجزيلة.

يقول القيرواني^(٣): «وكانت العرب لا تتكسب بالشعر، وإنما يصنع أحدهم ما يصنعه فُكَاهَةٌ أو مُكَافَأَةٌ عن يدٍ لا يَسْتَطِيعُ أداءَ حَقِّهَا إِلَّا بِالشُّكْرِ إعْظَاماً لَهَا،.... حتى نشأ النابغة الذبياني^(٤) فمدح الملوك، وقيل الصلة على الشعر، وخضع للنعمان بن المنذر فسقطت منزلته»^(٥).

(١) تاريخ الأدب العربي/العصر الجاهلي، ص ٢١٠.

(٢) المرجع السابق ص ٢١١.

(٣) هو الحسن بن رشيق القيرواني، أبو علي، أديب نقاد، باحث. كان أبوه رومياً من موالي الأزد. ولد في المسيلة بالمغرب، وتعلم الصياغة، ثم مال إلى الأدب وقال الشعر، رحل إلى القيروان ومدح ملكها واشتهر فيها. ثم حدثت فتنة فانتقل إلى جزيرة صقلية وأقام بمازر إلى أن توفي. من كتبه (العمدة في محاسن الشعر وآدابه) و(تاريخ القيروان) و(المساوي) في السرقات الشعرية. توفي سنة ٤٦٣ هـ. انظر: معجم الأدباء ٨٦٥/٢، ٨٦١، سير أعلام النبلاء ٣٢٤/١٨-٣٢٥.

(٤) هو زياد بن معاوية بن ضباب بن جابر ويصل نسبه لسعد بن ذبيان من بني مرة بن عوف، ويكنى أبا أمامة، ويُقال أبا ثمامة، وقد لُقّب بالنابغة لأنه نَبَغَ بالشعر، وذكر ابن قتيبة أنه لُقّب بالنابغة لقوله:

وَحَلَّتْ فِي بَنِي الْقَيْنِ بَن جَسْرٍ فَقَدْ نَبَغَتْ لَهُمْ مَنَا شُؤُونِ

كان النابغة معزّزاً عند الملوك، ومكرماً في قومه، نال حظوة كبيرة عند النعمان الذي قرّبه إليه بعد أن أحسن وفادته، ولا شك أن الشاعر نزل من نفس الملك منزلة طيبة فأثره بأجزل عطاياها وأوفر نعمه، مما لم ينله شاعر قبله، ويذكر أبو الفرج في أغانيه أن النابغة كان يأكل ويشرب في آنية من الفضة والذهب. انظر: طبقات فحول الشعراء ٥١/١، الشعر والشعراء ١٥٦-١٧٠.

(٥) العمدة ٨٠/١.

واشْتَهَرَ بِأَخْذِ الْعَطَاءِ عَلَى الْمَدْحِ: زُهَيْرُ بْنُ أَبِي سَلْمَى وَالنَّابِغَةُ الذُّبْيَانِي وَحَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ. أَمَّا زُهَيْرٌ فَاصْتَخَصَ بِأَشْرَافِ قَوْمِهِ، وَأَمَّا حَسَّانٌ فَاصْتَخَصَ بِالْعَسَاسَةِ، وَأَمَّا النَّابِغَةُ فَاصْخَصَ النُّعْمَانُ بْنُ الْمَنْذَرِ^(١) بِمَدَائِحِهِ، ثُمَّ انْتَهَى هَذَا الْفَنُّ مِنْ فُنُونِ الشُّعْرِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ إِلَى الْأَعَشَى^(٢) الَّذِي جَعَلَ الشُّعْرَ حِرْفَةً خَالِصَةً لِلْمَنَالَةِ وَالتَّكْسُبِ؛ إِذْ لَمْ يَتْرِكْ مُلْكًا وَلَا سَيِّدًا مَشْهُورًا فِي أَنْحَاءِ الْجَزِيرَةِ إِلَّا قَصْدَهُ وَمَدْحَهُ وَفَحْمَ مِنْ شَأْنِهِ مَعْرُضًا بِالسُّؤَالِ^(٣).
وَالْمُخْتَصَرُّ مِنْ ذَلِكَ، أَنَّ غَالِبَ شُعْرِ الْمَدْحِ فِي عَصْرِ الْجَاهِلِيَّةِ كَانَ يَدُورُ بَيْنَ التَّعْصُبِ وَالتَّكْسُبِ.

وهنا يبرز السؤال الهام عن كيفية تعامل الإسلام مع المدح كغرضٍ شعريٍّ أساسيٍّ من أغراض الشعر العربي، وهو ما سنبحثه في المطلب الآتي.

• المطلب الثاني: ضوابط المدح في السنة النبوية:

لم تحفَ على النبي ﷺ قيمة المدح، وأثره في شيوع المحبة والألفة في المجتمع، فلم يمنعه، بل ضبطه ووجهه الوجهة الصحيحة التي يكون فيها ملتزمًا بقيم الصدق، بعيداً عن ما يوقع في الإثم.

(١) النعمان بن المنذر بن امرئ القيس اللخمي، الملقب بأبي قابوس، من أشهر ملوك المناذرة قبل الإسلام، كان داهيةً مقداماً، كان ممدوح حسان بن ثابت والنابغة الذبياني وحاتم الطائي، ملك الحيرة إرثاً عن أبيه، واستمر ملكاً عليها حتى نقم عليه كسرى (أبرويز) لأمره، فعزله ونفاه إلى خانقين فسجن فيها إلى أن مات، وقيل ألقاه تحت أرجل الفيلة فوطئته فهلك. توفي ٦٠٨ م. انظر: تاريخ ابن خلدون ٣١٨/٢، الأعلام ٤٣/٨.

(٢) الأعشى: أبو بصير، ميمون بن قيس بن جندل بن قيس بن ثعلبة الوائلي، المعروف بـ(أعشى قيس)، و(الأعشى الكبير)، من شعراء الطبقة الأولى في الجاهلية، لُقِّبَ بالأعشى لأنه كان ضعيف البصر، كان كثير الوفود على الملوك من العرب والفرس، عاشَ عمراً طويلاً وأدرك الإسلام ولم يُسلم؛ لما علمه من تحريم الخمر والزنا في الإسلام، عمي في آخر عمره، وتوفي سنة ٦٢٩ م في اليمامة. انظر: الشعر والشعراء ٢٥٠/١، الأعلام ٣٤١/٧.

(٣) انظر: العمدة ٨٠/٢، تاريخ الأدب العربي/ العصر الجاهلي، ص ٢١١-٢١٢.

يلحظُ الْمُطَّلِعُ على الأحاديثِ الواردة في المدح، أنَّها ليست مخصوصةً بالشَّعر، بل هي عامةٌ تشملُ النثر والشَّعر في آنٍ واحد، وليسَ في ذلك بأس، فما الشَّعر إلا كما قال ﷺ: «الشَّعر بمنزلةِ الكلام، فَحَسَنُهُ كَحَسَنِ الْكَلَامِ، وَقَبِيحُهُ كَقَبِيحِ الْكَلَامِ»^(١).

ولتحصيل الهدف من هذا المطلب وهو الخلوص إلى الضوابط التي وضعتها السُّنة النبوية للمدح، لا بُدَّ أولاً من بيان المنهج النبوي في قبول المدح ورفضه، عن طريق عرض الأحاديث الواردة في إباحة المدح والنهي عنه والتوفيق بينها.

أولاً - أحاديث إباحة المدح:

وَرَدَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَحَادِيثٌ تُدَلُّ فِي مَعْنَاهَا عَلَى إِبَاحَةِ الْمَدْحِ مِنْهَا: مَا أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ عَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قِيلَ لِرَسُولِ ﷺ: أَرَأَيْتَ الرَّجُلَ يَعْمَلُ الْعَمَلَ مِنَ الْخَيْرِ، وَيَحْمَدُهُ النَّاسُ عَلَيْهِ؟ قَالَ: «تِلْكَ عَاجِلُ بُشْرَى الْمُؤْمِنِ»^(٢).

قال الطيبي^(٣): «ذلك عاجلُ بشرى المؤمن، يعني هو في عمله ذلك ليس مُرائياً، فيُعْطِيهِ اللهُ ثَوَابَيْنِ؛ فِي الدُّنْيَا وَهُوَ حَمْدُ النَّاسِ لَهُ، وَفِي الْآخِرَةِ مَا أَعَدَّ اللهُ لَهُ»^(٤).
فإن كان حمدُ الناس له وثناؤهم عليه من غير طلبٍ منه ولا تَعَرُّضٍ^(٥)، فحينئذٍ يكونُ عمله بعيداً عن الرياء، محموداً من الله ثم من عباده.

(١) سبق تخريج الحديث انظر: ص ٦٧.

(٢) صحيح مسلم، في البر والصلة والآداب، باب إذا أُثِّني على الصالح فهي بشرى ولا تضره، ٢٠٤٣/٤ (٢٦٤٢).

(٣) الطيبي: الحسين بن محمد بن عبد الله، شرف الدين الطيبي، من علماء الحديث والتفسير والبيان، من أهل توريث، كانت له ثروة طائلة من الإرث والتجارة، فأنفقها في وجوه الخير، حتى افتقر في آخر عمره، وكان شديد الرد على المبتدعة، ملازماً لتعليم الطلبة والإنفاق على ذوي الحاجة منهم، آية في استخراج الدقائق من الكتاب والسنة، من تصانيفه: شرح الكشاف والذي سماه (فتوح الغيب في الكشف عن قناع الغيب) و(الخلاصة في معرفة الحديث) و(البيان والتبيين) وغيرها من الكتب. توفي سنة ٧٤٣هـ. الدرر الكامنة ١٨٥/٢-١٨٦، البدر الطالع ٢٢٩/١.

(٤) الكاشف عن حقائق السنن ٣٣٧١/١١.

(٥) انظر: إكمال إكمال المعلم ٧٤/٧.

ووردَ عن ابنِ عباسٍ رضي الله عنه أَنَّهُ قال: قالَ رسولُ اللَّهِ ﷺ: «أهلُ الجنَّةِ من مَلَأَ اللَّهُ أُذُنِيهِ من ثناءِ النَّاسِ خيراً، وهو يَسْمَعُ، وأهلُ النَّارِ من مَلَأَ اللَّهُ أُذُنِيهِ من ثناءِ ^(١) النَّاسِ شَرّاً وهو يَسْمَعُ» ^(٢).

يبيِّنُ هذا الحديثُ أهميةَ الثناءِ الحَسَنِ، وأثره البالغُ في التشجيعِ على أعمالِ الخيرِ والاستزادةِ منها، فَمَنْ أَكثَرَ فعلَ الخيرِ حتى صار يُعرفُ به، أطلقَ اللَّهُ ألسنةَ العبادِ بالثناءِ عليه، حتى إِنَّهُ يَسْمَعُ مدحه وثناءَ النَّاسِ عليه بنفسه لا على جهةِ البلاغِ من الغير ^(٣).

ومن صورِ المدحِ التي أوصى النَّبِيُّ ﷺ بها، الدُّعاءُ لصانعِ المعروف، فقال ﷺ: «من صُنِعَ إليه معروفٌ فقال لِفَاعِلِهِ: جزاك اللهُ خيراً فقد أبلغَ في الثناءِ» ^(٤).

هذا الحديثُ يبيِّنُ أَنَّ الثَّناءَ عَلَى من أسدى معروفاً مندوباً شرعاً؛ لِمَا فيه من مقابلةِ الإحسانِ والمَعروفِ بالكلمةِ الطيبةِ، وَلَيْسَ أَجْزَلَ ثناءً من أن يَطْلُبَ المُعْطَى من اللَّهِ تعالى أن يتولَّى بكرمه جزاءَ صاحبِ المعروف ^(٥)، إضافةً إلى أَنَّ في قولِ المادِحِ لِمَنْ أَدَّى له معروفًا (جزاك اللهُ خيراً)، اعترافٌ منه بالتقصيرِ والعجزِ عن جزائه ففَوَّضَ جزاءه إلى اللَّهِ ليجزيه الجزاءَ الأوفى، فإن قَصُرَتِ اليدُ بالمكافأةِ، فليطِلِ اللِّسانُ بالشُّكرِ والدُّعاءِ ^(٦).

(١) استعمال الثناء في الشر من مجاز المشاكلة. التنوير شرح الجامع الصغير ٢٩٧/٤.

(٢) سنن ابن ماجه، في الزُّهد، باب الثَّناءِ الحَسَنِ ١٤١٢/٢ (٤٢٢٤). قال البوصيري أن إسناده صحيح ورجاله ثقات. مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه ٢٤٣/٤، ورواه أبو نعيم في الحلية وقال عنه: غريبٌ من حديثِ أبي الجوزاء، لم يرفعه ولم يُسنده إلا مسلم عن أبي هلال. حلية الأولياء ٨٠/٣.

(٣) انظر: التنوير شرح الجامع الصغير ٢٩٧/٤.

(٤) سنن الترمذي، في أبواب ما جاء في البر والصلة، باب ما جاء في المتشبع بما لم يعطه، عن أسامة بن زيد رضي الله عنه ٤٤٨/٣ (٢٠٣٥)، وقال الترمذي: «هذا حديث حسن جيد غريب، لا نعرفه من حديث أسامة بن زيد إلا من هذا الوجه وقد روي عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ بمثله، وسألت محمداً فلم يعرفه».

(٥) رسالة ماجستير بعنوان: المدح في السنة النبوية ص ١٢٤.

(٦) انظر: التيسير بشرح الجامع الصغير ٤٢٨/٢، تحفة الأحوذى ١٥٦/٦.

وليس أكثر دلالة على هذا المعنى من ردّ النبي ﷺ على المهاجرين حين أتوه قائلين: يا رسول الله، ما رأينا قوماً أبذل من كثيرٍ ولا أحسن مَؤاساةً من قليلٍ، من قومٍ نزلنا بين أظهرهم، لقد كفّونا المؤنةَ وأشركونا في المَهنةِ حتى لقد خفنا أن يذهبوا بالأجرِ كُلِّه. فقال لهم النبي ﷺ: «لا ما دَعَوْتُمُ اللهَ لَهُمْ وَأَنْتُمْ عَلَيْهِمْ»^(١).

ثانياً- أحاديثُ النهي عن المدح:

وردّ عن النبي ﷺ بمقابلِ الأحاديث التي تُجيزُ المدح، أحاديث أخرى تنهى عنه وتحذّر منه ومن أثره، وأشهر هذه الأحاديث، ما رواه هَمَّامُ بن الحارث^(٢)، أن رجلاً جعل يمدح عثمان، فعمدَ المقداد فجثا على ركبتيه، وكان رجلاً ضَخماً، فجعل يحثو في وجهه الحصباء، فقال له عثمان: ما شأنك؟ فقال: إن رسولَ الله ﷺ قال: «إِذَا رَأَيْتُمُ الْمَدَّاحِينَ فَاحْثُوا»^(٣) في وجوههم التُّراب»^(٤).

أمَّا المَدَّاحُونَ، فهم المُبَالِغُونَ في مدحِ الناس في وجوههم بالباطل^(٥)، قال الخطابي^(٦):

(١) سنن الترمذي، في أبواب صفة القيامة والرقائق والورع، عن أنس بن مالك رضي الله عنه ٦٥٣/٤ (٢٤٨٧). وقال: «هذا حديثٌ حسنٌ صحيحٌ غريبٌ من هذا الوجه».

(٢) هَمَّامُ بن الحارث النَّخعي، سمع من أبي الدرداء وعدي بن حاتم، وجرير بن عبد الله، وعائشة. كان يقول: «اللهم اكفني من نومي بيسير واجعل سهري في طاعتك». فكان لا ينام إلا هنيهة وهو قاعد، قال يحيى بن معين: «همام بن الحارث ثقة». توفي بالكوفة في ولاية الحجاج. انظر: الجرح والتعديل ١٠٧/٩، الطبقات الكبرى ١٧٢/٦-١٧٣.

(٣) احثوا: أي ارموا، يقال حثا حثوا حثوا ويحثي حثياً، يريد به الحية، وألا يعطوا عليه شيئاً، ومنهم من يجريه على ظاهره فيرمي فيها التراب. النهاية ٣٣٩/١، لسان العرب، مادة (حثي) ١٦٤/١٤.

(٤) صحيح مسلم، في الزهد والرقائق، باب النهي عن المدح إذا كان فيه إفراط، وخيف منه فتنة على الممدوح، ٢٢٩٧/٤ (٣٠٠٢).

(٥) انظر: فتح الباري ٤٧٧/١٠، التنوير شرح الجامع الصغير ٧١/٢.

(٦) الخطابي: حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب الخطابي البستي، الأديب والخطابي هذه النسبة إلى جده الخطاب المذكور، وقيل إنه من ذرية زيد بن الخطاب. كان فقيهاً أديباً محدثاً. أقام بنيسابور سنين وحديث بها وكثرت الفوائد من علومه، من تصانيفه (غريب الحديث)، و(معالم السنن في شرح سنن أبي داود)، و(أعلام السنن في شرح البخاري). كانت وفاته سنة ٣٨٨ هـ بمدينة بست. انظر: وفيات الأعيان ٢١٤/٢-٢١٥، تذكرة الحفاظ ١٤٩/٣.

«المداحون هم الذين اتَّخذوا مدح الناس عادةً، وجعلوه بضاعةً يستأكلون به الممدوح ويفتنونه، فأما من مدَّح الرجل على الفعل الحسن والأمر الحمود يكون منه ترغيباً له في أمثاله، وتحريضاً للناس على الاقتداء به في أشباهه، فليس بمداح، وإن كان قد صار مادحاً بما تكلم به من جميل القول فيه»^(١).

وقال المناوي: «وقد عبَّر بصيغة المُبالغة إشارةً إلى أنَّ الكلامَ فيمن تكرر منه المدح حتى اتَّخذ بضاعةً وصناعةً يتأكل بها الناس، وجازف في الأوصاف وأكثر الكذب، والحثي^(٢) كنايةً عن الحرمان والردِّ والتخجيل»^(٣).

فالمدح في هذه الحالة منهِّي عنه، لما فيه من المُبالغة والباطل، ولأن الغاية منه هي تكسب المال، فيكذب المدح على الممدوح بما ليس فيه، ويقوده للاغترار بنفسه، طمعاً أن يتحصَّل منه على العطاء، وهذا مُخالفٌ للهدف الذي وُجد المدح لأجله وهو الترغيب في تنمية الأخلاق الحسنة وشحذ الهمم في عمل الخير^(٤).

وورد في التحذير من التماذح عن معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه، قوله ﷺ: «إياكم والتماذح^(٥) فإنه الذبح»^(٦).

(١) معالم السنن ١١١/٤.

(٢) اختلفت تأويلات العلماء للمراد بكلمة (الحتي) الواردة في الحديث، فحمله البعض على ظاهره، بإلقاء الثراب في وجه المداح حقيقةً (كما فعل المقداد راوي الحديث)، وقال آخرون أن معناه، خيبتهم ولا تعطوهم شيئاً لمدحهم، وقال آخرون إذا مُدِّحتُم فاذكروا أنكم من تراب فتواضعوا ولا تغتروا بأنفسكم. انظر: معالم السنن ١١١/٤، شرح صحيح مسلم للنووي ١٢٨/١٨، فتح الباري ٤٧٨/١٠.

(٣) فيض القدير ١٨٢/١.

(٤) انظر: المدح في السنة النبوية ص ١٥٥.

(٥) كلمة التماذح تدلُّ على المشاركة بين المتماذحين في المدح، فيقال: تماذح الرجلان أي مدح كلٌ منهما الآخر. ويُقال: التماذح التذابح انظر: أساس البلاغة ص ١٩٩/٢، المعجم الوسيط (مدح) ص ٨٥٧.

(٦) سنن ابن ماجه، في الأدب، باب المدح ١٢٣٢/٢ (٣٧٤٣). رجال الإسناد ثقات، إلا معبد الجهني فمختلف فيه، قال البوصيري: «هذا إسناد حسن، معبدٌ مختلف فيه، وباقي رجال الإسناد ثقات». مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه ١١٩/٤. قال ابن المفلح عن إسناده أنه جيد. الآداب الشرعية ٤٣٨/٣.

ينهى رسول الله ﷺ في هذا الحديث عن التماذج؛ لأنه قد يكون سبباً في هلاك صاحبه؛ بسبب ما يُدخل على نفسه من الغرور، وجاء وصف النبي ﷺ للتماذج بالذبح كما قال المناوي: «لما فيه من الآفة في دين المادح والممدوح، وسمّاه ذبحاً، لأنه يُميت القلب، فيخرج من دينه، وفيه ذبح للممدوح؛ فإنه يغتره بأحواله ويُغريه بالعجب، والكبر، ويرى نفسه أهلاً للمدحة، سيما إذا كان من أبناء الدنيا أصحاب النفوس وعبيد الهوى»^(١).

وأخرج أبو داود في باب كراهية التماذج حديثاً عن عبد الله بن الشخير رضي الله عنه أنه قال: انطلقت في وفد بني عامر إلى رسول الله ﷺ فقلنا: أنت سيدنا، فقال: «السيد الله تبارك وتعالى» قلنا: وأفضلنا فضلاً وأعظمنا طولاً^(٢)، فقال: «قولوا بقولكم، أو بعض قولكم، ولا يستحرجنكم الشيطان»^(٣).

كان وفد بني عامر حديثي عهد بالإسلام ومعرفة النبي ﷺ، فدخلوا عليه دخولهم على ساداتهم وعظمائهم، معظمين ومبالغين، فكرة النبي ﷺ مقاتلهم حين قالوا: (أنت سيدنا)، وبادر إلى تعليمهم أن الله تعالى هو السيد، وأن مقامه ﷺ هو مقام النبوة والرسالة، وأمرهم أن يقولوا قولهم دون أن يقعوا بمزالق الشيطان^(٤).

قال الطيبي في معنى قوله ﷺ «قولوا قولكم» يعني: «قولوا هذا القول أو أقل منه، ولا تبالغوا في مدحي، بحيث تمدحوني بشيء يليق بالخالق ولا يليق بي، فأنا أسودكم بالرسالة والنبوة فسموني نبياً ورسولاً»^(٥).

(١) فيض القدير ١٢٩/٣.

(٢) أي عطاءً للأحباء وعلواً عن الأعداء. عون المعبود ١١١/١٣.

(٣) سنن أبي داود، في الأدب، باب في كراهية التماذج، ٢٥٤/٤ (٤٨٠٦) وسكت عنه. وأخرجه أحمد في مسنده، من حديث مطرف بن عبد الله عن أبيه ٢٣٤/٢٦ (١٦٣٠٧). وللحديث شاهد عن الحسن البصري أخرجه علي بن الجعد في مسنده ص ٤٧٣ (٣٢٩٠). قال الشوكاني: إسناده جيد. الفتح الرباني ٣٣٥/١. قال العظيم آبادي: «حديث عبد الله بن الشخير إسناده صحيح». عون المعبود ١١٢/١٣.

(٤) انظر: عون المعبود ١١٢/١٣.

(٥) الكاشف عن حقائق السنن ٣١٤٩/١٠.

أي اقتَصِرُوا على إحدى الكلمتين دون حاجةٍ للمبالغة، وقلوا قولكم الذي جئتم لأجله ودعوا غيره مما لا يعينكم، ولا تتكلفوا كأنكم وكلاءُ الشيطان ورُسُلُه تَنطِقُونَ على لِسَانِهِ^(١).

قال السندي: «لا يستعملنكم الشيطان فيما يُريدُ من التَّعْظِيمِ لِلْمَخْلُوقِ بِمِقْدَارٍ لَا يَجُوزُ»^(٢).

فَمُجْمَلُ الْقَوْلِ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَرَادَ تَوْجِيهِهُمْ لِلْاِقْتِصَادِ فِي الْكَلَامِ عَلَى مَا يُرِيدُونَ دُونَ الْإِفْرَاطِ وَالتَّكْلُفِ فِي مَدْحِهِ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

وقد نهي الرسول ﷺ عن تجاوز الحدِّ في المدح حتى يصلَ إلى حدِّ الإطراء، الذي من شأنه أن يقوِّد الممدوحَ إلى الإعجابِ بنفسه.

فعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: سمع رسول الله ﷺ رجلاً يُثْنِي على رجلٍ، ويُطْرِيهِ^(٣) في مدحه، فقال: «أَهْلَكْتُمْ - أَوْ قَطَعْتُمْ - ظَهَرَ الرَّجُلِ»^(٤).

قال الإمام النووي: «قطعتم ظهرَ الرجلِ معناه أهلكتموه، وهذه استعارةٌ من قطع العُنُقِ الذي هو القتل، لاشتراكهما في الهلاك لكن هلاك هذا الممدوح في دينه، وقد يكون من جهة الدنيا لما يُشْتَبَهُ عليه من حاله بالإعجاب»^(٥).

قال الحافظُ ابن حجر: «حاصلُ النَّهْيِ أَنَّ مَنْ أَفْرَطَ فِي مَدْحِ آخِرٍ بِمَا لَيْسَ فِيهِ لَمْ يَأْمَنْ عَلَى الْمَمْدُوحِ الْعَجَبَ، لِظَنِّهِ أَنَّهُ بَتَلَكَ الْمَنْزِلَةَ، فَرَمَّا ضَيَّعَ الْعَمَلَ وَالْإِزْدِيَادَ مِنَ الْخَيْرِ اتَّكَالاً عَلَى مَا وُصِفَ بِهِ»^(٦).

(١) انظر: عون المعبود ١١١/١٣.

(٢) عون المعبود ١١٢/١٣.

(٣) من الإطراء وهو مجاوزة الحد في المدح والكذب فيه. لسان العرب، مادة (طري) ٦/١٥.

(٤) صحيح البخاري، في الشهادات، باب ما يكره من الإطناب في المدح وليقل ما يعلم ١٧٧/٣ (٢٦٦٣)، صحيح مسلم، في الزُّهْدِ وَالرَّقَائِقِ، باب النهي عن المدح إذا كان فيه إفراط ٢٢٩٧/٤ (٣٠٠١).

(٥) شرح صحيح مسلم للنووي ١٢٧/١٨.

(٦) فتح الباري ٤٧٧/١٠.

ويجب أن يكون المدح صادقاً، نابعاً من رضا المادح عن صديق فعل الممدوح، دون أن يتعداه إلى المبالغة والتزكية على الله، وقد علمنا ﷺ سبيل القصد في المدح، فيما رواه أبو بكره ﷺ أن رجلاً ذكر عند النبي ﷺ فأنى عليه رجلٌ خيراً، فقال النبي ﷺ: «ويلك قطعت عنق صاحبك، قطعت عنق صاحبك» مراراً، ثم قال: «إن كان أحدكم مادحاً أحاه لا محالة، فليقل أحسب فلاناً، والله حسيه، ولا أركي على الله أحداً أحسبه كذا وكذا، إن كان يعلم ذلك منه»^(١).

قوله ﷺ: «ولا أركي على الله أحداً»، أي لا أقطع على عاقبة أحدٍ ولا على ما في ضميره كون ذلك أمراً مغيباً^(٢)، فليقل المادح أحسب أن فلاناً كذا وكذا، إن كان يحسب ذلك منه والله يعلم سره لأنه هو الذي يجازيه^(٣).

قال حجة الإسلام الغزالي: «إن المادح قد يقول ما لا يتحققه، ولا سبيل له إلى الاطلاع عليه... فهذه الآفة تتطرق إلى المدح بالأوصاف المطلقة التي تُعرف بالأدلة، كقوله أنه متقي وورع وزاهد وخير وما يجري مجراه، فأما إذا قال رأيت يصلي بالليل ويتصدق ويحج، فهذه أمورٌ مستيقنة»^(٤).

فالنبي ﷺ «اعتبر تركية الرجل إذا اقتصد، لأنه لم يعب عليه إلا الإسراف والتغالي في المدح، فالثناء على الرجل في وجهه عند الحاجة لا يُكره، وإنما يُكره الإطناب في ذلك»^(٥).

(١) صحيح البخاري، في الشهادات، باب إذا زكى رجل رجلاً كفاه ١٧٦/٣ (٢٦٦٢)، صحيح مسلم، في الزهد والرقائق، باب النهي عن المدح إذا كان فيه إفراط ٢٢٩٦/٤ (٣٠٠٠).

(٢) انظر: فتح الباري ٤٧٧/١٠.

(٣) انظر: المدح في السنة النبوية ص ١٣٥.

(٤) إحياء علوم الدين ١٥٩/٣ - ١٦٠.

(٥) فتح الباري ٢٧٦/٥.

وكان من عادة السلف أن يقولوا إذا أثني على أحدهم: «اللهم اغفر لنا ما لا يعلمون، واجعلنا خيراً مما يظنون»، وقال الإمام يحيى بن معاذ^(١): «العاقل لا يدعُ ما ستر الله عليه من عُيوبه بأن يفرح بما أظهره من محاسنه»^(٢).

ثالثاً- التوفيق بين أحاديث إباحة المدح والنهي عنه:

جمع العلماء بين أحاديث جواز المدح وأحاديث النهي عنه، دفعاً لوقوع التعارض في دلالاتها، فاعتبروا أن «النهي محمول على المجازفة في المدح والزيادة في الأوصاف أو على من يُخافُ عليه فتنة، من إعجابٍ ونحوه إذا سمع المدح، وأما من لا يُخافُ عليه ذلك لكمال تقواه ورسوخ عقله ومعرفته، فلا نهي في مدحه في وجهه إذا لم يكن فيه مجازفة، بل إن كان يحصل بذلك مصلحة كنهضه للخير، والازدياد منه، أو الدوام عليه، أو الاقتداء به، كان مستحباً والله أعلم»^(٣).

فالمدح بعمومه غير منهي عنه، وإنما خُصَّصَ النهي بأحوال معينة يكون فيها المدح كذباً أو في غير محله، أو صفة لا تكاد تُفارق المادح، أو صنعة للتكسب، وأما ما عدا ذلك فحائز^(٤).

وليس أدل على جواز المدح، من أن النبي ﷺ مُدِّح في الشعر والخطب والمخاطبة ولم يَحْث في وجه مادحه ثراباً^(٥)، كما وردت جملة من الأحاديث في مناقب الصحابة رضي الله عنهم وثناء النبي ﷺ عليهم، كقوله ﷺ لعمر رضي الله عنه: «مَا لَقَيْكَ الشَّيْطَانُ سَالِكًا فَجًّا إِلَّا سَلَكَ فَجًّا غَيْرَ

(١) يحيى بن معاذ بن جعفر الرازي، أبو زكريا، حكيم زمانه وواعظ عصره، متصوف من أحد رجال الطريقة، لم يكن له نظير في وقته، له كلمات سائرة منها: (من استفتح باب المعاش بغير مفاتيح الأقدار، وكل إلى المخلوقين) و(الصبر على الخلوة من علامات الإخلاص) وغيرها من ما حُفِظَ عنه، توفي ببنيسابور سنة ٢٥٨هـ. انظر: وفيات الأعيان ١٦٥/٦، طبقات الأولياء ص ٣٢١، شذرات الذهب ٢٦٠/٣.

(٢) شرح صحيح البخاري لابن بطال ٤٨/٨.

(٣) شرح صحيح مسلم للنووي ١٢٦/١٨.

(٤) انظر: توثيق بانث سعاد في المتن والإسناد ص ٤٧.

(٥) فتح الباري ٤٧٧/١٠.

فَجَّكَ»^(١)، وقوله للأنصاريّ وامرأته: «ضَحِكَ اللَّهُ اللَّيْلَةَ، أَوْ عَجِبَ، مِنْ فَعَالِكُمَا»^(٢)، وغير ذلك من الأخبار المروية^(٣).

رابعاً- ضوابط المدح المُستفادة من الأحاديث:

بناءً على ما سبق إيراد من الأحاديث التي تتناول المدح، ومن خلال أقوال العلماء فيها وتوجيههم لها، يُمكن أن تُحمّل الضوابط المتعلقة بالمدح بما يأتي:

✓ أن تكون غاية المدح هي الترغيب بالفعل الحسن، والخُلُق الكريم، مما يترتب عليه شحذ الهمم، والرغبة في الاستزادة من فعل الخير.

✓ أن يكون المدح صادقاً خالياً من الرياء والتملق اللذين يوصلان إلى الكذب، فعلى المادح أن يمدح الشخص بما فيه من الخصال والصفات، دون إطنابٍ أو إسراف، قال الحافظ ابن حجر: «فالشأن على الرجل في وجهه عند الحاجة لا يُكره، وإنما يُكره الإطناب في ذلك»^(٤).

قال الإمام الغزالي: «فالمادح قد يُفِرط في المدح ويدخله الرياء، فإنه بالمدح يُظهر الحب، وقد لا يكون مُضِيراً له ولا مُعْتَقِداً لجميع ما يقوله فيصير به مُرائياً مُنافِقاً»^(٥).

✓ أن يلتزم المادح بما أمر به الإسلام وبما نهى عنه، فلا يقول إلا حقاً ولا يجزم فيما يقول، بل يأتي بذلك على سبيل الظن؛ لئلا يتعد عن الإسراف والغلو، وعن تزكية غيره،

(١) صحيح البخاري، في المناقب، باب مناقب عمر بن الخطاب رضي الله عنه، والحديث عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه ١١/٥ (٢٦٨٣)، صحيح مسلم، في فضائل الصحابة رضي الله عنهم، باب من فضائل عمر رضي الله عنه ١٣٦٨/٤ (٢٣٩٦).

(٢) صحيح البخاري، في مناقب الأنصار، باب قول الله: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾، عن أبي هريرة رضي الله عنه ٣٤/٥ (٣٧٩٨).

(٣) انظر: فتح الباري ٤٧٩/١٠.

(٤) فتح الباري ٤٧٧/١٠.

(٥) إحياء علوم الدين ٤٩/٣.

فإنَّه لا يُزَكَّى على الله تعالى أحد^(١).

✓ أن لا يكون المدح في كُلِّ وقتٍ ولِغَيْرِ حاجة، ويَدُلُّ على ذلك قوله ﷺ «فمن كان مادِحاً لا مَحالة»، قال الحافظ ابن حجر: «قوله لا محالة، أي لا حيلة له في ترك ذلك وهي بمعنى لا بُدَّ»^(٢).

✓ أن لا تكون غايَةُ المادح من مدحه العطاء، فيجعل من المدح صنعةً يتكسَّب بها^(٣).
✓ أن يكون لدى الممدوح كمالُ إيمانٍ وحُسْنُ يقين، ورياضةً نفس، ومعرفةً تامة، بحيث لا يُفْتَن، ولا يَغْتَرَّ بذلك المدح، ولا تلعبُ به نفسه، فعندها يكونُ مدحه ليسَ بحرامٍ ولا مكروه، وإن خيفَ عليه شيءٌ من هذه الأمور، كُرهَ مدحه كراهةً شديدة^(٤).

✓ أن لا يتعرَّضَ الممدوحُ للمدح، ويطلبه. قال الإمام الغزالي: «مَنْ صَنَعَ بك معروفاً، فإذا كان ممن يحبُّ الشُّكرَ والثناءَ فلا تمدحه، لأن قضاءَ حقِّه أن لا تُقرَّه على الظلم، وطلبُهُ للشُّكرِ ظلم»^(٥).

فالشعر إذا كان صادقاً في مدح من يستحق المدح ولا يترتب عليه فتنة فلا بأس به.

• المطلب الثالث: شعر المدح في عصر النبوة:

بَعْدَ أن أكرم الله تعالى عباده بمنهج الإسلام، تغيرت الحياة، وتبدلت القيم، فتوجَّه الشعراء المسلمون إلى مدح المعبود الواحد والإشادة بنبِيِّه ﷺ، وتحوَّلوا من التعصب للقبيلة ومدحها إلى مدح الإسلام والتغني بفضائله ومكرماته.

(١) الأحاديث الصحيحة الواردة في ذم الشعر، مجلة جامعة أم القرى/ص ١٢٨.

(٢) فتح الباري ١٠/٤٧٧.

(٣) انظر: معالم السنن ٤/١١١، فيض القدير ١/١٨٢. وللفقهاء تفصيل في مسألة (حكم التكسب بالشعر) ليس معرض ذكرها هاهنا.

(٤) الأذكار للنووي ص ٢٧٦.

(٥) إحياء علوم الدين ٣/١٦٠.

ويتبين أثر ذلك التغيير الذي طرأ على غرض المدح من خلال الأحاديث النبوية التي حملت لنا أخبار أشعار المدح التي قيلت في عصر النبوة.

أولاً - مدحُ الله تعالى:

بدأ الشعراء يمدحون الذات الإلهية ويثنون على الصفات الربانية، فاستمع النبي ﷺ لما نظم به بعض الشعراء في مدح الله تعالى.

فعن الأسود بن سريع رضي الله عنه قال: أتيت رسول الله ﷺ، فقلت: يا رسول الله! إني قد حمدتُ ربِّي تبارك وتعالى بمحامدٍ ومدحٍ وإيَّاكَ، فقال رسول الله ﷺ: «أما إنَّ ربَّكَ تعالى يُحبُّ المدحَ، هاتِ ما امتدحت به ربَّكَ تعالى». قال: فجعلتُ أنشده^(١).

ومن الأبيات التي أُعجبَ فيها النبي ﷺ لما حوت من الثناء على الله عز وجل، الشطر الأول من بيت الشاعر لبيد. فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «أصدقُ كلمةٍ قالها الشاعر، كلمةُ لبيد: ألا كُلُّ شيءٍ ما خلا الله باطل»^(٢).

ثانياً - مدحُ الرسول ﷺ:

كان شعرُ المدح النبوي هو الغالب في فترة العهد النبوي، وتنبغي الإشارة هنا إلى أنَّ النبي ﷺ لم يكن يُحبُّ أن يُعظمَ كما تُعظمُ الملوك، ولا أن يُمدحَ كما يمدحون، لذلك فشعر المدح النبوي مختلفٌ عن غيره من أشعار المدح من جهة كونه مدحاً متصلاً بالعقيدة، ونابعاً من محبة الصحابة لرسولهم الذي جاء ليُنقذهم من الضلال ويدهم على الطريق الموصل للجنة.

(١) سبق تخريج الحديث انظر: ص ٢٥.

(٢) سبق تخريج الحديث انظر: ص ٢٠.

كَانَ الْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمَطْلُبِ مِمَّنْ أَنْشَدَ أَيْيَاتًا فِي مَدْحِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَدْ اسْتَأْذَنَهُ فِي مَدْحِهِ قَائِلًا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَمْتَدِّحَكَ، فَقَالَ: «قُلْ، لَا يَفْضُضُ اللَّهُ فَاكَ»، فَقَالَ الْعَبَّاسُ:

[بِحَرِّ الْمَنْسَرَحِ]

مُسْتَوْدَعٍ حَيْثُ يُخَصِّفُ الْوَرَقُ	مِنْ قَبْلِهَا طِبَّتِ فِي الظَّلَالِ وَفِي
أَنْتَ وَلَا مُضْغَةً وَلَا عَلَقُ	ثُمَّ هَبَطْتَ الْبِلَادَ لَا بَشَرُ
أَجْزَمَ نَسْرًا وَأَهْلَهُ الْعَرَقُ	بَلْ نُطْفَةٌ تَرْكَبُ السَّفِينَ وَقَدْ
إِذَا مَضَى عَالَمٌ بَدَا طَبَقُ	تُنْقَلُ مِنْ صَالِبٍ إِلَى رَحِمِ
خَنَدِفَ عَلَيْهِاءَ تَحْتَهَا النُّطُقُ	حَتَّى اخْتَوَى بَيْتَكَ الْمُهَيِّمُ مِنْ
وَضَاءَتْ بِثُورِكَ الْأُفُقُ	وَأَنْتَ لَمَّا وُلِدْتَ أَشْرَقَتِ الْأَرْضُ
الضِّيَاءِ وَسُبُلِ الرَّشَادِ خُتِرُ	فَنَحْنُ مِنْ ذَلِكَ النُّورِ فِي

فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «لَا يَفْضُضُ اللَّهُ فَاكَ»^(١).

وَمَدَحَهُ الصَّحَابِيُّ كَعْبُ بْنُ زَهِيرٍ^(٢) فِي قَصِيدَةٍ مَشْهُورَةٍ لَهُ عُرِفَتْ بِالْبُرْدَةِ^(٣)، الَّتِي قَدْ تُعَدُّ مِنْ أَهَمِّ مَا حَفِظَتْهُ الذَّاكِرَةُ الشَّعْرِيَّةُ فِي مَدْحِ الرَّسُولِ ﷺ، فَلَمَّا أَنْشَدَ كَعْبٌ قَصِيدَتَهُ أَمَامَ النَّبِيِّ ﷺ وَبَلَغَ قَوْلَهُ:

(١) سبق تخريج الحديث انظر: ص ٢٢.

(٢) كعب بن زهير بن أبي سلمى، المازني، أبو المضرب. شاعر عالي الطبقة، من أهل نجد، كان ممن اشتهر في الجاهلية. ولما ظهر الإسلام هجا النبي ﷺ، وأقام يشبب بنساء المسلمين، فأهדר النبي ﷺ، دمه فجاءه كعب مستأمنًا وقد أسلم وأنشده لاميته المشهورة. انظر: أسد الغابة ٤/٤٤٩، معجم الشعراء ص ٣٤٢.

(٣) لأن النبي ﷺ كساه بُردته حين أنشدها. وسيأتي الحديث عن سبب إنشاد البردة في غرض الاعتذار/ص ٢٢٠.

[بجر البسيط]

إِنَّ الرَّسُولَ لَسَيِّفٌ يُسْتَضَاءُ بِهِ وَصَارِمٌ^(١) مِنْ سُيُوفِ اللَّهِ مَسْلُولٌ
 فِي فِتْيَةٍ مِنْ قُرَيْشٍ قَالَ قَائِلُهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ لَمَّا أَسْلَمُوا زُولُوا
 أَشَارَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِكُمِّهِ إِلَى الْخَلْقِ لِيَسْمَعُوا مِنْهُ^(٢).
 وَكَانَ لِشُعْرَاءِ الرَّسُولِ ﷺ كَحَسَّانَ بْنِ ثَابِتٍ وَعَبْدَ اللَّهِ بْنِ رَوَاحَةَ، صِيَتْ ذَائِعٌ فِي مَدْحِ
 النَّبِيِّ ﷺ وَذِكْرِ مَنَاقِبِهِ.

فَكَانَ مِمَّا قَالَهُ حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ فِي مَدْحِهِ ﷺ وَبَيَانِ شَرَفِهِ فِي قَوْمِهِ:

[بجر الطويل]

وَإِنَّ سَنَامَ الْمَجْدِ مِنْ آلِ هَاشِمٍ بَنُو بَنَاتٍ مَخْزُومٍ وَوَالِدُكَ الْعَبْدُ^(٣).
 كَمَا مَدَحَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَائِلًا:

[بجر البسيط]

يَا هَاشِمَ الْخَيْرِ، إِنَّ اللَّهَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْبَرِيَّةِ فَضْلًا مَالَهُ غَيْرُ
 إِلَيَّ تَفَرَّسْتُ فِيكَ الْخَيْرَ أَعْرِفُهُ فِرَاسَةً خَالَفَتْهُمْ فِي الَّذِي نَظَرُوا
 وَلَوْ سَأَلْتُ أَوْ اسْتَنْصَرْتُ بَعْضَهُمْ فِي جُلٍّ أَمْرِكَ مَا آوَوْ وَلَا نَصَرُوا
 فَثَبَّتَ اللَّهُ مَا آتَاكَ مِنْ حَسَنِ تَثْبِيتَ مُوسَى وَنَصْرًا كَالَّذِي نُصِرُوا
 فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «وَأَنْتَ فَثَبَّتَكَ اللَّهُ يَا ابْنَ رَوَاحَةَ»^(٤).

(١) السيفُ القاطعُ الذي لا ينثني. لسان العرب، مادة (صرم) ٣٣٥/١٢.

(٢) المستدرک علی الصحیحین ٦٧٣/٣ وقد صحَّحه الحاكم وقال: «هذا حديث له أسانيد قد جمعها إبراهيم بن المنذر الحزامي، فأما حديث محمد بن فليح عن موسى بن عقبة وحديث الحجاج بن ذي الرُّقَيَّة فإمهما صحيحان وقد ذكرهما محمد بن إسحاق القرشي في المغازي مختصراً»، وأخرجه البيهقي في السنن الكبرى ٤١٢/١٠، وفي دلائل النبوة ٢١١/٥.

(٣) صحيح مسلم، في فضائل الصحابة رضي الله عنهم، باب فضائل حسان بن ثابت ١٩٣٤/٩ (٢٤٨٩).

(٤) سبق تخريج الحديث انظر: ص ٢٩.

وأخرج البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه ذكره لأبيات كان قد قالها عبد الله بن رواحة رضي الله عنه في مدح النبي ﷺ، فعن الهيثم بن أبي سنان^(١)، أنه سمع أبا هريرة رضي الله عنه، وهو يقص في قصصه، وهو يذكر رسول الله ﷺ: «إن أخا لكم لا يقول الرفث» يعني بذلك عبد الله بن رواحة.

ثم ذكر أبياته في مدح النبي ﷺ فقال:

[بحر الطويل]

وَفِينَا رَسُولُ اللَّهِ يَتْلُو كِتَابَهُ إِذَا انْشَقَّ مَعْرُوفٌ مِنَ الْفَجْرِ سَاطِعُ
أَرَانَا الْهُدَى بَعْدَ الْعَمَى فَقُلُوبُنَا بِهِ مُوقِنَاتٌ أَنَّ مَا قَالَ وَاقِعُ
يَبِيتُ يُجَانِي جَنْبَهُ عَنْ فِرَاشِهِ إِذَا اسْتَشَقَّتْ بِالْمُشْرِكِينَ الْمَضَاجِعُ.^(٢)

وَكَانَ مِمَّنْ امْتَدَحَ النَّبِيَّ ﷺ كَذَلِكَ عُمُهُ أَبُو طَالِبٍ، فَقَدْ قَالَ فِيهِ:

[بحر الطويل]

وَأَبْيَضُ يُسْتَسْقَى الْغَمَامُ بِوَجْهِهِ ثَمَالُ الْيَتَامَى^(٣) عِصْمَةٌ^(٤) لِلْأَرَامِلِ^(٥)

ويروى أن النبي ﷺ لَمَحَ إلى معنى هذا البيت، حينَ أَفْحَطَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ، فَأَتَوْهُ فَشَكُوا ذلك إليه، فصعد رسول الله ﷺ الْمِنْبَرَ فاستسقى، فما لبث أن جاء من الْمَطَرِ مَا أَتَاهُ أَهْلُ الضُّوَاحي يشكون منه الْعَرَقَ، فقال رسول الله ﷺ: «اللَّهُمَّ حَوَالَيْنَا وَلَا عَلَيْنَا»، فانجذاب

(١) الهيثم بن أبي سنان المدني، صدوق من الطبقة الرابعة، يروي عن ابن عمر وأبي هريرة، ويروي عنه الزُّهري وبكير بن الأشج، انظر: الثقات لابن حبان ٥/٥٠٧، تقريب التهذيب ص ٥٧٧.

(٢) صحيح البخاري، في الأدب، باب هجاء المشركين، ٣٦/٨ (٦١٥١).

(٣) الثَّمَال: هو المَلَجَأ والغِيَاثُ، والقَائِمُ، والمَطْعَم في الشدة. انظر: لسان العرب، مادة (ثمل) ١١/٩٤، القاموس المحيط (ثمل) ١/٩٧٣.

(٤) عِصْمَةٌ: العاصم، هو الحافظ والمانع والحامي، أي يمنعهم من الضياع والحاجة. انظر: لسان العرب، مادة (عصم) ١٢/٤٠٤، القاموس المحيط (عصم) ١/١١٣٨.

(٥) الْأَرَامِل: جمع أرملة وهي كل من لا زوج لها. انظر: لسان العرب، مادة (رمل) ١١/٢٩٧.

السَّحَابُ عَنْ الْمَدِينَةِ فَصَارَ حَوَالِيهَا كَالْإِكْلِيلِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَوْ أَدْرَكَ أَبُو طَالِبٍ هَذَا الْيَوْمَ لَسَرَّهُ» فَقَالَ لَهُ بَعْضُ أَصْحَابِهِ: كَأَنَّكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَرَدْتَ قَوْلَهُ:

وَأَبْيَضُ يُسْتَسْقَى الْعَمَامُ بِوَجْهِهِ ثَمَالُ الْيَتَامَى عِصْمَةٌ لِلْأَرَامِلِ
قال: «أَجَلٌ»^(١).

يَتَبَيَّنُ مِنْ خِلَالِ مَا سَبَقَ ذَكَرَهُ مِنَ الْأَحَادِيثِ، مَدَى التَّحَوُّلِ الَّذِي طَرَأَ عَلَى شَعْرِ الْمَدْحِ فِي الْعَهْدِ النَّبَوِيِّ الَّذِي نَقَلَهُ مِنَ التَّكْسِبِ إِلَى التَّدِينِ، فَأَصْبَحَ صَادِقاً مُتَجَرِّداً بَعِيداً كُلَّ الْبَعْدِ عَنِ التَّكْسِبِ، فَضْلاً عَنْ أَنَّهُ سَاهَمَ فِي رَسْمِ صُورَةٍ بَدِيعَةٍ تَصِفُ الْفَضَائِلَ وَالْقِيَمَ الْخُلُقِيَّةَ السَّائِدَةَ آنَ ذَاكَ، وَتُبَيَّنَ مَدَى الْمَحَبَّةِ الْعَقَائِدِيَّةِ الصَّادِقَةِ الَّتِي حَمَلَهَا الصَّحَابَةُ ﷺ لَدِينِهِمْ وَلِنَبِيِّهِمْ ﷺ.

(١) سيرة ابن هشام ٢٨١/١، ذكره ابن هشام في السيرة تعليقا عن يثق به، والحديث عند البيهقي في الدلائل عن

أنسٍ رضي الله عنه وفي إسناده ضعف، لكنه يصلح للمتابعة. انظر فتح الباري ٤٩٥/٢.

المبحث الثاني الهجاء في السُّنة النبويّة.

وفيه ثلاثة مطالب:

- المطلب الأول: تعريف الهجاء وأقسامه.
- المطلب الثاني: دور شعر الهجاء في الجاهلية.
- المطلب الثالث: ضوابط الهجاء في السُّنة النبوية.

➤ المبحث الثاني: الهجاء في السُّنة النبوية:

يأتي الهجاء ضمن الموضوعات الأساسية في الشعر العربي، ولعل مرّد ذلك يعود إلى طبيعة الحياة الجاهلية العربية، التي كانت تقوم على القبلية والعصبية وما ينشأ عن ذلك من صراعات وخلافات، وإلى الكره الذي قد ينشأ في النفوس مع البغضاء والغضب، وإلى أمور أخرى تطلبت أن يتناولها الشعراء من خلال معاني الهجاء في أشعارهم.

أمّا بعد مجيء الإسلام، فقد أدّى شعُر الهجاء مُهمّةً عظيمة، من خلال التّصدي لهجاء أعداء الإسلام، والرّد عليهم، والانتصار من ظلمهم، فأكسبه ذلك دوراً دينياً دَعَوِيّاً إلى جانب وظيفته الاجتماعية الأساسية^(١)، «ولكنّه اختلفَ عن الهجاء القديم، إذ لم يكن تَسَرُّعاً بالشّعْر إلى أعراضِ الناس، ولا قَذْفاً بألوانِ الشتائم والمساوى، وإنّما كان هجاءً لمن ضلَّ عن طريقِ الحقِّ، وتَنَكَّبَ سبيلَ الهداية»^(٢).

ولتوضيح موقف السُّنة النبوية من شعر الهجاء، فلا بدّ من تبين مفهوم الهجاء، وأقسامه، وصولاً إلى ضبط السُّنة النبوية لهذا الغرض الشعري.

• المطلب الأول: تعريف الهجاء وأقسامه:

الهجاء لغة: هو ضد المدح ونقيضه^(٣)، وهجاه: أي شتمه بالشعر وعدد فيه معاييه، ويقال هجا فلان فلاناً: أي شتمه وسبّه وعابه، وهاجيثُ فلاناً: أي هجوته وهجاني^(٤). قال الليث^(٥): هو الوقعة في الأشعار^(٦).

(١) انظر: الهجاء والهجاءون ص ١٦٩.

(٢) الإسلام والشعر ص ١١٦.

(٣) مختار الصحاح (هجا) ص ٣٢٤.

(٤) انظر: لسان العرب، مادة (هجو) ٣٥٣/١٥، تاج العروس (هجو) ٢٠٧/٤٠-٢٠٨.

(٥) الليث بن المظفر الكناني أحد أهم علماء اللغة العربية، وصاحب الخليل بن أحمد الفراهيدي، وهو الذي أكمل كتاب معجم العين ونشره. وكان من أكتب الناس في زمانه، بارع الأدب بصيراً بالشعر والغريب والنحو، وكان كاتباً للبرامكة. (لم أقف على تاريخ مولده أو وفاته في كتب التراجم). انظر: معجم الأدباء ٢٢٥٣/٥-٢٢٥٤، لسان الميزان ٤٩٤/٤، بغية الوعاة ٢/٢٧٠.

(٦) لسان العرب، مادة (هجو) ٣٥٣/١٥.

أمّا الهجاء اصطلاحاً: فقد عرّفه قدامة بن جعفر^(١) بقوله: «الهجاء ضد المديح، فكّلما كثرت أضداد المديح في الشّعْر كانت أهجى له، ثم تنزل الطبقات على مقدار قلة الأهاجي فيها وكثرتها»^(٢)، فالإبداع بالهجاء عند قدامة يتوقف على مقدار إجادته كمّاً ونوعاً.

وقيل في تعريفه كذلك أنه: غرض من أغراض الشّعْر، يقوم على تقبيح صورة فرد أو جماعة، أو عادة من العادات، أو مظهر من مظاهر الحياة والوجود، وهو تعبير عن احتقار المهجّو والرغبة في الخطّ من شأنه^(٣).

ويعدّ الهجاء، من أهم الأغراض الشّعْرية التي طرقها الشّعراء في مقابل المدح والفخر، فكانت مُهمّة شعر الهجاء، هي تصوير عاطفة الغضب أو الاحتقار والاستهزاء عند الشّعراء، سواء كان موضوع هذه العاطفة هو الفرد أو الجماعة أو الأخلاق والمذاهب^(٤).

ينقسم الهجاء إلى ثلاثة أقسام: هجاء شخصي، وهجاء أخلاقي، وهجاء سياسي^(٥).

يعتمد الهجاء الشخصي على مهاجمة الأفراد، بحيث يوجّهه الشاعر إلى فرد ينقم عليه فيحاول إظهار مثالبه ومعايبه. وهو أقدم أنواع الشّعْر الهجائي، وهو في معظم الأحيان متأثر بالأهواء الشخصية، بعيداً عن العدل والإنصاف^(٦).

(١) قدامة بن جعفر بن زياد البغدادي، أبو الفرج: كاتبٌ ، من البلغاء الفصحاء المتقدمين في علم المنطق والفلسفة. كان نصرانياً وأسلم على المكتفي بالله العباسي، وتوفي ببغداد. يضرب به المثل في البلاغة، وله مصنفات عديدة منها: (الخراج وصناعة الكتابة) و(نقد الشعر) و(زهر الريح). توفي سنة ٣٣٧هـ. انظر: معجم الأدباء ٥/٢٣٥، النجوم الزاهرة ٣/٢٩٧-٢٩٨، الأعلام ٥/١٩١.

(٢) نقد الشّعْر ص ٣٠.

(٣) المعجم المفصل في اللغة والأدب ١/١٢٨١.

(٤) انظر: الهجاء والمهاجؤون ١/١٨.

(٥) الهجاء والمهاجؤون ١/٢٥، قصة الأدب في الحجاز ص ٥٣٧.

(٦) انظر: الهجاء والمهاجؤون ١/٢٥.

أما الهجاء الأخلاقي، فيتناول العيوب النفسية كالغدر والخيانة والبخل والكذب فموضوعه الجرائم الأخلاقية أو الدينية والمفاسد الاجتماعية، والعادات القبيحة والعيوب الإنسانية على وجه العموم، فقد يُعَيَّنُّ به الشاعر الهجاء جنساً من الأجناس لا يُعَيَّنُّ منه أفراداً^(١).

والنوع الثالث من الهجاء، هو الهجاء السياسي، و يتميز عن سالفه بأن صاحبه يرى مثله الأعلى في حزبٍ من الأحزاب أو طائفةٍ من الطوائف أو مذهبٍ من المذاهب، فهو يُهاجم كل ما يتعارض مع هذا المثل من نقائص ومعائب تتمثل في أنصار حزبٍ آخر، وهو يزعم في كل هذا -صادقاً أو متصنعاً- أنه يهاجم في سبيل الفضيلة والحق^(٢).

ويلتحق بالهجاء السياسي، الهجاء الدينيّ والهجاء القبلي. أما الهجاء الديني فنجد له أمثلة فيما كان بين شعراء المسلمين وشعراء قريش أول ظهور الإسلام، وأما الهجاء القبلي فيصور الشَّعر السياسي في طوره البدائي عند العرب؛ حينَ كانَ العربي يحمل لقبيلته من القداسة والإجلال مثل ما يحمل المواطن لوطنه بل أشد، وكان للفرد على قبيلته من الحقوق ما يشبه حق المواطن على وطنه؛ فهي مكلفةٌ بحمايته من كل اعتداء وهو بعد هذا مسؤول أمامها، مرتبطٌ بها، لا رأي له إلا ما رأت، وهو يضع سيفه ولسانه في خدمتها، ولها أن تحرمه من جنسيته بأن تتبرأ منه وتعلنه طريداً^(٣).

● المطلب الثاني: دور شعر الهجاء في الجاهلية:

ظَهَرَ الهجاء في الشَّعر الجاهلي بسبب الحروب والمنازعات التي دارت بين القبائل، واستمدَّ معانيه من معالم بيئته، ومما تواضع الناسُ على استحسانه من فضائل وعادات، وتوافقوا على استهجانها من رذائل وسقطات.

(١) الهجاء والمجاؤون ٢٥/١.

(٢) الهجاء والمجاؤون ٢٦/١.

(٣) الهجاء والمجاؤون ٢٦/١، قصة الأدب في الحجاز ص ٥٣٨.

ويلاحظ أنَّ غالب الهجاء في العصر الجاهلي كان يدور بين الهجاء الفردي والقبلي، فكان الشاعر إذا أراد الهجاء الفردي، جرَّد خصمه من الفضائل التي كانت سائدة وهي الكرم والشجاعة وغيرها وذمَّه بأقبح الصِّفات، كالجن والبخل والحمق والعدر وإنكار الجميل، وذلك كله بسبب منازعات شخصية وخلافات فردية كانت قد نشبت بين الشاعر وخصمه، أمَّا الهجاء القبلي فكان يقوم على ذمِّ قبيلة معينة، بسرد ما في تاريخها من مخازٍ، وما نزل بها من هزائم، وما حلَّ بها من العار، بالإضافة إلى تهديدها في بعض الأحيان، ودعوة القبائل الأخرى لعدم التحالف معها^(١).

ومن الهجاء الذي كان في الجاهلية كذلك، ما كان يُوجَّه إلى الأعداء في معرض الفخر، أو في ثنايا المدح؛ فقد كانوا يرون في تحقير الأعداء والحطِّ من شأنهم رفعة للمفتخر أو للممدوح^(٢)، والعكس كذلك؛ فالشاعر غالباً ما كان يُثني على قومه ويفتخر بنفسه وبقبيلته في معرض هجائه لأعدائه وخصومه.

وهذا الحديث يذكرنا بأشهر المهجائين في العصر الجاهلي وهو طرفة بن العبد الذي قُتل بسبب هجائه لملك الحيرة المشهور عمرو بن هند^(٣)، بحجة أنه لم يجد منه الخير والمال كما كان ينتظر^(٤)، فقال في هجائه:

(١) انظر: في تاريخ الأدب الجاهلي ص ٣٧٣-٣٧٤.

(٢) المرجع السابق.

(٣) عمرو بن المنذر بن امرؤ القيس بن النعمان اللخمي، المشهور بعمر بن هند، نسبةً إلى أمه هند بن عمرو بن حجر الكندي، ملك الحيرة في الجاهلية، لقَّبَ بالهرق الثاني، وكان شديد البأس، كثير الفتك، لا يتسم ولا يضحك، هابته العرب وأطاعته القبائل، في أيامه ولد النبي ﷺ، استمر ملكه خمسة عشر عاماً وقُتل عمرو بن كلثوم الشاعر، أنفةً وغضباً لأنه في خبرٍ طويل. انظر: تاريخ ابن خلدون ٢/٣٢٤، الأعلام ٥/٨٧، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ٥/٢٣٩.

(٤) انظر: في تاريخ الأدب الجاهلي ص ٣٧٤-٣٧٥.

[بحر الوافر]

فليت لنا مكانَ المَلِكِ عَمْرٍو رَغُوثاً^(١) حَولَ قُبْتَنَا تَخُورُ^(٢)
 من الزَّمَرَاتِ^(٣) أَسْبَلُ^(٤) قَادِمَاهَا^(٥) وَضَرَّتْهَا^(٦) مُرْكَنَةً دُرُورُ^(٧)
 يشارِكُنَا لَنَا رِخْلَانِ^(٨) فِيهَا وَتَعْلُوهَا الْكِبَاشُ فَلَا تَنُورُ^(٩)
 لَعَمْرُكَ إِنْ قَابُوسَ بْنَ هَنْدٍ^(١٠) لِيَخْلُطُ مُلْكُهُ نَوْكُ^(١١) كَثِيرُ^(١٢)

(١) رَغُوثاً: النَّعْجَةُ الْمُزْبِيعَةُ، أي التي تُرْضِعُ. لسان العرب، مادة (رغث) ١٥٣/٢.

(٢) تخور: من الخوار، وهو من أصوات البقر والغنم والظباء والسَّهَام. تُطْلَقُ صَوْتُهَا وَتَصِيحُ. لسان العرب، مادة (خور) ٢٦١/٤.

(٣) الزَّمَرَات: من الزَّمر، وهو قليل الصوف والشعر، مفردُها الزَّمْرَة، وهي النَّعْجَةُ القليلة الصُّوف. انظر: تاج العروس، مادة (زمر) ٤٤٣/١١.

(٤) أَسْبَلُ: أرخى و طال. لسان العرب، مادة (سبل) ٣٢١/١١.

(٥) قَادِمَاهَا: الخِلْفَانِ الْمُتَقَدِّمَانِ من أخلافِ البقرة والناقة، وإنما يُقال قَادِمَانِ لكل ما كان له آخِرَانِ، إلا أنَّ طَرَفَةَ استعاره للشاة وليس لها آخِرَانِ. لسان العرب، مادة (قدم) ٤٦٩/١٢.

(٦) ضَرَّتْهَا: الضربة، هي لحم الضرع. لسان العرب، مادة (ضرر) ٤٨٧/٤.

(٧) درور: هي الناقة الكثيرة الدَّر أي كثيرة اللبن. لسان العرب، مادة (درر) ٢٨٠/٤.

(٨) رِخْلَانِ: مثني الرَّخْل وهي الأنثى من أولاد الضأن. لسان العرب، مادة (رخل) ٢٨٠/١١.

(٩) تنور: تنفر وتبتعد، فالبقرة النَّوَار هي التي تنفر من الفحل. لسان العرب، مادة (نور) ٢٤٥/٥.

(١٠) قابوس بن هند: هو شقيق عمرو بن هند. تاريخ ابن خلدون ٣٢٤/٢.

(١١) نَوْكُ: الحمق. لسان العرب، مادة (نوك) ٥٠١/١٠.

(١٢) الأبيات في ديوان طرفة ص ٣٨. يرى طرفة في هذه الأبيات عمرو بن هند ملكاً لا يصلح للملك وخير منه نعجة تخور، وإن كانت قليلة الصوف؛ فربما كان لبنها كثيراً يكفي رضيعها وحالبها، وهي لا تنفر من الكباش، فقد اعتادت أن يقع عليها الذكور.

فحين بلغت أبياته الملك عمرو بن هند، غَضِبَ وأَضْمَرَ في نفسه الانتقام من طرفة، ثم أرسله إلى عامله على البحرين برسالة، وأمره فيها بقتله، فقتله^(١).

وَبَرَزَ في الهجاء شعراءُ كَثُرَ غير طرفة، منهم الأعشى الذي كانت الناس تُكرمه خوفاً من هجائه، وزهير بن أبي سلمى والنابعة الذبياني، وغيرهم.

وقد كان للهجاء في الجاهلية شعائر محددة كما تشير الأخبار، فقد كان الشاعر «إذا أراد الهجاء لبس حُلَّةً خاصَّةً، ... وحَلَقَ رأسه وتَرَكَ له ذؤابتين، ودَهَنَ أحد شَقَي رأسه، وانتعل نعلًا واحدة»^(٢)، وكان العرب «يتطيرون منه ويتشاءمون، ويحاولون التخلص من أذاه ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً»^(٣).

• المطلب الثالث: ضوابط الهجاء في السُّنة النبوية:

هَدَّبَ الإسلام الشَّعر بكل أنواعه، ومنه الهجاء، وقد سَلَكَ في تهذيبه مسلكاً يتوافق مع مبادئ الإسلام وتعاليمه، من خلال ضبطه بضوابط تُجَنَّبُ الشَّاعر المسلم الوقوع فيما حرَّم الله تعالى.

وأهم ما تجب الإشارة إليه في بادئ الأمر، هو عدمُ جواز هجو المسلمِين لبعضهما بعضاً؛ فالأصلُ في عرض المسلم أَنَّهُ مَصُون، وأنه لا يجوز الوقوع فيه أو هتكه من غير استحقاق لذلك^(٤).

وَيُسْتَدَلُّ على تحريم هجاء المسلم، بقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدْ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب ٥٨].

(١) مقال بعنوان: (شعراء قتلهم شعرهم) للكاتبة: نعيمة عبد الفتاح ناصيف، شبكة الألوكة الأدبية واللغوية/ www.alukah.net. والقصة مذكورة في كل من كتاب الشَّعر والشعراء ١٨٥/١، خزانة الأدب ٤١٩/٢.

(٢) تاريخ الأدب العربي/ العصر الجاهلي ص ١٩٧.

(٣) المرجع السابق.

(٤) انظر: مغني المحتاج ٣٥٠/٦، المغني ١٠٥٩/١٠. ذهب الحنفية إلى جواز هجو المنافق، وذهب الشافعية إلى جواز هجو المبتدع، والمعلن بفسقه، قال الخطيب الشربيني: «ومثله في جواز الهجو: المبتدع، كما ذكره الإمام الغزالي في (الإحياء)، والفاسق المعلن، كما قاله العمراني، وبحثه الإسنوي». مغني المحتاج ٣٥١/٦.

وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِاللِّقَبِّ بِئْسَ الْإِسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿١١﴾﴾ [الحجرات ١١].

وويُستدلُّ كذلك بقول النبي ﷺ: «المُسلمُ مَنْ سَلِمَ المُسلمونَ من لِسَانِهِ وَيَدِهِ»^(١). وغيرها من الأحاديث الكثيرة التي تنهى عن الوقوع في الأعراض وتنهى عن أذية المسلمين لبعضهم مهما كانت الوسيلة.

وإذا أردنا توضيح الأمر بشكلٍ مُفصَّل، فهجاء المسلم لأخيه بين حالين، إما في حضرته أو في غيابه، فإن كان في حضرته فهو فُحشٌ وإيذاءٌ منهى عنه، فعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ليس المؤمنُ بالطَّعان^(٢)، ولا اللَّعَّان^(٣)، ولا الفَاحِش^(٤)، ولا البَذِيء^(٥)»^(٦).

وإن كان في غيابه، فهو كذلك بين أمرين، بين أن يكون ما هجأه به حقيقةً أو باطلاً وافتراءً، فإن كان حقيقةً فهو من الغيبة المنهي عنها، وإن كان لا أصل له فهو بُهتانٌ مُحَرَّمٌ، والدليل ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «أَتَدْرُونَ مَا الْغَيْبَةُ؟» قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «ذِكْرُكَ أَخَاكَ بِمَا يَكْرَهُ» قيلَ أَفَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ فِي أَخِي مَا أَقُولُ؟ قال: «إِنْ كَانَ فِيهِ مَا تَقُولُ، فَقَدْ اغْتَبَتَهُ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ فَقَدْ بَهَّتَهُ^(٦)»^(١). فيحرم تبعاً لذلك تعرضُ

(١) صحيح البخاري، في الإيمان، باب المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنه ١١/١ (١٠). صحيح مسلم، في الإيمان، باب تفاضل الإسلام وأي أمور أفضل ٦٥/١ (٤٠).

(٢) الطعان: هو الوقاع في أعراض الناس بالذم والغيبة ونحوهما. النهاية ١٢٧/٣.

(٣) الفحاش: ذو الفحش في كلامه وفعاله. النهاية ٤١٥/٣.

(٤) البذاء: من المُبَادَاة، وهي المفاحشة، وقد بَذُوَ يَبْذُو بَذَاءً. النهاية ١١٠/١.

(٥) سنن الترمذي، في أبواب البر والصلة، باب ما جاء في اللعنة ٣٥٠/٤ (٩٧٧). وقال: «هذا حديثٌ حَسَنٌ صحيحٌ غريبٌ، وقد روي عن عبد الله من غير هذا الوجه».

(٦) بَهَّتَهُ: أي كذبت وافترت عليه. النهاية ١٦٥/١.

المسلمين لبعضهم البعض بالهجاء، حتى لا يقعوا في الغيبة والبهتان والكذب.

وقد ثبت عن الفقهاء ردُّ شهادة الشَّاعر الذي يحوي شعره على هجاء المسلمين، لفسقه، فلو هجا الشَّاعر في شعره -ولو بما هو صادق فيه- رُدَّتْ شهادته؛ بسبب ما ألحق من الإيذاء بغيره، وليس إثم حاكي الهجو كإثم مُنشئه، إلَّا أن يكون الحاكي هو المذيع للهجو فيكون إثمُه أشدَّ^(٢).

قال ابن قدامة المقدسي: «الشَّاعر متى كان يهجو المسلمين أو يمدح بالكذب، أو يقذف مسلماً أو مسلمةً، فإنَّ شهادته تُردُّ»^(٣).

وتوعده النبي ﷺ من يهجو الإسلام أو المسلمين بقطع لسانه، فعن بُريدة الأسلمي رضي الله عنه: «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «مَنْ قَالَ فِي الْإِسْلَامِ شِعْرًا مُقْذِعًا فَلِسَانُهُ هَدْرٌ»^(٤).

أَمَّا هِجَاءُ أَعْدَاءِ الْإِسْلَامِ، وَالرَّدُّ عَلَيْهِمْ، وَالانْتِصَارُ مِنْ ظُلْمِهِمْ، فَهُوَ أَمْرٌ مَأْمُورٌ بِهِ، وَيُعَدُّ مِنْ أَبْوَابِ الْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ؛ لِأَنَّ الرَّسُولَ ﷺ قَدْ أَمَرَ بِهِ وَعَدَّهُ مِنَ الْجِهَادِ، فَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «جَاهِدُوا الْمُشْرِكِينَ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَأَلْسِنَتِكُمْ»^(٥).

وَعَنْ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اهْجُوا بِالشَّعْرِ إِنْ الْمُؤْمِنُ يُجَاهِدُ بِنَفْسِهِ، وَمَالِهِ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ كَأَنَّمَا يَنْضَحُونَهُمْ بِالنَّبْلِ»^(٦).

(١) صحيح مسلم، في البر والصلة والآداب، باب تحريم الغيبة ١٠٠٢/٤ (٢٥٨٩).

(٢) انظر: الأم ٢٢٤/٦، تحفة المحتاج ٢٢٣/١٠، أسنى المطالب ٣٤٦/٤.

(٣) المغني ١٠/١٦٠.

(٤) مسند البزار ٢٩٠/١٠ وعلق عليه بقوله: «وهذا الحديث لا نعلم رواه عن النبي ﷺ بهذا اللفظ إلا بريدة». والحديث في جزء أحاديث أبي محمد بن حيان ص ٢٢٧، وفي شعب الإيمان ١٠٢/٧. وذكره الميثمي وقال: «رجاله ثقات وفي بعضهم خلاف». مجمع الزوائد ١٢٦/٨.

(٥) سبق تخريج الحديث انظر: ص ٢٧.

(٦) مسند أحمد، من بقية حديث كعب بن مالك الأنصاري، ٨٧/٢٥ (١٥٧٩٦). قال الأستاذ الأرناؤوط معلقاً على سند هذا الحديث: «إسناده حسن، من أجل عبد العزيز بن محمد الدراوردي، وبقية رجاله ثقات رجال الصحيح غير علي بن بحر -وهو ابن بري القطان-

فَعِنْدَمَا واجهت قريشُ النبي ﷺ بالسَّنان واللسان، وتَمَادوا في هجاءِ المسلمين، أدرك النبي ﷺ مدى تأثير هذه الحرب الإعلامية المُثارة، فانتدبَ من تَوَسَّم فيهم القُدرةَ من شعراء المسلمين للوقوفِ في المُقدِّمة، واستنھضَ هَمَمَهُم للردِّ على المشركين وهجائهم، وشفاء صدور المؤمنين^(١).

ومما يَشهد بموقفه هذا دعوته شعراءه الثلاثة: حسان بن ثابت، وكعب بن مالك، وعبد الله بن رواحة ؓ، وأمرهم بهجاء قريش، كما في الحديث الذي روته السيدة عائشة ؓ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «اهْجُوا قُرَيْشًا، فَإِنَّهُ أَشَدُّ عَلَيْهَا مِنْ رَشْقٍ»^(٢) بِالنَّبْلِ «فَأَرْسَلَ إِلَى ابْنِ رَوَاحَةَ فَقَالَ: «اهْجُهُمْ» فَهَجَاهُمْ فَلَمْ يُرْضَ، فَأَرْسَلَ إِلَى كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ، ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَى حَسَّانَ بْنِ ثَابِتٍ، فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ، قَالَ حَسَّانُ: قَدْ آتَى لَكُمْ أَنْ تُرْسَلُوا إِلَى هَذَا الْأَسَدِ الضَّارِبِ بِذَنْبِهِ»^(٣)، ثُمَّ أَذْلَعَ لِسَانَهُ^(٤) فَجَعَلَ يُحَرِّكُهُ، فَقَالَ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لِأَفْرِينَهُمْ^(٥) بِلِسَانِي فَرَيَ الْأَدِيمَ^(٦)، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا تَعْجَلْ، فَإِنَّ أَبَا بَكْرٍ أَعْلَمُ قُرَيْشٍ بِأَنْسَائِهِمَا، وَإِنَّ لِي فِيهِمْ نَسَبًا، حَتَّى يُلَخِّصَ لَكَ نَسَبِي» فَأَتَاهُ حَسَّانُ، ثُمَّ رَجَعَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ قَدْ لَخِّصَ لِي نَسَبَكَ، وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لِأَسْلَتِكَ^(٧) مِنْهُمْ كَمَا تُسَلُّ الشَّعْرَةَ مِنَ الْعَجِينِ. قَالَتْ

فمن رجال أبي داود والترمذي، وأخرج له البخاري تعليقاً، وهو ثقة. وعبد الرحمن بن عبد الله ابن كعب قد سمع من جده.

(١) انظر: الإسلام والشعر ص ١١٥.

(٢) الرشق: الرمي بالسَّهام، وهو مصدرٌ والفعل: يَرشُقُ رَشْقًا. النهاية ٢/٢٢٥.

(٣) بذنبه: المراد بذنبه هنا لسانه، فشبه نفسه بالأسد في انتقامه وبطشه إذا اغتاض وحينئذ يضرب بذنبه جنبه كما فعل حسان بلسانه حين أدلعه فجعل يحركه فشبه نفسه بالأسد ولسانه بذنبه. شرح صحيح مسلم للنووي ١٦/٤٩.

(٤) أدلع لسانه: أي أخرجه حتى تُرى حمرة، يقال دلغ لسانه وأدلعه. النهاية ٢/١٣٠، لسان العرب، مادة (دلغ) ٨/٩٠.

(٥) لأفريئهم: أي أقطَّعهم بالهجاء كما يُقَطَّع الأديم. النهاية ٣/٤٤٢.

(٦) الأديم: الجلد. لسان العرب، مادة (أدم) ١٢/٩.

(٧) لأسلنتك: من السلل: وهو الخروج بتأني و تدريج. النهاية ٢/٣٩٢.

عَائِشَةُ: فَسَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، يَقُولُ لِحَسَّانَ: «إِنَّ رُوحَ الْقُدُسِ لَا يَزَالُ يُؤَيِّدُكَ، مَا نَافَحْتَ عَنِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ»، وَقَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «هَجَاهُمْ حَسَّانُ فَشَفَى وَاشْتَفَى»^(١).

يقول القاضي عياض في شرح الحديث: «وفيه جواز هجو المشركين وأذاهم بكل ما يقدر عليه، وجواز سبهم وشتمهم في وجوههم وظهورهم، وأنه لا غيبة في كافر، ولا فاسق مُعلن بِفِسْقِهِ»^(٢).

وبدلاً كذلك على جواز هجاء المشركين، ما ارتجزه عبد الله بن رواحة رضي الله عنه بين يدي النبي ﷺ في عمرة القضاء، هاجياً مشركي قريش بقوله:

[بِحَرِّ الرِّجْزِ]

خَلُّوا بَنِي الْكُفَّارِ عَنْ سَبِيلِهِ الْيَوْمَ نَضْرِبُكُمْ عَلَى تَنْزِيلِهِ
ضَرْبًا يُزِيلُ الْهَامَ عَنْ مَقِيلِهِ وَيُذْهِلُ الْخَلِيلَ عَنْ خَلِيلِهِ

فقال له عمر رضي الله عنه: يا ابن رواحة! بين يدي رسول الله ﷺ وفي حرم الله تقول الشعر؟! فقال له النبي ﷺ: «خَلِّ عَنْهُ يَا عُمَرُ، فَلَهِيَ أَسْرَعُ فِيهِمْ مِنْ نَضْحِ النَّبْلِ»^(٣).

يَتَضَحُّ مِنْ خِلَالِ مَا سَبَقَ، أَنْ شِعْرَ الْهَجَاءِ جَائِزٌ إِذَا وُجِّهَ لِأَعْدَاءِ الدِّينِ، دِفَاعاً عَنِ الدِّينِ، إِلَّا أَنَّ الْأَمْرَ لَيْسَ عَلَى إِطْلَاقِهِ، فَإِلَّا سَلَامُ دِينٍ حَرَصَ عَلَى الْارْتِقَاءِ بِالْمُسْلِمِ حَتَّى فِي تَعَامُلِهِ مَعَ أَعْدَائِهِ، فَوْضَعَ لَهُ أَسْئَاساً وَضَوَابِطَ، يَنْبَغِي عَلَيْهِ أَنْ يَلْتَزِمَهَا وَلَا يَتَعَدَّاهَا، حَتَّى لَا يَقَعَ فِيمَا حَرَّمَ اللَّهُ.

(١) صحيح مسلم، في فضائل الصحابة رضي الله عنهم، باب فضائل حسان بن ثابت رضي الله عنه ١٩٣٥/٤ (٢٤٩٠). وذكر الحديث مختصراً عند البخاري في المناقب، باب من أحب أن لا يُسبَّ نسبه ١٨٥/٤ (٣٥٣١).

(٢) إكمال المعلم بفوائد مسلم ٥٢٨/٧.

(٣) سبق تخريج الحديث. انظر: ص ٢٣.

فما هي الضوابط التي يجب أن يلتزمها الشاعر المسلم في هجائه للمشركين؟

أولاً- عَدَمُ ابتداء الهجاء.

لا يحِلُّ للمسلمينَ ابتداءُ المُشركينَ بالهجاء، تنزيهاً لألسنة المسلمين عن الفُحش، ومُخَافَةً التَّسبِيبِ بسبِّ المشركين للإسلام وأهله، بدليل قوله تعالى:

﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيْنًا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلُهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ١٠٨].

قال الحافظ ابن حجر: «يَجُوزُ سَبُّ المُشْرِكِ جواباً عن سبِّه للمسلمين ولا يعارضُ ذلك مُطْلَقُ النَّهْيِ عن سبِّ المشركين، لِثَلَا يَسُبُّوا المُسْلِمِينَ، لِأَنَّهُ مَحْمُولٌ عَلَى الْبَدَاءِ بِهِ لَا عَلَى مَنْ أَجَابَ مُنْتَصِراً»^(١).

وقال الطيبي: «يَجُوزُ هَجْوُ الكُفَّارِ وَأَذَاهُمْ مَا لَمْ يَكُنْ لَهُمْ أَمَانٌ... وَلَا يَجُوزُ ابْتِدَاءٌ»^(٢).

فإن قيل ما الدليل على أن النبي ﷺ أمرَ حساناً بهجاء المشركين انتصاراً منهم لهجوهم المسلمين؟

يتبيّنُ للمُتَأَمِّلِ في سبب ورود الحديث، أَنَّ النبي ﷺ إِنَّمَا أَمَرَ حَسَّانَ بْنَ ثَابِتٍ بِهَجَاءِ المشركين رَدًّا عَلَى طَعْنِهِمْ، لَا عَلَى سَبِيلِ الْإِبْتِدَاءِ، يَقُولُ ابْنُ الْمَلِّقِ^(٣): «فَالنَّبِيُّ ﷺ مُنَزَّهٌ عَنِ الْبَدْءِ بِالذَّمِّ»^(٤).

(١) فتح الباري ١٠/٣٤٤.

(٢) الكاشف عن حقائق السنن ١٠/٣١٠١.

(٣) عمر بن علي بن أحمد الأنصاري الشافعي، سراج الدين، أبو حفص ابن النحوي، المعروف بابن الملقن: من أكابر العلماء بالحديث والفقه وتاريخ الرجال. أصله من وادي آش (بالأندلس) ومولده ووفاته في القاهرة، له نحو ثلاثمائة مصنف منها: (البدر المنير) و(التذكرة في علوم الحديث) و(التوضيح لشرح الجامع الصحيح) توفي ٨٠٤ هـ. انظر: الضوء اللامع ٦/١٠٠-١٠٣، ذيل طبقات الحفاظ ص ٢٤٤، الأعلام ٥/٥٦-٥٧.

(٤) التوضيح لشرح الجامع الصحيح ٢٨/٥٥٩.

وأورد ابن بطّال هذا التساؤل وردّ عليه بقوله: «قول عائشة: (إنه كان ينافح عن رسول الله) يقتضى ذلك، تقول العرب: نافحت عن فلان ونفحت عنه إذا خاصمت عنه، والمخاصمة والمنافحة لا تكون إلا من اثنين؛ لأنها مفاعلة وكل مفاعلة تكون كذلك، ويبين هذا قوله —أي حسان— لأبي هريرة: نشدتك الله هل سمعت النبي يقول: يا حسان أجب عن رسول الله؟^(١) قال: نعم. فبان أن هجاء المشركين إنما كان مجازاةً لهم على قبيح قولهم»^(٢).

ومما قاله حسان بن ثابت رضي الله عنه في الردّ على هجاء المشركين استجابةً لأمر رسول الله ﷺ:

[بجر الوافر]

هَجَوْتُ مُحَمَّدًا فَأَجَبْتُ عَنْهُ	وَعَنْدَ اللَّهِ فِي ذَاكَ الْجَزَاءُ
هَجَوْتُ مُحَمَّدًا بَرًّا حَنِيفًا ^(٣)	رَسُولَ اللَّهِ شَيْمَتُهُ الْوَفَاءُ
فَإِنَّ أَيْ وَوَالِدَهُ وَعَرَضِي	لِعَرَضِ مُحَمَّدٍ مِنْكُمْ وَقَاءُ
تَكَلِّتُ بُنَيِّي إِنْ لَمْ تَرَوْهَا	تُثِيرُ النَّفْعَ ^(٤) مِنْ كَنْفِي كَدَاءٍ ^{(٥)(٦)}

(١) الحديث في صحيح البخاري، في الأدب، باب هجاء المشركين ٣٦/٨ (٦١٥٢). وفي صحيح مسلم، في فضائل الصحابة رضي الله عنه، باب فضائل حسان بن ثابت رضي الله عنه ١٩٣٢/٤ (٢٤٨٥).

(٢) شرح صحيح البخاري لابن بطّال ٣٢٦/٩.

(٣) البَرّ: هو الصادق. لسان العرب، مادة (برر) ٥٢/٤. الحنيف، هو الذي يميل إلى الحق. لسان العرب، (حنف) ٥٧/٩.

(٤) النَّفْع: هو الغبار الساطع. لسان العرب، مادة (نفع) ٣٦٢/٨، أي ترفع الغبار وتُهَيِّجُهُ. شرح صحيح مسلم للنووي ٥٢/١٦.

(٥) كنفي كداء: جانبي كداء، وهي ثنية على باب مكة، وقيل بأعلى مكة عند المحصب دار النبي ﷺ من ذي طوى إليها. انظر: معجم البلدان ٤٣٩/٤، شرح صحيح مسلم للنووي ٥٢/١٦.

(٦) من الملاحظ اختلاف حركة الروي في البيت الرابع وكسرهما مع أنها مضمومة في سائر الأبيات السابقة، وهذا ما يسميه الشعراء (الإقواء) وهو: اختلاف المجرى الذي هو حركة الروي المطلق بكسر أو ضم، يُعَدُّ من عيوب الشعر. علم العروض والقافية ص ١٦٧.

يُبَارِينَ الْأَعْنَةَ^(١) مُصْعِدَاتٍ^(٢) عَلَى أَكْتَفِيهَا الْأَسْلُ الظَّمَاءُ^(٣)
تَظَلُّ جِيَادُنَا مُتَمَطَّرَاتٍ^(٤) تُلَطَّمُهُنَّ بِالْحُمْرِ النَّسَاءُ^(٥)
فَإِنْ أَعْرَضْتُمُو عَنَّا اعْتَمَرْنَا وَإِلَّا فَاصْبِرُوا لِضَرَابِ يَوْمٍ
وَقَالَ اللَّهُ قَدْ أَرْسَلْتُ عَبْدًا وَقَالَ اللَّهُ: قَدْ يَسَّرْتُ جُنْدًا
لَنَا فِي كُلِّ يَوْمٍ مِنْ مَعَدٍّ فَمَنْ يَهْجُو رَسُولَ اللَّهِ مِنْكُمْ
وَجَبْرِيلُ رَسُولُ اللَّهِ فِينَا وَيَمْدَحْهُ وَيَنْصُرْهُ سَوَاءٌ^(٦)
وَرُوحُ الْقُدُسِ لَيْسَ لَهُ كِفَاءٌ^(٧) يُعِزُّ اللَّهُ فِيهِ مَنْ يَشَاءُ
يَقُولُ الْحَقُّ لَيْسَ بِهِ خَفَاءُ هُمْ الْأَنْصَارُ عُرَضَتْهَا اللَّقَاءُ
سِبَابٌ أَوْ قِتَالٌ أَوْ هِجَاءُ

(١) الأعنة: مفرد العنان وهو الحبل واللجام الذي يُربط للفرس. لسان العرب، مادة (عنن) ٢٩٢/١٣. أي أنها لصرامتها وقوة نفوسها تضاهي أعتها بقوة جذها لها، وهي منازعتها لها أيضاً. شرح صحيح مسلم للنووي ٥٢/١٦.

(٢) مصعدات: مقبلات إليكم ومتوجهات نحوكم. لسان العرب، مادة (صعد) ٢٥٣/٣.

(٣) الأسل الظماء: الأسل هي الرماح. لسان العرب، مادة (أسل) ١٥/١١. أي أن الرماح عطشى لخوض المعارك وسفك الدماء. انظر: ديوان حسان بن ثابت ص ١٩.

(٤) متمطرات: تمطرت الخيل، أي ذهبت مسرعة، وجاءت متمطرة أي جاءت مسرعة يسبق بعضها بعضاً. انظر: لسان العرب، مادة (مطر) ١٧٩/٥.

(٥) أي تمسحهن النساء بخمرهن، وهذا لعزتها وكرامتها عندهم. شرح صحيح مسلم للنووي ٥٢/١٦، قال ابن الأثير: أي يَنْفُضْنَ ما عليها من الغبار، فاستعار له اللطم. لسان العرب، مادة (لطم) ٥٤٤/١٢.

(٦) أي إن مدحكم لرسول الله ﷺ وهجاءكم إياه سواء، وكل ذلك لا ينفعكم لأنكم أدلة. ديوان حسان بن ثابت ص ٢٠.

(٧) سبق تخريج الحديث انظر: ص ١٥٣. والأبيات في ديوان حسان بن ثابت بترتيب مختلف ضمن قصيدة كاملة ص ٢١-١٩.

ثانياً - عدم التعدي بالهجاء.

أجازَ الإسلام الردَّ على هِجاءِ المشركين والانتصار للحَقِّ، إلا إنَّ من أهم الضوابط التي يجب على الشَّاعر المسلم أن يُراعيها في هِجائه، أن لا يتعدَّى إلى من لا ذنبَ له، فيطأُلهُ بدون وجهِ حق.

فينبغي على الشَّاعر المسلم أن يُخصَّصَ بهِجائه مَنْ ابتدأه القول، وأن يبتعدَ عن التعميم فيصيب بريئاً لا ذنبَ له.

واستدلَّ على ذلك بالحديث الذي روته السيدة عائشة رضي الله عنها عن رسول الله ﷺ أَنَّهُ قال: «إِن أَعْظَمَ النَّاسَ فِرْيَةً، لَرَجُلٌ هَاجَى رَجُلًا، فَهَجَى الْقَبِيلَةَ بِأَسْرِهَا، وَرَجُلٌ انْتَفَى مِنْ أَبِيهِ وَرَزَى ^(١) أُمَّهُ» ^(٢).

يقول صاحب التنوير في شرح الحديث: «شاتم القبيلة (بأسرها) أعظم فِرْيَةٍ لأنه شتم من لا ذنبَ له، وسبَّ مَنْ لا يعرفه وهتك كَمَ مِنْ عَرَضٍ مَصُونٍ، ولأنَّ الشَّتْمَ بالشَّعر يستَحْلِيهِ اللِّسَانُ ويرويه كُلُّ إِنْسَانٍ ويبقى على مَرِّ الأَزمان» ^(٣).

فالذُّمُّ في الحديث، ليس ذمًّا لذاتِ الهجاء مُطلقاً، وإنما مخصوصٌ في كونه اشتطَّ فتعدَّى إلى من لا ذنبَ له.

ويُستدلُّ كذلك بحديث عائشة رضي الله عنها قالت: استأذنَ حَسَّانُ بن ثابت رسول الله ﷺ في هِجاءِ المُشركين فقال رسول الله ﷺ: «كَيْفَ بِنَسَبِي؟» فقال حَسَّانُ رضي الله عنه: والذي أكرمَكَ لَأَسْلَنَّكَ مِنْهُمْ كَمَا تُسَلُّ الشَّعْرَةُ مِنَ الْعَجِينِ ^(٤).

(١) من التزنية، أي نسبها إلى الزنا، لأن كونه ابناً للغير لا يكون إلا بذلك. انظر: لسان العرب، مادة (زني) ٣٥٩/١٤.

(٢) سبق تخريج الحديث انظر: ص ٤٩.

(٣) التنوير شرح الجامع الصغير ٥٠٧/٢.

(٤) سبق تخريج الحديث انظر: ص ١٥٣.

المقصود بقول النبي ﷺ: «كيف بنسي؟»، أي كيف تهجو قريشاً مع اجتماعي معهم في نسب واحد، أو كيف تهجوهم ونسي فيهم فرما يصيني شيء من الهجو، ولا شك أن من سُبَّ أصله لحقه الأذى، وأن من عاب جميع المشركين فقد عاب النبي ﷺ، لأن نسبه داخل فيهم^(١).

فأجابه حسان ﷺ يُطمئنه، أنه سيهجوهم هجاء يختص بهم، فلا يلحق النبي ﷺ منه شيء، وشبهه ﷺ بإخراجه للرسول ﷺ ونسبه من الهجاء بإخراج الشعرة من العجين، «فالشعرة إذا أُخرجت من العجين لا يتعلّق بها منه شيء لنعومتها، بخلاف ما إذا سُلّت من العسل مثلاً فإنّها قد يعلّق بها منه شيء، وأما إذا سلت من الخبز فإنّها قد تنقطع»^(٢).

قال ابن بطّال: «أي لأخلصنك من بينهم بالسلامة من الهجاء، أي أهجوهم بما لا يقدح في نسبهم الماس له عليه السلام، ولكن أهجوهم بسوء أفعالهم وبما يخصهم عارة في أنفسهم، وتبقى فيهم وصمة من الأخلاق والأفعال المذمومة التي طهر الله نبيه منها ونزّهه من عيبها»^(٣).

وقد فعل ﷺ فقال فيهم شعراً يجمع بين مدح النبي ﷺ وهجوهم^(٤)، وهو قوله:

[بحر الطويل]

وَإِنَّ سَنَامَ^(٥) الْمَجْدِ مِنْ آلِ هَاشِمٍ بَنُو بِنْتِ مَخْزُومٍ^(٦) وَوَالِدِهِ الْعَبْدُ^(٧).

(١) انظر: فتح الباري ٥٥٤/٦، إرشاد الساري ٢٠/٦.

(٢) فتح الباري ٥٥٤/٦، وانظر: إرشاد الساري ٢٠/٦، منار القاري ٢٣٤/٤.

(٣) شرح صحيح البخاري لابن بطّال ٣٢٧/٩.

(٤) منار القاري ٢٣٤/٤.

(٥) سنām المجد: أعلاه. لسان العرب، مادة (سنم) ٣٠٦/١٢.

(٦) هي فاطمة بنت عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم.

(٧) البيت في ديوان حسان بن ثابت ﷺ ص ٩٩.

ثالثاً- إظهار النكاية بالهجاء.

يَتَوَجَّبُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ الدَّفَاعُ عَنْ أَنْفُسِهِمْ وَعَنْ دِينِهِمْ بِكُلِّ مَا اسْتَطَاعُوا مِنَ الْقُوَّةِ، دُونَ التَّهَانُونَ مَعَ أَعْدَائِهِمْ، فإِظْهَارُ النَّكَايَةِ بِهَجَاءِ الْمُشْرِكِينَ مِنَ الْأُمُورِ الْمُنْدُوبَةِ؛ لِمَا فِيهِ مِنْ كَفٍّ أَذَاهُمْ بِهَجْوِهِمُ الْمُسْلِمِينَ؛ إِذَا عَلِمُوا أَنَّهُمْ يُجَازُونَ عَلَى قَوْلِهِمْ وَيَجَابُونَ عَنْ أَشْعَارِهِمْ بِأَشَدِّ الْكَلَامِ^(١).

وَيُذَلُّ عَلَى ذَلِكَ فِعْلُ النَّبِيِّ ﷺ فِي حَدِيثِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا الَّذِي تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ، حِينَ انْتَدَبَ شُعْرَاءُ لِهَجَاءِ الْمُشْرِكِينَ، فَقَالَ: «اهْجُوا قُرَيْشًا...»، يَقُولُ الْإِمَامُ النَّوَوِيُّ فِي شَرْحِ الْحَدِيثِ: «وَأَمَّا أَمْرُهُ ﷺ بِهَجَائِهِمْ وَطَلْبُهُ ذَلِكَ مِنْ أَصْحَابِهِ وَاحِدًا بَعْدَ وَاحِدٍ، وَلَمْ يَرْضَ قَوْلَ الْأَوَّلِ وَالثَّانِي، حَتَّى أَمَرَ حَسَّانَ، فَاَلْمَقْصُودُ مِنْهُ النَّكَايَةُ فِي الْكُفَّارِ، وَقَدْ أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى بِالْجِهَادِ فِي الْكُفَّارِ وَالْإِغْلَازِ عَلَيْهِمْ وَكَانَ هَذَا الْهَجْوُ أَشَدَّ عَلَيْهِمْ مِنْ رَشْقِ النَّبْلِ، فَكَانَ مُنْدُوبًا لِذَلِكَ مَعَ مَا فِيهِ مِنْ كَفٍّ أَذَاهُمْ وَبَيَانِ نَقْصِهِمْ وَالْإِنتِصَارِ بِهَجَائِهِمُ الْمُسْلِمِينَ»^(٢).

وَفِي قَوْلِهِ ﷺ: «فَإِنَّهُ أَشَدُّ عَلَيْهَا مِنْ رَشْقِ النَّبْلِ»، كُنَايَةٌ عَنِ الْقُوَّةِ، لِأَنَّ الرِّشْقَ هُوَ رَمِي السَّهَامِ عَلَى يَدٍ وَاحِدَةٍ، لَا يَتَقَدَّمُ مِنْهَا شَيْءٌ عَلَى الْآخَرِ، وَهَكَذَا يَرْمِي الْمُشْرِكُونَ بِالشَّعْرِ بِكُلِّ قُوَّةٍ كَمَا يَرْمُونَ بِالنَّبْلِ^(٣).

امْتِدَاداً لِهَذَا الْمَوْقِفِ نَجِدُهُ ﷺ يُشِيدُ بِحَسَّانَ بْنِ ثَابِتٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «هَجَاهُمْ حَسَّانُ فَشَقَى وَاشْتَقَى»^(٤).

(١) انظر: إكمال المعلم بفوائد مسلم ٥٢٨/٧.

(٢) شرح صحيح مسلم للنووي ٤٨/١٦.

(٣) انظر: إكمال المعلم بفوائد مسلم ٥٢٨/٧.

(٤) سبق تخريج الحديث انظر: ص ١٥٣.

قال القاضي عياض: «وقوله عليه السلام: هجاهم حسان، فشفى واشتفى، أي شفى المؤمنين من العَمِّ والهَمِّ بهجوه لهم، وكفَّ أذاهم، وشفى هو أيضاً نفسه من ذلك»^(١).

ويجِبُ كذلك أن يكونَ الهجاءَ شامِلاً، يجمعُ نقاطَ القوة عند المسلمين ليُصيبَ بها نقاطَ الضَّعفِ لدى المشركين، دونَ تهاوٍ ولا رحمة، ولتحقيقِ ذلك كُلِّه، لا بُدَّ أن يكونَ الناظمُ للهجاءِ على قدرٍ من البلاغة والفصاحة؛ وهذا يُفسِّرُ اختيارَ النبي ﷺ لحسان بن ثابت دون غيره.

فقد خصَّ رسولُ الله ﷺ حسانَ بن ثابتَ بالعناية والرعاية أكثرَ من الشعراءِ الآخرين؛ لأثرِ شعره الكبيرِ في المشركين، ولأنه كانَ أعظمَ شعراءِ الفريقين، فكانَ المشركونَ يفرِّقونَ من لسانه، ويفرِّغونَ من شعره^(٢). رضيَ الله عن حسانَ بن ثابتَ وجزاه بدِّفاعه عن النبي ﷺ ووقوفه في وجهِ المشركينَ خيرَ الجزاءِ.

رابعا- الاقتصار على هجو الصفات المكتسبة.

ينبغي الاقتصارُ في الهجاءِ على هجوِ الصفاتِ المكتسبة، أو الصفاتِ النفسية التي يملكُ الإنسانُ تغييرها مثل: الكفر والجبن والشر والبخل وغيرها، وتجنُّبُ الصفاتِ الخَلْقِيَّةِ التي أودعها الله في خلقِ الإنسانِ دونَ اختيارٍ منه لها مثل: القصر والعمور والبياض والسواد...الخ.

فيكونُ الهجاءُ بهجوِ سَيِّئِ الأفعالِ والخِصالِ، والأخلاقِ المذمومة، التي تكونُ وصمة عارٍ في نفوسِ المشركينَ على مرِّ الزمانِ، التي طَهَّرَ الله نبيَّه منها ونَزَّهَهُ من عيبها^(٣).

(١) إكمال المعلم بفوائد مسلم ٥٢٩/٧.

(٢) الإسلام والشعر ص ٥٠.

(٣) انظر: شرح صحيح البخاري لابن بطَّال ٣٢٧/٩، التوضيح لشرح الجامع الصحيح ٥٦١/٢٨، إرشاد الساري ٩٣/٩.

ومثال ذلك ما قاله عبد الله بن رواحة رضي الله عنه حين هجا المشركين قائلاً:

[بحر الطويل]

وَعَدْنَا أَبَا سُفْيَانَ بَدْرًا فَلَمْ يَجِدْ لِمِيعَادِهِ صِدْقًا وَمَا كَانَ وَافِيًا
فَأُقْسِمُ لَوْ وَافَقْتَنَا فَلَقَيْنَا لَأُبْتَ دَمِيمًا وَافْتَقَدْتَ الْمَوَالِيَا^(١)
تَرَكْنَا بِهِ أَوْصَالَ عُتْبَةَ وَابْنَهُ وَعَمْرًا أَبَا جَهْلٍ تَرَكْنَاهُ ثَاوِيَا^(٢)
عَصَيْتُمْ رَسُولَ اللَّهِ أَفْ لِدِينِكُمْ وَأَمْرُكُمْ السَّيِّئِ الَّذِي كَانَ غَاوِيَا^(٣)

يهجو عبد الله بن رواحة رضي الله عنه في هذه الأبيات أبا سُفْيَانَ ويذكره بالهزيمة التي ألحقها المسلمون بالمشركين يوم بدر، ثُمَّ يهجو حال المشركين لعصيانهم للرسول صلَّى الله عليه وآله وضلالهم عن الحق، وهذا من الأمور المكتسبة والخيارات التي يملك الإنسان زمامها. فالخلاصة، أَنَّ ما سَلَفَ ذكره من الضوابط، يجب أن تقترن بشعر الهجاء حتى يكون داخلاً في حدود الهجاء المأذون به شرعاً.

(١) المواليا: الحلفاء وذوي. القرابة. انظر: لسان العرب، مادة (ولي) ٤٠٨/١٥ - ٤٠٩.

(٢) ثاويًا: من الثواء والثوي وهو طول المقام، والمعنى: مُقيماً حيث قُتِل. انظر: لسان العرب، مادة (ثوي) ١٢٦/١٤.

(٣) سيرة ابن هشام ٢/٢١١، البداية والنهاية ٤/٨٨. قال ابن هشام: «أنشدنيها أبو زَيْد الأنصاري لكعب بن مالك».

المبحث الثالث

الغزل في السُّنة النبوية.

وفيه ثلاثة مطالب:

- المطلب الأول: تعريف الغزل والفرق بينه وبين النسيب والتشبيب.
- المطلب الثاني: المقدمة الغزلية بين الجاهلية والإسلام.
- المطلب الثالث: ضوابط الغزل في السُّنة النبوية.

➤ المبحث الثالث: الغزل في السُّنة النبوية.

الحُبُّ من أنبلِ العواطفِ التي عرفها الإنسان منذُ بدايته الأولى، وقد شغلت هذه العاطفة كثيراً من الأدباء على مرِّ العصور، فقاموا بالتعبير عنها بِشَتَّى الطرق، فلا تكادُ تجدُ أدباً يخلو على امتداد تاريخه من الغزل والنسيب والتشبيب، وقد برزَ الحُبُّ في الأدب العربي في إطار غرضٍ شعريٍّ يسمى (الغزل)، استخدمه الشعراءُ للتعبيرِ عن مكنونِ عاطفةِ الحُبِّ والشوقِ في قلوبهم، فأولوه اهتماماً واسعاً، حتى بات استهلال القصائد بالغزل، بصورة طبيعية أو متكلفّة، تقليداً مُتّبِعاً من قبل أكثر الشعراء، كما نجدُه أيضاً مُستَقِلاً في قصائد غزلية كاملة، لا يخالطه غرض آخر من أغراض الشعر وموضوعاته^(١).

● المطلب الأول: تعريف الغزل والفرق بينه وبين النسيب والتشبيب.

أصلُ مصطلح الغزل في اللغة من (الغَزَلَ)، وهو إدارة وفتل المِغْزَل للغزل.

قال الزَّجَاجِي^(٢): «أصلُ المغازلة، من الإدارة والقتل، لأنه إدارةٌ عن أمر، ومنه سُمِّيَ المِغْزَلُ لاستدارته وسُرعة دورانه، وسُمِّيَ الغزال غزلاً لِسرعته، وسُمِّيَت الشمس الغزالة لِسرعتها واستدارتها»^(٣).

«فيقال غزَلَتِ المرأةُ القطن والصوف، أي أدارتهما بالمِغْزَل، فكما تُديرُ الغازلةُ مِغْزَلَهَا لتغزَلَ به القطن ونحوه، كذلك يُديرُ الشَّاعِرُ مِغْزَلَ فَنِّهِ لاستمالةِ المرأة واستهوائها»^(٤).

(١) انظر: المعجم المفصل في اللغة والأدب ص ٩٠٢.

(٢) عبد الرحمن بن إسحاق النهاوندي الزجاجي، أبو القاسم، شيخ العربية في عصره. ولد في نهاوند، ونشأ في بغداد، وتلمذ على إبراهيم السري الزجاج فنسب إليه وعُرفَ به، ثُمَّ سكن دمشق وانتفع الناس به وتخرجوا عليه. له مُصنّفات عديدة منها: كتاب (الجمال الكبرى) وهو كتابٌ مبارك لم يشتغل به أحدٌ إلا وانتفع به، وله أيضاً (الإيضاح في علل النحو) و (الزاهر) في اللغة، وغيرها. توفي في طبرية من بلاد الشام سنة ٣٣٧هـ. انظر: وفيات الأعيان ١/١٣٦، بغية الوعاة ٧٧/٢.

(٣) أخبار أبي القاسم الزجاجي ص ٦٥.

(٤) مقال بعنوان: (الغزل الأموي) للكاتبة: نعيمة براندوجي، موقع ديوان العرب www.diwanalarab.com

قال في اللسان: الغزل حديثُ الفتيان والفتيات. ومُعَاذَلَةُ النِّسَاءِ مُحَادَثَتُهُنَّ وَمُرَاوَدَتُهُنَّ. والتَّغَزُّلُ هو تَكْلُفُ الغزل^(١). قال ابن سِيَدَه^(٢): الغزلُ اللَّهْوُ مع النِّسَاءِ^(٣).

أَمَّا الغَزْلُ في الاصطلاح الأدبي: «فهو غَرَضٌ من أغراضِ الشَّعرِ الغنائي، موضوعه الحبُّ، وقوامه ذِكْرُ المرأةِ ووصفُ محاسنها الخُلُقِيَّةِ، ومفاتنِها الجَمَالِيَّةِ، والتعبيرُ عما يختلج في نفس العاشق من تباريحِ الهوى، وما يَعْرِضُ له في حُبِّه من أحداثٍ ومُفاجآت، ومن وَصلٍ وحرمان، ومن مغامرات وذكريات. ومنه النسيب والتشبيب وهما: تَرْقيقُ الشَّعرِ، وتطريته بذكر المرأة، واستعادةِ أَيَّامِ الشَّباب، وذكريات العِشْقِ والتَّوَلُّه»^(٤).

وقد فاضَ الغزلُ بألفاظٍ كثيرةٍ توافق هذه المعاني التي عَرَضَ لها الشُّعراءُ، وتوافق هذه العاطفة، ومن أهم هذه الألفاظ: النَّسِيبُ والتَّشْبِيبُ.

فما علاقة هذه الألفاظ ببعضها؟، وكيف تتداخل معانيها؟

بالعودة إلى أمهات كتب اللغة، نجدُ أن الغزلَ والنَّسِيبَ والتَّشْبِيبَ، ألفاظٌ مُترادِفةٌ، تَحْمِلُ المعنى نفسه، فاللغويون يُعرِّفونَ إحدى هذه الكَلِمات بالأخرى:

فقد ورد عن ابن سيده قوله: الغزلُ تحديثُ الفتيان الجوّاري، والنَّسِيبُ التَّغَزُّلُ بَهْنٍ في الشَّعرِ^(٥)، والتَّشْبِيبُ مثله^(٦).

(١) لسان العرب، مادة (غزل) ٤٩٢/١١.

(٢) علي بن إسماعيل، المعروف بابن سيده، أبو الحسن، إمام في اللغة وآدابها. ولد بمرسية (في شرق الأندلس)، كان ضريباً (وكذلك أبوه)، وقد اشتغل بنظم الشَّعر مدة، له كتاب (المخصص) وكتاب (المحكم) في اللغة، وكتاب (الأنيق) في شرح الحماسة، توفي في دانية، بشرق الأندلس، سنة ٤٥٨ هـ. انظر: معجم الأدباء ١٦٤٨/٤، وفيات الأعيان ٣٣٠/٣.

(٣) المحكم والمحيط الأعظم ٤٤٥/٥.

(٤) المعجم المفصل في اللغة والأدب، مادة (غزل)، ص ٩٠٢.

(٥) انظر: المخصص ٣٧٥/١ - ٣٩٧/٤.

(٦) المحكم والمحيط الأعظم ٦٢٦/٧.

وورد في اللسان: أنَّ النسيب، التشبيب بالنساء في الشعر والتَّغزل^(١). والتَّشبيب، النسيب بالنساء، وتشبيب الشعر: تزيين أوله بذكر النساء، وهو من تشبيب النار وتأريثها. وشبَّ بالمرأة: قال فيها الغزل والنسيب؛ وهو يُشبَّب بها أي ينسب بها^(٢). ويرى ابن رشيق أنَّ التغزل والنسيب والتَّشبيب، كلها بمعنى واحد^(٣).

وقد حاول بعض القدماء أن يُفرِّقوا بين هذه الألفاظ، ومنهم الخطيب التبريزي^(٤) الذي يرى: «أنَّ النسيب، ذكر الشاعر المرأة بالحسن والإخبار عن تصرُّف هواها به، وليس هو الغزل، وإنما الغزل الاشتهار بالموذات للنساء والصَّبوة إليهن، والنسيب ذكر ذلك»^(٥).

أمَّا في العصر الحديث فقد ظهرت اجتهادات مختلفة لتحديد هذه الكلمات، ومنح كلٍّ منها تعريفاً خاصاً يميِّزه عن سابقه^(٦)، إلا أننا نلاحظ في الغالب اتفاقاً على كون التشبيب، مقتصرًا على شعر الرجل في المرأة دون العكس، وعلى كونه مختصًا بمطلع القصائد لترقيقها والتمهيد لها.

(١) لسان العرب، مادة (نسب) ٧٥٦/١.

(٢) لسان العرب، مادة (شب) ٤٨١/١.

(٣) العمدة ١١٧/٢.

(٤) التبريزي: يحيى بن علي بن محمد الشيباني التبريزي، أبو زكريا، من أئمة اللغة والأدب، حجة صدوق ثبت، أصله من تبريز، ونشأ ببغداد ورحل إلى بلاد الشام، ثم عاد إلى بغداد، فقام على خزانة الكتب في المدرسة النظامية إلى أن توفي. من كتبه (شرح ديوان الحماسة لأبي تمام) و(تهذيب إصلاح المنطق لابن السكيت) و(شرح سقط الزند للمعري). توفي سنة ٥٠٢ هـ. انظر: معجم الأدباء ٢٨٢٣/٦-٢٨٢٤، وفيات الأعيان ١٩١/٦.

(٥) شرح ديوان الحماسة ٥٩/٢.

(٦) حدد الأستاذ محمد هاشم عطية في تحديد معنى خاص لكل من الغزل والنسيب والتشبيب، فقال: «ويترجح عندنا أن الغزل هو الاشتهار بموذات النساء، وتتبعهن، والحديث إليهن، والبعث بذلك في الكلام، وإن لم يتعلق القائل منهن بهوى أو صبا، وأمَّا التشبيب فهو ما يقصد إليه الشاعر من ذكر المرأة في مطالع الكلام، وما يضاف إلى ذلك من ذكر الرسوم، ومساءلة الاطلاع، توحياً لتعليق القلوب وتقييد الأسماع قبل المفاجأة بغرضه من الكلام... وأمَّا النسيب فهو أثر الحب وتزيين الصبا، فيما يثبه الشاعر من الشكوى وما يصفه من التَّجني وما يعرض له من ذكر محاسن النساء»، وقد اتفق معه الأستاذ السباعي بيومي في كون التشبيب هو الغزل التمهيدي، وخالفه في غير ذلك. انظر: الأدب العربي وتاريخه في العصر الجاهلي ص ١١٠، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ١٤٥/١٧.

وقد وردت لفظة التشبيب بالحديث الذي أخرجه الشيخان عن مسروقٍ أنه قال: دخلتُ على عائشة رضي الله عنها، وعندها حسانُ بن ثابت يُنشدُها شعراً يُشَبِّبُ^(١) بأبياتٍ له، فقال:

[بحر الطويل]

حَصَانٌ^(٢) رَزَانٌ^(٣) مَا تُزْنُ^(٤) بِرَبِيَّةٍ وَتُصْبِحُ غَرْنِي^(٥) مِنْ لُحُومِ الْعَوَافِلِ^(٦) ^(٧).

قال الحافظ ابن حجر في الفتح شارحاً للفظ التشبيب الواردة في الحديث: «يقال شَبَّبَ الشاعر بفلانة أي عَرَّضَ بحبها وذكر حُسْنَهَا، والمرادُ ترقيق الشعر بذكر النساء، وقد يُطلق على إنشاد الشعر وإنشائه ولم يكن فيه غزل»^(٨).

(١) قال الإمام النووي: «أما قوله يشبب فمعناه يَتَغَزَّلُ». شرح صحيح مسلم للنووي ٤٦/١٦.

(٢) حَصَان: أصل الإحصان هو المنع، والمرأة الحصان، هي المرأة العفيفة التي تكون مُحَصَّنَةً بالإسلام والعفاف. النهاية ٣٧٩/١، لسان العرب، مادة (حصن) ١٢٠/١٣.

(٣) رزان: امرأة رزان، إذا كانت ذات ثباتٍ ووقارٍ وعفاف. النهاية ٢٢٠/٢، لسان العرب، مادة (رزن) ١٧٩/١٣.

(٤) زَنَّهُ بكذا أو أَزَنَّهُ، إذا اتهمه به وظنَّه فيه. فالمعنى، أنها لا تُرمى ولا تُتَّهَمُ بتهمة. النهاية ٣١٦/٢، لسان العرب، مادة (زنن) ٢٠٠/١٣.

(٥) غرني: جائعة خالية البطن. النهاية ٣٥٣/٣، لسان العرب، مادة (غرث) ١٧٢/٢.

(٦) العوافل: مفردُها الغافلة وهي العفيفة الغافلة عن الشر. والمراد بكونها جائعة من لحوم الغوافل أنها لا تغتابُ أحداً من الناس، لأن من اغتابَ أحداً فقد أكل لحمه. منة المنعم في شرح صحيح مسلم ١٣٦/٤.

(٧) صحيح البخاري، في المغازي، باب حديث الإفك ١٢١/٥ (٤١٤٦). صحيح مسلم، في الفضائل، باب فضائل حسان بن ثابت رضي الله عنه، ١٩٣٤/٤ (٢٤٨٨). البيت في ديوان حسان بن ثابت رضي الله عنه ص ٢٠٥. وهذا البيت هو مطلع أبياتٍ قالها حسان رضي الله عنه يعتذر من السيدة عائشة رضي الله عنها من الذي كان منه في حادثة الإفك، وذكر ابن هشام عن أبي عبيدة أنَّ هذا البيت هو من قول امرأة كانت تمدح ابنة حسان بن ثابت عند عائشة فقالت، فقالت لها عائشة: لكن أبوها!! ويقول الحافظ ابن حجر تعليقا على رواية ابن هشام هذه: «لأن كان محفوظاً أمكن تعدد القصة ويكون قوله في بعض طرق رواية مسروق يشبب ببنت له، ويكون نُظِمَ حسان في بنته لا في عائشة وإنما تمثَّل به». انظر: سيرة ابن هشام ٣٠٧/٢، فتح الباري ٤٨٦/٨.

(٨) فتح الباري ٤٨٥/٨.

فقد يُرادُ بلفظة التشبيب في بعض الأحيان إنشاد الشعر بشكل عام دون ذكر الغزل، ومن ذلك ما ورد في حديث أم مَعْبُد: «فَلَمَّا سَمِعَ حَسَّانَ الْهَاتِفَ بِذَلِكَ، شَبَّ بِجَاوِبِ الْهَاتِفِ»^(١) أي ابتداءً في جوابه، من تشبيب الكُتُب، وهو الابتداء بها والأخذ فيها^(٢). إلا أنَّ غالبَ استعمال لفظة التشبيب هي في شعر الغزل وذكر النساء.

● المطلب الثاني: المقدمة الغزلية بين الجاهلية والإسلام.

كانَ للقصيدة في الشَّعر العربيِّ في العصر الجاهليِّ غالباً منهجٌ محدد، يسلكه الشاعر، فكانت القصيدة تبدأ بمقدمةٍ طليئةٍ غزلية، حيثُ يفتتحُ الشَّاعرُ قصيدته بمقدمةٍ يكي فيها على آثار دياره وديار من أحب، ويتغزلُ بمحبوبته، فيذكرها ويذكرُ تعلقَ قلبه بها، ويشكو هُجرانها له، ويحيي ذكرياته معها في تلك الدِّيار التي أفقرت من ساكنيها، فيُعَبِّرُ ببلاغة عن ما يختلجُ فؤاده من شوق وحنين^(٣).

يقول أبو هلال العسكري: «كانت العرب في أكثر شعرها تبتدئ بذكر الديار والبكاء عليها، والوجد بفراق ساكنيها»^(٤).

فعالبُ شعراء الجاهلية كانوا يُقدِّمون قصائدَهم بالغزل والنَّسيب، لافتين في ذلك انتباه السَّامعين، ومُستدعين أسماعهم، «لأنَّ النَّسيبَ قَرِيبٌ من النفوس، لائطٌ بالقلوب؛ لما قد جعل الله في تركيب العباد من محبة الغزل، وإلفِ النساء، فليس يكادُ أحدٌ يخلو من أن يكون مُتعلِّقاً منه بسبب وضارباً فيه بسهم، حلال أو حرام»^(٥).

(١) المستدرك على الصحيحين ١٠/٣، دلائل النبوة للأصبهاني ص ٣٣٧، دلائل النبوة للبيهقي ٢٧٦/١.

(٢) انظر: النهاية ٤٣٩/٢.

(٣) انظر: الشَّعر والشعراء ٧٥-٧٦، مقدمة القصيدة العربية في الشعر الجاهلي ص ١١٤.

(٤) الصناعتين ص ٤٥٢.

(٥) الشَّعر والشعراء ٧٦/١.

وقد راعى شعراءُ المُعلِّقات هذا المسلك في مطالعِ مُعلِّقاتهم المشهورة، ومثال ذلك معلقة طرفة بن العبد التي قدم لها بمقدمة طلبية غزلية، فقال في مطلعها:

[بحر الطويل]

لِحَوْلَةٍ أَطْلَالٍ بِرُقَّةٍ تَهْمَدُ^(١) تَلُوحُ كَبَاقِي الْوَشْمِ فِي ظَاهِرِ الْيَدِ^(٢)

وكذلك المُقدِّمة الغزلية لمعلِّقة الحارث بن حلزة اليشكري^(٣)، التي مطلعها:

[بحر الخفيف]

أَذْنَتْنَا^(٤) بَيْنَهَا^(٥) أَسْمَاءُ رَبِّ ثَاوٍ^(٦) يَمْلُ مِنْهُ الشَّوَاءُ^(٧)

والخلاصة أنَّ استهلال القصائد بالغزل، كَانَ قَاعِدَةً عَامَةً من قَوَاعِدِ النَّظْمِ، وَتَقْلِيداً مُتَّبَعاً من تَقَالِيدِهِ الْأَصُولِيَّةِ الْمَأْثُورَةِ لَدَى الشُّعْرَاءِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ.

(١) البُرَّة: هي الحلة والقرية، وُرُقَّة تهمد: هي لبني دارم. معجم البلدان ٣٩٢/١.

(٢) معنى البيت: لهذه المرأة أطلال ديار بالموضع الذي يخالط أرضه حجارة وحصى من تهمد، فتلمع تلك الأطلال لمعان بقايا الوشم في ظاهر الكف، شبه لمعان آثار ديارها ووضوحها بلمعان آثار الوشم في ظاهر الكف. شرح المعلقات السبع للزوزني ٨٩/١. والبيت في ديوان طرفة بن العبد ص ١٩.

(٣) هو الحارث بن حلزة بن مكروه بن يزيد اليشكري الوائلي، فارسٌ مقدّمٌ وشاعرٌ جاهليٌّ مجيد، من أهل بادية العراق، وهو أحد أصحاب المعلقات. كان سيداً من سادات بكر، وكان أبرص فخوراً، ارتحل معلقته بين يدي عمرو بن هند الملك بالحيرة، وقد جمع بما كثيراً من أخبار العرب ووقائعهم حتى صار مضرب المثل في الافتخار، فقيل: أفخر من الحارث بن حلزة، توفي ٥٤ ق.هـ. انظر: طبقات فحول الشعراء ١٥١/١، الشعر والشعراء ١٩٣/١.

(٤) أذنتنا: من الإيدان، وهو الإعلام. لسان العرب، مادة (أذن) ٩/١٣.

(٥) بينها: من البين، وهو الفرقة. لسان العرب، مادة (بين) ٦٢/١٣.

(٦) ثاوٍ: من الثواء والثوي، وهو طول المقام. لسان العرب، مادة (ثوي) ١٢٥/١٤.

(٧) يقول الزوزني في شرح البيت: أعلمتنا أسماء بمفارقتها إيانا، أي بعزمها على فراقنا، ثم قال: رب مقيم تمل إقامته ولم تكن أسماء منهم، يريد أنها وإن طالَّت إقامتها لم أملها، والتقدير: رب ثاوٍ يمل من ثوائه. شرح المعلقات السبع للزوزني ٢٦٩/١. والبيت في ديوان الحارث بن حلزة اليشكري ص ٦٦.

واستمرَّ الشعراءُ بعد ظهور الإسلام بالسَّير على هذا النهج الذي كانوا عليه في الجاهلية، فكانوا يبدؤون قصائدهم بالغزل التقليدي، وبالوقوف على الأطلال، ولم يكن أحدٌ يستنكر عليهم ذلك، فهذا كعب بن زهير بن أبي سلمى يقف بين يدي الرسول ﷺ مدحاً ويمدحه ويعتذرُ إليه عما بدر منه، ويفتح لاميته على عادة شعراء الجاهلية بمقدمة غزلية.

وقد حظيت لامية كعب بن زهير ﷺ بشهرة واسعة، فقد سارت بها الركبان، وتوارثتها السنون؛ نظراً لشرف الموقف الذي قيلت فيه، وجلالة من قيلت بين يديه. فإنشادها بين يدي الرسول ﷺ وإصغاؤه لها، وإعجابه بها، جعلها جزءاً من السنة النبوية ومصدراً من مصادر التشريع^(١).

إن الذي يُهمُّنا من القصيدة في مقامنا هذا، هو مقدِّمتها الغزلية التي صدرَ بها كعبُ أبيات لاميته، لأنَّ ثبوتَ سماع النبي ﷺ لها، إقرارٌ لما جاء فيها من مضمون الألفاظ والمعاني، وتحديدٌ لمعالم شعر الغزل الذي ارتضاه الإسلام.

من خلال الرجوع إلى كتب الحديث، يتَّضح أنَّ عدداً من أهل العلم قد نقل خبر إنشاد كعب بن زهير ﷺ قصيدته اللامية بين يدي الرسول ﷺ، مُقدِّمةً بهذه المقدمة الغزلية^(٢)، إلا أنَّ المصادر اختلفت في عدد أبياتها، التي تراوحت بين (اثني عشر إلى أربعة

(١) انظر: توثيق قصيدة بانت سعاد في المتن والإسناد ص ٦، مقال بعنوان: (قصيدة بانت سعاد، الإشكالية والحل)، لبدر بن علي المطوع، مجموعة مواقع مداد، www.midad.com

(٢) رواها بإسنادٍ موصول كل من: إبراهيم بن ديزيل في جزئه ص ٥٣، وابن أبي عاصم في الأحاد والمثاني ١٦٨/٥، والحاكم في المستدرک على الصحيحين ٦٧٠/٣ وقال الحاكم: «هذا حديثٌ له أسانيد قد جمعها إبراهيم بن المنذر الحزامي فأما حديث محمد بن فليح، عن موسى بن عقبة وحديث الحجاج بن ذي الرقبة فإنهما صحيحان»، والبيهقي في السنن الكبرى ٤١٨/١٠، وفي دلائل النبوة ٢٠٧/٥. وذكر الحافظ ابن حجر الحديث مُختصراً في نتائج الأفكار وقال: «هذا حديثٌ غريب، تفرَّد به إبراهيم بن المنذر بهذا الإسناد، وقد وقع لنا من وجهٍ آخر عنه مُطوَّلاً، وفيه سياق القصيدة بتمامها» نتائج الأفكار ٣٠١/١. كما رويت مُقدِّمة كعب بأكثر من طريق موقوفة على موسى بن عقبة، أو علي بن جدعان، أو محمد بن إسحاق. انظر: توثيق قصيدة بانت سعاد في المتن والإسناد ص ٤٥.

عشر بيتاً)، كما اختلفوا في التراكيب وألفاظ الأبيات ^(١).

وجاءت المقدمة الغزلية في رواية ابن ديزيل ^(٢) (في اثني عشر بيتاً) على النحو الآتي:

[بجر البسيط]

بَأَنْتَ ^(٣) سَعَادُ فَقَلْبِي الْيَوْمَ مَتَّبُولٌ ^(٤) مُتِّيمٌ ^(٥) عِنْدَهَا لَمْ يُفَدَ مَعْلُولٌ ^(٦)

(١) لعلَّ اختلاف عدد الأبيات راجع لاختلاف الطرق التي رويت منها، فالأبيات التي ثبتت في جميع الطرق، ثابتة لا محالة، أما الأبيات القليلة التي انفرد بها بعض الرواة، ولم يأت بها غيره فيُنظرُ فيها إلى حاله، فإن كان ثقة متقناً قُبِلَتْ منه، وعُدَّت من قبيل زيادة الثقة، وإن لم تكن كذلك، فهي شاذة لا يُحتج بها. قصيدة بانت سعاد الإشكالية والحل،

www.midad.com

(٢) ابن ديزيل: الإمام، الحافظ، الثقة إبراهيم بن الحسين بن علي الهمداني الكِسائي، المعروف بابن ديزيل. كان رحمه الله إذا وردَ على شيخٍ لم يفارقه حتى يستوعب ما عنده ويكتب جميع حديثه، فقد كان يُلقَّب بدابة عَقَّان ملازمته له. قال عنه الحاكم: «هو ثقةٌ مأمون»، وقال الذهبي: «إليه المنتهى في الإتقان». توفي -رحمه الله- سنة ٢٨١ هـ. انظر: سير أعلام النبلاء ١٣/١٨٤، الوافي بالوفيات ٥/٢٢٧.

(٣) بانت: من البين وهو الفراق، أي فارقت. انظر: لسان العرب، مادة (بين) ١٣/٦٢.

(٤) متبول: أي قلبه متبول، ويقال قلبٌ متبول إذا غلبه الحبُّ وتَيَّمه. انظر: لسان العرب، مادة (تبل) ١١/٧٦.

(٥) مُتِّيمٌ: من التَّيْم وهو ذهاب العقل من الهوى. لسان العرب، مادة (تيم) ١٢/٧٥.

(٦) مغلول: مُقَيَّد بالأغلال وأسير، وقد جاءت في بعض الروايات (مكبول) وهي بنفس المعنى. انظر: لسان العرب، مادة (غلل) ١١/٤٩٩. ومعنى البيت أن سعاد فارقت فتركت قلبه سقيماً ذليلاً مقيداً لا يجد لما هو فيه من خلاص.

ديوان كعب بن زهير بشرح السكري ص ١٠٩.

وَمَا سَعَادُ غَدَاةِ الْبَيْنِ^(١) إِذْ ظَعَنُوا^(٢) إِلَّا أَعْنُ^(٣) غَضِيضُ الطَّرْفِ^(٤) مَكْحُولُ^(٥)
تَجَلَّوْا عَوَارِضَ^(٦) ذِي ظَلَمٍ^(٧) إِذَا ابْتَسَمَتْ كَأَنَّهَا مِنْهَلٌ^(٨) بِالْكَأْسِ مَعْلُولُ^(٩)
شَجَّ^(١٠) السُّقَاةُ عَلَيْهِ مَاءٌ مَحْيَا^(١١) مِنْ مَاءٍ أَبْطَحَ^(١٢) أَمْسَى وَهُوَ مَشْمُولُ^(١٣)

(١) غداة البين: ساعة الرحيل، والغداة: وقت ما بين الفجر وطلوع الشمس، وهي أفضل أوقات الرحيل. انظر: لسان العرب، مادة (غدو) ١١٦/١٥.

(٢) ظعنوا: أي رحلوا، من الظعن وهو سيرُ البادية لتُجعة أو حضور ماءٍ أو طلب مَرَبَع، أو تحوُّل من بلد إلى بلد ومن ماءٍ إلى ماء. انظر: لسان العرب، مادة (ظعن) ٢٧١/١٣.

(٣) الأَعْنُ: الذي في صوته غَنَّة، وهي هنا بمعنى غزالٍ أَعْن. لسان العرب، مادة (غنن) ٣١٥/١٣.

(٤) غَضِيضُ الطرف: فاطر الطرف ومسترخي الأجفان. انظر: لسان العرب، مادة (غضض) ١٩٧/٧.

(٥) المكحول: من الكحل في العين، وهو أن يعلو منابت الأسفار سوادً مثل الكحل. انظر: لسان العرب، مادة (كحل) ٥٨٤/١١.

(٦) العوارض: هي الأسنان التي في غُرُضِ الفم، وهي ما بين الشايب والأضراس، واجدها عارض. لسان العرب، مادة (عرض) ١٨٠/٧.

(٧) الظلم: الماء الذي يجري ويظهر على الأسنان من صفاء اللون لا من الرِّيق، حتى يُتَخَيَّلَ لك فيه سوادٌ من شِدَّةِ البريق والصفاء. لسان العرب، مادة (ظلم) ٣٧٩/١٢.

(٨) المنهل: هو المَسْقِيُّ بالخمِرِ حدَّ الارتواء. انظر: لسان العرب، مادة (نهل) ٦٨١/١١.

(٩) المعلول: هو الذي سُقِيَ مرتين من العلل، وهو الشرب ثانيةً أو تباعاً بعد الشرب الأول. انظر: لسان العرب، مادة (علل) ٤٦٨/١١. والمعنى أنها إذا ابتسمت تكشف عن ثغرٍ تفوح منه رائحة الخمر الذكية. ديوان كعب بن زهير بشرح السكري ص ١٠٩.

(١٠) شَجَّ: أي خلطَ ومزجَ الخمرَ بالماء. انظر: لسان العرب، مادة (شجج) ٣٠٤/٢.

(١١) مَحْيَا: جمعها محاني وهي معاطف الأودية، وخصَّ ماء المَحْيَا لأنه يكن أصفى وأبرد. لسان العرب، مادة (حني) ٢٠٦/١٤.

(١٢) الأبطح: من البطحاء، وهي مكانٌ متسعٌ منبسطٌ يسيل فيه الماء يذهبُ يميناً وشمالاً، فيخَلَّفُ التراب والحصى. انظر: لسان العرب، مادة (بطح) ٤١٣/٢.

(١٣) مشمول: أي ضربته ريحُ الشَّمال، فبرد ماؤه وصفا. انظر: لسان العرب، مادة (شمّل) ٣٦٧/١١.

تَنْفِي الرِّيحِ الْقَدَا^(١) عَنْهُ وَأَفْرَطُهُ^(٢) مِنْ صَوْبٍ^(٣) غَادِيَةٍ^(٤) بِيضِ يَعَالِيلٍ^(٥)
لَكِنَّهَا خُلَّةٌ قَدْ شَيْطَ مِنْ دِمِّهَا^(٦) فَجَعٌ^(٧) وَلَعٌ^(٨) وَإِخْلَافٌ^(٩) وَتَبْدِيلٌ^(١٠)
فَمَا تَدُومُ عَلَى حَالٍ تَكُونُ بِهَا كَمَا تَلَوْنُ فِي أَثَوَاهَا الْغُولُ^(١١)
وَلَا تَمْسُكَ بِالْعَهْدِ الَّذِي زَعَمْتَ إِلَّا كَمَا يُمَسِّكُ الْمَاءُ الْغَرَايِلَ^(١٢)
كَأَنْتَ مَوَاعِيدُ عُرْقُوبٍ^(١٣) لَهَا مَثَلًا وَهَلْ مَوَاعِيدُهَا إِلَّا الْأَبَاطِيلُ

(١) القذى: ما يقع في العين أو في الشراب من ذبابٍ وغيره. انظر: لسان العرب، مادة (قذي) ١٧٢/١٥-١٧٣.

(٢) أفرطه: ملاءه، وقيل أنَّ معناه هاهنا تركه. لسان العرب، مادة (فرط) ٣٦٦/٧.

(٣) الصوب: نزول المطر. لسان العرب، مادة (صوب) ٥٣٤/١.

(٤) الغادية: هي السحابة التي تنشأ غدوةً. لسان العرب، مادة (غدو) ١١٨/١٥.

(٥) يعاليل: سحائب بعضها فوق بعض. لسان العرب، مادة (علل) ٤٧٢/١١.

(٦) شيط من دمها: الغالب أهما (سيط) ولكن أصابها تصحيف. ومعنى سيط، أي اختلط وانمزج. انظر: لسان العرب،

مادة (سيط) ٣٢٦/٧. وانظر: ديوان كعب بن زهير بشرح السكري ص ١١٠.

(٧) فجع: من الفجيعة وهي المصيبة المؤلمة. انظر: لسان العرب، مادة (فجع) ٢٤٥/٨.

(٨) وَلَعٌ: الكذب. لسان العرب، مادة (ولع) ٤١٠/٨.

(٩) إخلاف: عدم الوفاء بالعهد. انظر: لسان العرب، مادة (خلف) ٩٠/٩.

(١٠) والمعنى أنَّ هذه الصفات خلطت بدمها حتى صارت طبيعةً مُلازمةً لها. ديوان كعب بن زهير بشرح السكري

ص ١١٠.

(١١) أي أنها لا تدوم على حالٍ بل تتغير ألوانها حيناً بعد حين، والغول: السُعلاة، والجمع أغوالٌ وغيلان وهي حيوانٌ

وهي، وكانت العرب تقول: إن الغيلان في الفلوات تراءى للناس فتغول تغولاً أي تلونُ تلوناً فتضلُّهم عن الطريق

فتهلكهم. ديوان كعب بن زهير بشرح السكري ص ١١٠.

(١٢) الغراييل: مفردا غريال، وهو ما يُنخلُ به الدقيق وغيره لتنقيته. فالغريال لا يُمسك الماء لأن فيه فروجاً صغيرة

ينساب منها. انظر: لسان العرب، مادة (غريال) ٤٩١/١١.

(١٣) عرقوب: قيل أنه اسم رجلٍ من العمالقة، واسمه عرقوب بن معبد، كان أكذب أهل زمانه فضربت به العرب المثل

في خُلف الوعد فقالت: مواعيد عرقوب. انظر: لسان العرب، مادة (عرقب) ٥٩٥/١.

فَلَا يَغُرُّنَكَ مَا مَنَنْتَ وَمَا وَعَدْتَ إِنَّ الْأُمَانِي وَالْأَحْلَامَ تَضْطَلِيلُ^(١)
أَمَسْتَ سُعَادُ بِأَرْضٍ مَا يُبَلِّغُهَا^(٢) إِلَّا الْعِتَاقُ^(٣) النَّجِيَّاتُ^(٤) الْمَرَّاسِيلُ^(٥)

إلا أنَّ هناك بعض الإشكاليات التي وردت على مقدمة كعب الغزلية، أحدها ما جاء فيها من الغزل الحسي^(٦)، المنهي عنه.

فقد جاء في الرواية المثبتة عند ابن هشام^(٧) في السيرة^(٨)، قول كعب بن مالك:

[بحر البسيط]

هَيْفَاءُ^(٩) مُقْبِلَةٌ، عَجَزَاءُ^(١٠) مُدْبِرَةٌ لَا يُشْتَكِي قِصَرٌ مِنْهَا وَلَا طَوْلُ^(١١)

ففي هذا البيت من التصوير الحسِّي للمرأة ما لا يخفى على القارئ، وهذا من الغزل غير المقبول شرعاً، فهل يُعَقَّلُ أَنَّ النبي ﷺ سمعه من كعبٍ وأقرَّه عليه؟

-
- (١) التَّضْلِيلُ: من الضَّلَال وهو ضدُّ الهدى والرَّشَاد. انظر: لسان العرب، مادة (ضلل) ٣٩٠/١١. والمعنى هنا: أي لا يخدعُكَ ما أنعمت به من الكلام والوعود فهذا كله خداع. انظر: ديوان كعب بن زهير بشرح السكري ص ١١١.
- (٢) يُبَلِّغُهَا: من بَلَغَ بلوغاً أي وصلَ وانتهى. والمعنى: أي لا يوصلُ إليها. انظر: لسان العرب، مادة (بلغ) ٤١٩/٨.
- (٣) العِتَاق: من العِتَق وهو الجمال والخيار من كل شيء وأراد الشاعر هنا: النوق الكريمة. انظر: لسان العرب، مادة (عتق) ٢٣٦/١٠، ديوان كعب بن زهير بشرح السكري ص ١١١.
- (٤) النَّجِيَّات: الخفيفة السريعة. لسان العرب، مادة (نجب) ٧٤٨/١.
- (٥) المراسيل: جمع مرسال، وهي الناقة السهلة السَّيْر. انظر: لسان العرب، مادة (رسل) ٢٨٣/١١.
- (٦) انظر: توثيق قصيدة بانت سعاد في المتن والإسناد ص ٥١.

(٧) سيرة ابن هشام ٥٠٤/٢.

- (٨) هيفاء: صفة مُشَبَّهة من الهَيْف، وهو ضمور البطن، ودقة الخاصرة. لسان العرب، مادة (هيف) ٣٥٢/٩.
- (٩) عجزاء: التي عرض بطنها وتثقلت ما كَمَتْهَا فَعَظُمَ عجزها. لسان العرب، مادة (عجز) ٣٧١/٥.
- (١٠) يريد أنَّ هذه المحبوبة يحسن مظهرها في حال، فإذا أقبلت فهي هيفاء، وإذا أدبرت فهي عجزاء، وهي متوسطة بين الطول والقصر. انظر: لسان العرب، مادة (هلب) ٧٨٧/١.

لقد انفرد ابن إسحاق في روايته للمقدمة الغزلية بهذا البيت المُشكِلي في معناه، فهذا البيت لم يرد عند غير ابن إسحاق، بأي سندٍ من الأسانيد في كتب الحديث، وإنما ساقه أهل العلم بالسيرة، كابن هشام، وابن كثير وغيرهم، نقلاً عن ابن إسحاق^(١).

إضافةً إلى أنَّ ابن إسحاق، الذي انفرد برواية هذا البيت، تعرَّضَ بسبب الأشعار التي حشدَها في سيرته إلى نقدٍ شديدٍ من العلماء^(٢).

وبما أنَّ ابن إسحاق قد انفرد برواية هذا البيت، وحاله في نقل الشعر مطعون فيه، فالبيت إذاً مردود، ولا يمكن قبوله منه.

ومما يُستأنس به في سبيل ردِّ هذا البيت «ماروي عن رسول الله ﷺ من أنَّه نفى (هيتاً) المخنث عن المدينة إلى الحِمَى^(٣) لَمَّا سَمِعَهُ يَصِفُ (بادية بنت غيلان) بقوله: تُقْبِلُ بأربع وتُذِيرُ بشمان^(٤). وما نُسِبَ إلى كعبٍ في هذا البيت لا يخرج في معناه عما قاله (هيت) المخنث في هذه العبارة الثابتة في صحيح البخاري.

فهل يصحُّ القول بأن رسول الله ﷺ يُجِيزُ الفُحشَ إذا كان منظوماً، ويفرضه منشوراً؟! حاشاه ﷺ.

(١) رواها عن ابن إسحاق: ابن هشام، والنويري، وابن كثير، والعامري. انظر: سيرة ابن هشام ٥٠٤/٢، نهاية الأرب ٤٣١/١٦، سيرة ابن كثير ٧٠١/٣، بحجة المحافل ٤٤٨/١.

(٢) قال ابن سلام: «وكان ممن أفسد الشعر وهجنه وحمل كل غثاء منه محمد بن إسحاق». طبقات فحول الشعراء ٨-٧/١، وقال ابن النديم ناقدًا ابن إسحاق في رواية الشعر: «كان يُعَمِّلُ له الأشعار، ويؤتى بها ويُسأل أن يُدخلها في كتابه في السيرة فيفعل، فضمَّنَ كتابه من الأشعار ما صار به فضيحة عند رواة الشعر». الفهرست ص ١٢١، مقال (بانث سعاد الإشكالية والحل). كما طعن فيه الذهبي بسبب هذه الأشعار المكذوبة أيضاً. انظر: تاريخ الإسلام ٥٩٤/٩.

(٣) انظر: فتح الباري ٣٣٤/٩.

(٤) صحيح البخاري، في النكاح، باب ما ينهى عن دخول المتشبهين بالنساء على المرأة ٣٧/٧ (٥٢٣٥)، أخرجه مسلم في السلام، باب منع المخنث من الدخول على النساء الأجانب ١٧١٥/٤ (٢١٨٠).

وبناءً على ما سبق، لا يصحُّ القبول بأنَّ هذا البيت قد أنشدَ بحضرة النبي ﷺ، فأقرَّ عليه صاحبه ولم ينكر عليه»^(١).

ومما أشكل أيضاً في هذه المقدمة الغزلية، ما جاء فيها من ذكر الخمر ومدحها على مسمع من النبي ﷺ^(٢).

والآيات التي جاءت فيها وصف الخمر، قول كعب بن زهير:

[بحر البسيط]

تَجْلُو عَوَارِضَ ذِي ظَلَمٍ إِذَا ابْتَسَمَتْ كَأَنَّهَا مُنْهَلٌ بِالْكَأْسِ مَعْلُولٌ
شَجَّ السُّقَاةُ عَلَيْهِ مَاءَ مَحْنِيَةٍ مِنْ مَاءٍ أَبْطَحَ أَمْسَى وَهُوَ مَشْمُولٌ
تَنْفِي الرِّيحِ الْقَذَا عَنْهُ وَأَفْرَطُهُ مِنْ صَوْبِ غَادِيَةٍ بِيضٍ يَغَالِيلُ

ويُفسَّرُ ذلك^(٣) على أنَّه من قبيل الاستعارة والتشبيه، للمبالغة في وصف جمال وحلاوة ريق المحبوبة، خصوصاً أن الخمرة كانت من الأشربة المحببة إلى نفوسهم، ولم يُقَطَّع بتحريمها إلا متأخراً، وكان تحريمها بشكل تدريجي مراعاةً لشغفهم بها وصعوبة انفكاكهم عن شربها ومحبتها.

إضافةً إلى أنَّ ما ذكره كعبٌ في البيت السابق ليس مدحاً للخمر بذاتها، بقدر ما هو مدحٌ لريق محبوبته الخيالية، بشيءٍ من المبالغة على عادة الشعراء^(٤)، إضافةً إلى أنه يجوزُ في الشعر من المبالغة ما لا يجوز في الكلام المنثور^(٥).

(١) قصيدة بانت سعاد الإشكالية والحل، www.midad.com.

(٢) انظر: توثيق بانت سعاد في المتن والإسناد ص ٥٢-٥٤.

(٣) انظر: قصيدة بانت سعاد الإشكالية والحل، www.midad.com.

(٤) نظير ذلك قول النبي ﷺ: «إن من البيان لسحراً»، فتشبيه النبي ﷺ البيان بالسحر، ليس إباحةً للسحر، وإنما دلالةً على أثر البلاغة والفصاحة بالنفوس، الذي يشبه أثر فعل سحر الساحر الذي يستميل القلوب إليه بسحر. وكذلك كعب فهو لا يستبيح الخمر ولا يدعو إليها. انظر: قصيدة بانت سعاد الإشكالية والحل، www.midad.com.

(٥) قصيدة بانت سعاد في المتن والإسناد ص ٤٨.

ونتيجةً لما سبق، فإن المقدمة الغزلية التي صَدَّرَ بها كعب لاميته، وأنشدها بين يدي النبي ﷺ عفيفةٌ، يغلب عليها الوصفُ المَعْنَوِي، كما أنَّ ما جاءَ فيها من أوصافٍ حسيَّةٍ قليلٌ جداً، ولا جِدَّةٌ فيها ولا ابتكار، بل إنها لا تعدو أن تكون تكراراً لمعانٍ كُثِرَ استعمالها في التشبيه ومطالع الغزل^(١).

واستماعُ رسول الله ﷺ لكعبٍ وهو يُنشدها في المسجد دون أن ينهره أو يردعه دليلٌ على أنه أَقَرَّ ما جاءَ فيها.

كما تجدر بنا الإشارة هنا إلى المقدمة الغزلية التي استهل بها حسان بن ثابت رضي الله عنه قصيدته الحمزية التي نَظَمَها يومَ الفتح وبدأها بوصفِ الأطلالِ ثم بالغزل، فقال في مطلعها:

[بجر الوافر]

عَفَّتْ^(٢) ذَاتُ الْأَصَابِعِ فَالْجَوَاءُ^(٣) إِلَى عَذْرَاءٍ^(٤) مَنَزَلُهَا خَالٍ
دِيَارٌ مِنْ بَنِي الْحَسْحَاسِ^(٥) قَفَرٌ تُعْقِيهَا الرِّوَامِسُ وَالسَّمَاءُ^(٦)

(١) انظر: قصيدة بانة سعاد في المتن والإسناد ص ٧٦-٧٧. قصيدة بانة سعاد الإشكالية والحل، www.midad.com

(٢) عَفَّتْ: تَغَيَّرَتْ وَدَرَسَتْ. انظر: لسان العرب، مادة (عفي) ٧٦/١٥.

(٣) ذات الأصابع والجواء: موضعان بالشام، وبالجواء كان منزل الحارث ابن أبي شمر الغساني، وكان حسان كثيراً ما يفد على ملوك غسان بالشام يمدحهم، فلذلك يذكر هذه المنازل. انظر: معجم ما استعجم ١٦١/١.

(٤) عَذْرَاءُ: قريةٌ بغوطة دمشق من إقليم حولان. انظر: معجم البلدان ٩١/٤.

(٥) بنو الحسحاس: حيٌّ من بني أسد، وأصل الحسحاس الرجل الجواد، ولعله المراد هنا. انظر: لسان العرب، مادة (حسس) ٥٤/٦.

(٦) الروامس: الرياح، والرمس: ما تحمله الريح فترمس به الآثار أي تعقيها وتغطيها. انظر: لسان العرب، مادة (رمس) ١٠٢/٦.

وكانت لا يزال بها أنيسٌ حلالٌ مُرُوجَها نَعَمٌ^(١) وَشَاءٌ^(٢)
 فدع هذا، ولكن من لطيفٍ^(٣) يُورِّقني^(٤) إذا ذهب العِشاءُ
 لشَعْناءٍ^(٥) التي قد تيمَّتهُ فليس لقلبه منها شفاءٌ^(٦).

لم يكتفِ حسانُ رحمه الله في هذه الأبيات بالوقوف على أطلال شعناء بل تغزل بها،
 فطيفها يؤرقه، ولا شفاء لقلبه منها^(٧).

(١) التَّعَمُّ: واحدُ الأنعام وهي المال الزراعية، والعرب إذا أفردت النعم لم يريدوا بها إلا الإبل. لسان العرب، مادة (نعم) ٥٨٥/١٢.

(٢) الشَّاءُ: مفردُها: شاة وهي الغنم، ويقع على الذكر والأنثى، والجمعُ شَاءٌ وشياه. انظر: لسان العرب، مادة (شاه) ٥١٠/١٣.

(٣) الطيف: الخيال. أي خيالُ المحبوبة يلم في النوم. انظر: لسان العرب، مادة (طيف) ٢٢٨/٩.

(٤) يُورِّقني: أي يسهرني، ويُذهب عنه النوم في الليل. انظر: لسان العرب، مادة (أرق) ٤/١٠. والمراد: أن الطيف إذا زال عنه وجد له لوعة تؤرقه. وذهاب العِشاء: كناية عن أوان النوم. ديوان حسان بن ثابت ص ١٨.

(٥) شعناء: اسم امرأة، قيل هي بنت سلام بن مشكم اليهودي. انظر: ديوان حسان بن ثابت ص ١٧.

(٦) البداية والنهاية ٣١٠/٤، سيرة ابن هشام ٤٢٢/٢. وقد ذكرا الأبيات بطولها، على أنها قيلت يوم الفتح. والأبيات كذلك في ديوان حسان بن ثابت ص ١٧-١٨.

(٧) وقد يقول قائل: هذه المقدمة ليست جزءاً من قصيدة حسان في مدح الرسول وفتح مكة، إنما هي مقدمة لقصيدة أخرى من شعر حسان في جاهليته، اتفقت في الوزن والقافية والروي وحركته، مع القصيدة التي تحدث فيها عن فتح مكة!!

ولكن ما يلفت النظر أن ديوان حسان لا يحتوي على قصيدة هزلية أخرى بهذه المواصفات، وكذلك لم يُشِر جامع الديوان ولا ابن هشام ولا ابن كثير إلى انفصال المقدمة عن بقية القصيدة، كما أن العالمين الجليلين ابن هشام وابن كثير، لم يعلقا على القصيدة بنقد أو بعيب أو أي إشارة إلى تناقض هذه المقدمة مع أحكام الإسلام، فكأنهما نظرا إليها من الناحية البيانية والشعرية، على أنها شيء مألوف ومعروف ومعفٍ عنه في أوساط الأدب والأدباء. مقال بعنوان الغزل بين

يدي الرسول ﷺ، للكاتب: صدقي البيك، شبكة الألوكة الأدبية واللغوية / www.alukah.net

ثم إن قصيدة حسان عليه السلام الحمزية السابقة لم تكن هي الوحيدة التي يفتتحها بالمقدمة الطللية الغزلية، بل هناك قصيدة أخرى، رواها ابن هشام عنه في ما كان من أمر الأنصار وتأخّرهم عن الغنيمة بعد حصار الطائف.

قال ابن هشام: ولما أعطى رسول الله ﷺ ما أعطى في قريش وقبائل العرب، ولم يعط الأنصار شيئاً، قال حسان بن ثابت يعاتبه في ذلك :

[بجر البسيط]

ذر الهموم فَمَاءَ الْعَيْنِ مُنْحَدِرٌ سَحًّا^(١) إِذَا حَفَلَتْهُ^(٢) عَبْرَةٌ دَرُرٌ^(٣)
وَجَدًا بِشَمَاءٍ إِذْ شَمَاءُ^(٤) بَهْكَنَةً^(٥) هَيْفَاءُ لَا ذَنْنٌ فِيهَا^(٦) وَلَا خَوْرٌ^(٧)
دَغَ عَنْكَ شَمَاءٌ إِذْ كَانَتْ مَوَدُّتُهَا نَزْرًا^(٨) وَشَرُّ وَصَالٍ الْوَاصِلِ النَّزْرُ^(٩)

تحمل الأبيات ذكر (شَمَاء) التي يأخذه الوجد إليها، ويصفها أنها غضة ناعمة، مافيها ضعف ولا فتور، وهذا كله بعد غزوة الطائف في حياة الرسول ﷺ، ولم يرد أنه ﷺ اعترض على هذه الأبيات.

(١) سَحًّا: أي انسكب وسال. انظر: لسان العرب، مادة (سحح) ٤٧٦/٢.

(٢) حَفَلَتْهُ: أي جمعته. انظر: لسان العرب، مادة (حفل) ١٥٦/١١.

(٣) درر: أي متتابعة السح كثيرة السيالان. انظر: لسان العرب، مادة (درر) ٢٧٩/٤.

(٤) في ديوان حسان (شعواء). ديوان حسان بن ثابت ص ١٢٠.

(٥) امرأة بهكنة: تارة غضة. وهي ذات شباب بهكن أي غض. وقال ابن الأعرابي: «البهكنة هي الجارية الخفيفة الروح الطيبة الرائحة المليحة الحلوة». انظر: لسان العرب، مادة (بهكن) ٦٠/١٣.

(٦) ذنن فيها: أي قدر ومنه الذنن وهو ما يسيل من الأنف. / الروض الأنف ت السلامي (٧/ ٣٦٤)
الذنن الغدر والتفل والذنن المخاط والذنن أيضا ألا ينقطع حيض المرأة

(٧) الخور: الضعف. انظر: لسان العرب، مادة (خور) ٢٦٢/٤.

(٨) النَّزْر: القليل التافه. لسان العرب، مادة (نزر) ٢٠٣/٥.

(٩) الأبيات في سيرة ابن هشام ٤٩٧/٢، البداية والنهاية ٣٦١/٤، وفي ديوان حسان بن ثابت ص ١٢٠.

يتحصّل بمجموع ما تمّ ذكره أنّ النظرة إلى مطالع الغزل كانت نابعةً من كونها تقليداً
وعرفاً مُتكرّراً، لم يُلم عليه الشعراء في الإسلام.

إلا أنّ كل ما ذُكر لا يُعدّ إباحةً لشعر الغزل بشقّي بأنواعه، فالإسلام نهى عن الغزل
الفاحش الذي يصف فيه الشعراء مفاتن المرأة بكلامٍ يجاوز حدود الأخلاق، فيهتك
الأعراض ويخدش الحياء.

فما هي الضوابط التي أقرّها الإسلام لقبول شعر الغزل؟

● المطلب الثالث: ضوابط شعر الغزل في السّنة النبوية.

حين جاء الإسلام بعقيدة جديدة على المجتمع الجاهلي، رسم بمبادئه وقيمه حدوداً،
من شأنها أن تُنزّع علاقة الرجل والمرأة، وتضبطها ضمن الإطار الذي ترضاه عقيدة الإسلام،
وتقبله الفطرة السليمة. فما هي الضوابط التي اشترطها الإسلام لإقرار هذا الغرض الشعري؟
يدورُ تشبيبُ الشّاعر بالمرأة بين أمرين: بين أن يُشبّب بحليته، أو بمن لا تحلُّ له، فما
هو موقفُ الإسلام من كلا الأمرين؟ .

أولاً- ضابطُ الغزل بحليته.

أباح الإسلام للشّاعر التشبيب بحليته، كزوجته أو جاريته، ويُستدلُّ على ذلك بقول
النبي ﷺ للصحابيّ الشّاعر مالك بن عمير السّلمي رضي الله عنه - حين استفتاه في الشعر-: «فإن
رأيتك منه شيءٌ فشبّب بامرأتك وامدح راحلتك»^(١).

إلا إنّ الشّاعر المسلم مأمورٌ بالحياء والعفة والنّخوة، فلا يجوزُ له ذكر ما من حقّه
الإخفاء في حليته، كوصفِ أعضائها الباطنة، مما لا يجوز لأحدٍ الاطلاع عليه.

(١) سبق تخريج الحديث انظر: ص ٣٨.

وقد تعرّض بعضُ الفقهاء^(١) لهذه المسألة من خلال بحثهم لقبول شهادة الشاعر، فقال الخطيب الشربيني^(٢): «ولو شَبَّ بِزَوْجَتِهِ أَوْ أَمَتِهِ مِمَّا حَقُّهُ الْإِحْفَاءُ رُدَّتْ شَهَادَتُهُ لِسُقُوطِ مُرُوءَتِهِ، وَكَذَا لَوْ وَصَفَ زَوْجَتَهُ أَوْ أَمَتَهُ بِأَعْضَائِهَا الْبَاطِنَةِ»^(٣).

فلا يجوز للشاعر أن ينعت جمال حليته، أو يتعرّض لِمَا حَقُّهُ الْإِحْفَاءُ من أعضائها، فقد نهى النبي ﷺ أن تنعت المرأة المرأة لزوجها، كأنه ينظرُ إليها^(٤)، فمن بابٍ أولى عدمُ جوازِ نعتِ الرَّجُلِ زَوْجَتَهُ لِلسَّامِعِينَ.

ولعلَّ الضابط في ما يُباح للشاعر قوله إن شَبَّ بِحَلِيلَتِهِ، يلحق القاعدة التي تنصُّ على ضرورة: «استعمال الأدب في ترك المواجهة بما يُستحي منه عُرفاً»^(٥).

ثانياً- ضابط الغزل بغير حليته.

شاع بين الشعراء التشبيب بالنساء، فلم يكن الشاعر يتحرز عن التشبيب بمحبوبته حتى وإن لم يرتبط معها برباط الزواج، إلّا أنَّ الإسلام حرّم الغزل بغير الحليلة؛ لِمَا في ذلك من انتهاك لحرّمات المسلمين، واعتداء على عرض مصون من أعراضهم، فقد قال الله عز وجل: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدْ احْتَمَلُوا بُهْتَنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب ٥٨].

(١) فقهاء الشافعية. انظر: روضة الطالبين ٢٢٩/١١، تحفة المحتاج ٢٢٣/١٠.

(٢) الخطيب الشربيني: محمد بن أحمد الشربيني، شمس الدين، فقيه شافعي، مفسر، من أهل القاهرة. أُجيز بالفتيا والتدريس، وأفتى في حياة أشياخه، وانتفع به خلائق لا يُحصى، وأجمع أهل مصر على صلاحه ووصفوه بالعلم والعمل، والزهد والورع، وكثرة النسك والعبادة. له تصانيف عديدة منها: (السراج المنير) في تفسير القرآن، و(الإقناع في حل ألفاظ أبي شجاع)، و(مغني المحتاج) في شرح منهاج الطالبين للنووي وغيرها. توفي سنة ٩٧٧ هـ. انظر: الكواكب السائرة ٧٢/٣-٧٣، الأعلام ٦/٦.

(٣) مغني المحتاج ٣٥١/٦.

(٤) الحديث عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «لا تباشِرُ المرأةَ المرأةَ فتنتعها لزوجها كأنه ينظرُ إليها». صحيح البخاري، في النكاح، باب لا تباشِرُ المرأةَ المرأةَ فتنتعها لزوجها، ٣٨/٧ (٥٢٤٠).

(٥) فتح الباري ٣٨١/١.

وقد فرَّقَ الفقهاء بين حالتين من تشبيب الشعراء: الأولى، أن يُشَبَّب الشاعر بامرأة معينة^(١)، والحالة الثانية أن يُشَبَّب بامرأة غير معينة، فما المراد بالتعيين؟ وما حكم كل من الحالتين؟.

التعيين هو نصُّ الشَّاعِرِ في تغزله بامرأةٍ على اسمها العَلَم، كفلانة بنت فلان، أو فلانة من آل فلان -الذي تُعرَف به بين بنات جنسها- أو بذكر ما يحصل به تمييزها بين بنات جنسها من صفاتها الخاصة أو قرائن الأحوال.

وقد نصَّ الفقهاء على تحريم التشبيب بامرأة معينة، وعدُّوا ذلك موجباً لإسقاط مروءة الشاعر وردَّ شهادته، لما في ذلك من الإيذاء وهتك السَّتر^(٢).

فلا يُعرَف خلافٌ في حرمة ذكر المثير على الفحش من الصفات الحسّية والمعنوية لامرأة أجنبية مُحَرَّمة على الشاعر، ويستوي في ذلك ذكر الصفات الظاهرة والباطنة، لما في ذلك من الإيذاء لذويها، وهتك السَّتر والتَّشهير بمسلمة^(٣).

أما بشأن الحالة الثانية، وهي التشبيب بغير المُعَيَّنة فيجوز، بشرطين:

أولاً- أن لا ينصَّب الشاعر قرينةً تُدُلُّ على التعيين، فإن نصَّب قرينةً تُدُلُّ على التعيين فهو في حكم التعيين، وليس ذكر اسم امرأة مجهولة كليلاً وسعاد تعييناً^(٤).

ومما يقطعُ بإباحة التشبيب بغير معينة، سماعُ النبي ﷺ قصيدةَ كعب بن زهير، وفيها التشبيبُ بسعاد^(٥). فالتشبيبُ صنعةُ الغرض منها ترقيقُ الكلام وتحسينه، لا تخصيصُ المذكور^(٦).

(١) قيَّد الأحنافُ المرأةَ المعينةَ بكونها حية. انظر: فتح القدير لابن الهمام ٤١٠/٧.

(٢) انظر: فتح القدير لابن الهمام ٤١٠/٧، روضة الطالبين ٢٢٩/١١، تحفة المحتاج ٢٢٣/١٠، المغني ١٩٥/١٠.

(٣) الموسوعة الفقهية الكويتية ١٤/١٢.

(٤) انظر: مغني المحتاج ٣٥١/٦.

(٥) انظر: نهاية المحتاج ٢٩٩/٨، المغني ٤٤/١٢.

(٦) مغني المحتاج ٣٥١/٦.

ثانياً- أن يكونَ الغَزْلُ عفيفاً بعيداً عن الفحش، الذي يشتمل على وصف جسد المرأة ومفاتها بما يثير الشهوة أو يثير الغرائز، فتعاليم الإسلام قد نزهت الألسنة عن فحش القول، وقبح اللفظ والوصف، حفظاً للمجتمعات من انتشار الرذيلة.

وقد وردت أحاديث كثيرة في النهي عن فحش القول وبذاءة اللسان، منها ما أخرجه الترمذي في سننه عن أبي الدرداء رضي الله عنه: «أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «ما شيء أثقل في ميزان المؤمن يوم القيامة من خلقٍ حسن، وإن الله ليُبغض الفاحش البذيء»^(١).

أما النسب المتعفف، العذري، فلا حرمة فيه، بدليل إنشاد كعب رضي الله عنه قصيدته بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم، وفيها من التشبيب والمبالغات ما لا يخفى، ولم يُنكر عليه ذلك^(٢). فإذا عرفنا هذه الضوابط تبين أن الكثير مما ينتشر اليوم من أشعار الغزل الفاحش، هو من قبح الكلام الذي لا ينشر في المجتمعات إلا لغة الشهوة والرذيلة. يقول ابن القيم: «غالب التغزل والتشبيب إنما هو في الصور المحرمة، ومن أندر النادر تغزل الشاعر وتشبيبه في امرأته وأمه وأُمّ ولده، مع أن هذا واقع، لكنه كالشعرة البيضاء في جلد الثور الأسود»^(٣).

(١) أخرجه أبوداود في الأدب، باب في حسن الخلق، ٢٥٣/٤ (٤٧٩٩)، والترمذي، في أبواب البر والصلة، باب ما جاء في حسن الخلق، ٣٦٢/٤ (٢٠٠٢)، واللفظ للترمذي. قال الترمذي: «حديث حسن صحيح».

(٢) إتحاف السادة المتقين ٤٩٤/٧.

(٣) مدارج السالكين ٤٨٦/١.

المبحث الرابع الرِّثاء في السُّنة النبوية.

وفيه ثلاثة مطالب:

- المطلب الأول: تعريف الرِّثاء لغةً واصطلاحاً.
- المطلب الثاني: استعمالات شعر الرِّثاء في الجاهلية.
- المطلب الثالث: ضوابط الرِّثاء في السُّنة النبوية.

➤ المبحث الرابع: الرثاء في السُّنة النبوية..

الرَّثَاءُ، من الموضوعات البارزة في الشَّعر العربي، وهو من أقدم فنونِ الشَّعر وأصدقها، لأنه مُرَبِّطٌ بحقيقةٍ ماثلة وبدهية مؤكدة، وهي حقيقة الموت، فما دام هناك موتٌ ورحيل ووداعٌ ليس بعده لقاءٌ في هذه الدنيا، فستواجهُ قصيدةُ الرَّثَاءِ، لُتَعَبَّرَ عن مشاعر الحزن واللوعة التي لا بُدَّ وأن تُصيب كل إنسانٍ فُجِعَ وتألَّم لفقد أحد أحبائه^(١).

إذا وقفنا على شِعرِ الرَّثَاءِ في الجاهلية والإسلام، فإننا نجدُ اختلافاً ملحوظاً، أهمُّ أسبابه اختلافُ دلالات الموت بين الفترتين، واختلافُ الرؤية الفكرية عند شعراءِ العصرين^(٢).
ولبيان موقفِ السُّنة النبوية من شعر الرَّثَاءِ، وبيان أثر تعاليم الإسلام في هذا الغرض الشعري، قسمت هذا المبحث إلى ثلاثة مطالب:

● المطلب الأول: تعريف الرثاء لغةً واصطلاحاً.

الرَّثَاءُ لُغَةً: بالعودة إلى المعاجم اللغوية، نجدُ أن لكلمة (الرَّثَاءُ) ثلاثة أصول، وهي:

١. الأصل الأول: (رثأ)، وتَدُلُّ على معنى الخلط والاختلاط. فيُقَال: رَثَأَ اللَّبَنُ: أي خَثُرَ، ورَثَاهُ يرثاه رثاً: أي خَلَطَهُ^(٣)، وَمِنْهَا ارْتَثَأَ عَلَيْهِمْ أَمْرُهُمْ إِذَا اخْتَلَطَ^(٤).
ورَثَأْتُ الرَّجُلَ رَثاً: أي مدحته بعد موته^(٥).

٢. الأصل الثاني: فهو (رثا)، بالألف المنقلبة عن واو، يرثو من الرثو.
فَقَوْلُهُمْ رَجُلٌ مَرِثُو: أي ضِعِيفُ الْعَقْلِ فَمِنْ الرِّثْيَةِ. وَرِثُوتُ الرَّجُلِ لُغَةً فِي رِثَائِهِ، وَرِثَتِ الْمَرْأَةُ بَعْلَهَا تَرِثِيَّةً، وَتَرِثُوهُ رِثَايَةً^(٦).

(١) انظر: رسالة ماجستير بعنوان: الرثاء في الأندلس عصر ملوك الطوائف ص ٢.

(٢) انظر: رسالة ماجستير بعنوان: المراثي النبوية في صدر الإسلام/ ص ١٨٤.

(٣) لسان العرب، مادة (رثأ) ٨٣/١.

(٤) أساس البلاغة، مادة (رثأ) ٣٣٧/١.

(٥) لسان العرب، مادة (رثأ) ٨٣/١.

(٦) لسان العرب، مادة (رثو) ٣٠٨/١٤.

٣. أما الأصل الثالث فهو: (رثى)، بالألف المتقلبة عن ياء، يرثي رثياً ومرثية ورثية.

والرثية: هي وَجَعٌ في الرُّكْبَتَيْنِ والمَفَاصِلِ^(١).

وأصلُ الفعلِ (رثى) يَدُلُّ على الإشفاق، يقول ابن الفارس^(٢): «الراء والشاء والحرف المعتل، أصيلٌ على رِقَّةٍ وإشفاق. يقال رَثَيْتُ لِفُلَانٍ: رَقَقْتُ، ومن البابِ قولهم رَثَى المَيِّتَ بِشَعْرٍ، ورَثَتِ المرأةُ بَعْلَهَا ترثيةً ورثايةً»^(٣).

أما (الرثاء) اصطلاحاً:

فقد عرّفه الفراهيدي بقوله: «رثى فُلَانٌ فُلَاناً يرثيه رَثِيّاً ومرثيةً أي يكيه ويمدحه، والاسم المرثية»^(٤).

وقال ابن منظور^(٥): «رثيتُ المَيِّتَ رَثِيّاً ورثاءً ومرثاةً ومرثيةً، إذا مدحته بعد موته وبكيتة، ورثوتُ الميت أيضاً إذا بكيتة وعددت محاسنه وكذلك إذا نظمت فيه شعراً»^(٦).

(١) لسان العرب، مادة (رثى) ٣٠٨/١٤.

(٢) ابن الفارس: أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، أبو الحسين، من أئمة اللغة والأدب. أصله من قزوين، وأقام مدّةً في همدان، ثم انتقل إلى الريّ فتوفي فيها، من تصانيفه: (مقاييس اللغة)، و(المحمل) و(الصاحبي). كان له شعرٌ حسن، وتوفي سنة ٣٩٥هـ. انظر: وفيات الأعيان ١/١١٨، بغية الوعاة ١/٣٥٢.

(٣) معجم مقاييس اللغة، باب الراء والشاء وما يثلثهما ٢/٤٨٨.

(٤) العين ٨/٢٣٤.

(٥) ابن منظور: محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي، الإمام اللغوي الحجة، صاحب (لسان العرب)، من نسل رويغ بن ثابت الأنصاري. ولد بمصر (وقيل في طرابلس الغرب) وخدم في ديوان الإنشاء بالقاهرة. ثم ولي القضاء في طرابلس، وقد ترك بخطه نحو خمسمائة مجلد، اختصر كثيراً من كتب الأدب المطولة. من أشهر كتبه: (لسان العرب) الذي جمع فيه فئة من أمهات كتب اللغة، فكاد يغني عنها جميعاً. و(مختار الأغاني) و(مختصر مفردات البيطار). عمي في آخر عمره، وعاد إلى مصر فتوفي فيها سنة ٧١١هـ. انظر: الدرر الكامنة ٥٠٩/٥-٥١٠، بغية الوعاة ١/٢٤٨، الأعلام ٧/١٠٨.

(٦) لسان العرب، مادة (رثى) ٣٠٩/١٤.

وقيل: هو تعداد مناقب الميّت، وهو بابٌ من أبواب الشعر عامّة، والشعر العربي خاصّة^(١).^(٢)

من الملاحظ أنّ الدلالات اللغوية الرئيسة لكلمة (الرثاء)، تحمل في معانيها الإنهاك والضّعف، ولعلّ هذا المعنى المشترك هو جسر العلاقة المعنوية التي ربطت بين اللفظ وما وُضِعَ اللفظُ دليلاً عليه. فموقفُ الراثي من فقد إنسان ما هو إلا موقف من المواقف الضعيفة التي يتعرّض لها الإنسان فيؤدي إلى إنهاك قوته واضمحلال حركته ونشاطه. وهذه هي العلاقة القائمة في اللغة بين المعاني الأصلية والمعاني الاصطلاحية الوضعية^(٣).

● المطلب الثاني: استعمالات شعر الرثاء في الجاهلية.

كان العرب في الجاهلية، على عقيدةٍ راسخة بأنّ الموت هو نهاية كل حي وأنه فناءٌ ليس بعده حياة أو بعثٌ أو نشور أو جزاء، وكانوا يظنون أنّ الدّهر هو المسؤول الأول عن هلاكهم، قال تعالى حكايةً عنهم: ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُم بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ [الجنّة ٢٤].

إنّ قول الجاهليين بأنّ الدهر أو الأيام هي التي تُهلك الإنسان هو تفسير جاهلي بسيط يتناسب مع معتقداتهم، فالشاعر الجاهلي لم يقف طويلاً ليتأمل في ظاهرة الموت بل أسلم نفسه لها كحقيقة نهائية واقعة رُغم مرارتها^(٤).

(١) المعجم الأدبي، مادة (رثي) ص ١٢٠.

(٢) قَسَم بعض العلماء الرثاء إلى ثلاثة أقسام وهي: العزاء، والتدب، والتأبين. حيثُ جُعِلَ العزاء للنظرة الفلسفية لحقيقة الموت والحياة، وجُعِلَ التدبُّ محصوراً في الأهل والأقارب والنفس، وفي الرسول ﷺ وآل بيته الكرام، والتأبين للمواقف الرّسمية. انظر: سلسلة فنون الأدب العربي (الرثاء) ص ٥.

(٣) انظر: رسالة ماجستير بعنوان: شعر الرثاء في عهد النبوة والخلافة الراشدة ص ٥-٦.

(٤) انظر: رثاء الأبناء في الشعر العربي ص ١٠١-١٠٢.

إلا أنه وجدَ بين الجاهليين من كان يعتقد في حياة بعد الموت فقد كانت فكرتهم عن هذه الحياة غامضة وقائمة على الأوهام والخرافات، إذ كان منهم من يتصور أن الروح بعد الموت تُلازم جسد صاحبها في قبره، ومنهم من اعتقد أنها تسبح في العالم المجهول، ومنهم من كان يظن أنها تحل في الشجر والحجر أو تستقر في الأماكن المهجورة والآبار القديمة^(١).

أما من مات منهم قتيلاً فقد كان اعتقادهم أن روحه تتحول إلى طائر يرفرف فوق قبره ويظل يصيح ويصرخ مُطالباً بأخذ الثأر له ممن قتله، قائلاً: اسقوني، اسقوني، ولا يكف عن الصياح ويهدأ في قبره - كما يزعمون - إلا إذا أُخذَ له بالثأر، بقتل قاتله ويُسمى هذا عندهم بالهامة أو الصدى^(٢). وكانت بدايات المراثي مرتبطة بهذه العقيدة التي كانت سائدة بينهم، فنظم الشعراء مراثيهم في قصائد حماسية أرادوا بها أن يُثيروا قبائلهم لتأخذ بالثأر، فكانوا يمجّدون خلالها ويصفون مناقب قتلاهم، حتى تنفر القبيلة إلى حرب من قتلوهم.

وعمر الزمن تطوّر الرثاء عندهم إلى تصوير حُزنهم العميق إزاء ما أصابهم به الزمن في فقيدهم، وكانت النساء تُشارك في ذلك، فكن يشققن جيوبهن، ويلطمن وجوههن، ويقرعن صدورهن، ويعقدن على الميّت مأتماً من العويل والبكاء، يندبنه ويُطلن رثاءه على مر الأيام والسنين حتى يُؤخذ بثأره^(٣).

ومن الطبيعي أن تتفوق النساء على أكثر الرجال في أشعار المراثي؛ ذلك أن المرأة بتكوينها النفسي والعاطفي والاجتماعي هي أكثر استعداداً، فعاطفتها أسرع انبعاثاً وأعمق شعوراً، وقدرتها على البكاء وبعث مكامن الشجى واللوعة لا تدانيها قدرة الرجال^(٤).

(١) انظر: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ١٤٩/٩ - ١٥٠، دراسات في الشعر الجاهلي ص ٤١ - ٤٢.

(٢) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ١٣٩/١١.

(٣) انظر: تاريخ الأدب العربي/العصر الجاهلي ص ٢٠٧.

(٤) مقال بعنوان: (الرثاء في الشعر العربي) للأستاذ الدكتور عبد الحليم محمد حسين، شبكة الألوكة الأدبية واللغوية. www.aukah.net

وكانت أشهر النساء التي لا تُنازَعُ في الرِّثاء، الخنساء^(١) التي كانت في ما يُروى عنها أنها تخرج إلى عكاظ^(٢)، فترثي أخويها صخراً ومعاوية، اللذين قُتِلَا في بعض المعارك^(٣).

ومن الشُّعر الذي رثت به أخاها صخراً قولها:

[بحر البسيط]

مَا هَاجَ حُزْنُكَ أُمَّ بِالْعَيْنِ عُوَّارُ^(٤) أُمَّ ذَرَقَتْ أُمَّ خَلَّتْ مِنْ أَهْلِهَا الدَّارِ
كَأَنَّ عَيْنِي لِذِكْرَاهُ إِذَا خَطَرْتُ فَيُضُّ يَسِيلُ عَلَى الْحَدَّيْنِ مِدْرَارُ^(٥)
تَبْكِي لَصَخْرٍ هِيَ الْعَبْرَى وَقَدْ وَلَهْتُ^(٦) وَدَوْنَهُ مِنْ جَدِيدِ الثُّرْبِ أُسْتَارُ^(٧)

(١) الخنساء: تماضر بنت عمرو الشريد بن رباح بن ثعلبة، الخنساء الشاعرة، أشهر شواعر العرب. وأكثر شعرها وأجوده رثاؤها لأخويها (صخر ومعاوية) وكانا قد قُتِلَا في الجاهلية. عاشت أكثر عمرها في العهد الجاهلي، وأدركت الإسلام فأسلمت، ووفدت على رسول الله ﷺ مع قومها بني سليم، شهدت القادسية ومعها أبنائها الأربعة. توفيت سنة ٢٤هـ. وُجِّعَ لها (ديوان شعر) يحوي ما بقي محفوظاً من شعرها. انظر: الشُّعر والشعراء ٣٣١/١، أسد الغابة ٨٩/٧، الأعلام ٨٧-٨٦/٢.

(٢) عكاظ اسم لسوقٍ من أسواق العرب في مكة في الجاهلية، وسميَّ عكاظاً لأن العرب كانت تجتمع فيه فيعكظ بعضهم بعضاً بالفخار أي يدعك، وقيل يتعاكظون أي يتفاحرون. وكانت قبائل العرب تجتمع بعكاظ في كل سنة ويتفاحرون فيها ويحضرها شعراؤهم ويتناشدون ما أحدثوا من الشُّعر ثم يتفرقون. انظر: معجم البلدان ١٤٢/٤، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع ٩٥٩/٣.

(٣) انظر: تاريخ الأدب العربي/ العصر الجاهلي ص ٢٠٧-٢٠٨، ديوان الخنساء ٥٩-٦٠.

(٤) العائر: الرمد، وقيل، بثَّر يكون في جفن العين الأسفل، والعوَار والرمد واحد. انظر: لسان العرب، مادة (عور) ٦١٥/٤.

(٥) مدرار: كثيرة. لسان العرب، مادة (درر) ٢٨٠/٤.

(٦) الوله: الحزن، وقيل: هو ذهاب العقل لفقدان الحبيب، من شدة الوجْد أو الحزن. لسان العرب، مادة (وله) ٥٦١/١٣.

(٧) الأستار: الأحجار، وكنت بجديد الأرض عن أنه مات حديثاً. ديوان الخنساء بشرح ثعلب النحوي ص ٣٧٨.

تَبْكِي خُنَّاسٌ^(١) فَمَا تَنْفِكُ مَا عَمَرْتَ لَهَا عَلَيْهِ رَنِينَ وَهِيَ مُقْتَارٌ^(٢)
أَعْرُ أَبْلَجُ تَأْتُمُّ الْهُدَاهُ بِهِ كَأَنَّهُ عَلِمَ فِي رَأْسِهِ نَارٌ^(٣)

كذلك كان لكثير من الشعراء رثاءً محفوظاً لآبائهم ولإخوانهم ولأقاربهم ولأصدقائهم ولذوي الفضل عليهم، فقد خَلَفُوا وراءهم مراثي بليغة، مازالت محفوظةً عنهم إلى يومنا هذا^(٤).

ولم تختص المراثي برثاء الأهل والأصدقاء فقط بل تعدتها إلى رثاء الملوك وسادات القبائل، إلا أنَّ الملاحظ أن «رثاء الشعراء إنما كان في رثاء الأموات الرجال في الغالب، وذلك نابع عن طبيعة المجتمع الجاهلي، التي تُمَجِّدُ الرجل، ولا ترى ذَكَرَ النِّسَاءِ الحرائر إلا في المدح والفخر»^(٥).

وهكذا استمرت حال العرب في جاهليتها على عادة الآباء والأجداد، تتوارث ما تعلمته من السابقين وتُعلِّمه لللاحقين.

● المطلب الثالث: ضوابط الرثاء في السُّنة النبوية.

حينَ جاءَ الإسلامَ تغيَّرتِ الموازين، وكانَ لتعاليم الدين الجديد تأثيرٌ ملحوظٌ في ضبط شعر الرثاء، فالنظرةُ لحقيقة الحياة والموت من أهم المفاهيم التي صحَّحها الإسلام، وجلَّى عنها ما علق بها من خرافات وأوهام، فأوضح أمام الشاعر الجاهلي الذي دَخَلَ الإسلام

(١) أي الخنساء.

(٢) مفتار: أي أصابها فترة أي ضعف وانكسار. ديوان الخنساء بشرح ثعلب النحوي ص ٣٧٩.

(٣) الأبيات في ديوان الخنساء بشرح ثعلب النحوي ص ٣٧٨-٣٧٩.

(٤) انظر: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ١٧/١٥٠.

(٥) المرجع السابق.

معالم الدين الجديد وتعاليمه، مما كان له أثر مباشر في تعميق إدراك الشّاعر عن حقيقة الحياة الدنيا ومتاعها الزائل، وما وراء هذه الحياة من موت وفناء ونشور وحساب وجزاء^(١).

وقد رسمت السّنة الشريفة خطوطاً عريضة ضبطت من خلالها ردود فعل الفرد المسلم سواءً في فرحه أو في حزنه، فالبكاء على الميّت ليس حراماً، إلا أن له ما يضبطه حتى لا يؤول إلى الحرام، وكذلك مدحه وذكر محاسنه ونظم المراثي^(٢) له، فكلُّ يَخْضَعُ لضوابط تُبقيه في دائرة الحِلِّ^(٣)، فما هي هذه الضوابط؟

يُعْتَبَرُ الرِّثَاءُ مَدْحاً للميت، قال قدامة: «ليس بين المَرثية والمدحة فصلٌ إلا أن يذكر في اللفظ ما يدلُّ على أنّه لهالِك، مثل: كان، وتولى، وقضى نحبّه، وما أشبه ذلك»^(٤).

(١) انظر: مقال بعنوان (تأثير الإسلام على أدب الرِّثاء) لسيد أمير محمود أنوار، مجلة التراث الأدبي/ العدد السابع/ص ٢١.

(٢) اختلف العلماء في حكم رثاء الأموات على قولين، «الأول: أنه لا بأس بالمراثي، وهذا مذهب الحنفية والشافعية. انظر: حاشية ابن عابدين ٢/٢٣٩، نهاية المحتاج ٣/١٧. واستدلوا بفعل كثير من الصحابة وأهل العلم. انظر: حاشية الجمل ٢/٢١٥. والقول الثاني: كراهة المراثي، وهو قول للشافعية. انظر: نهاية المحتاج ٣/١٧. واستدلوا بأن النبي ﷺ قد نهى عن المراثي، فعن عبد الله بن أبي أوفى ﷺ قال: نهى رسول الله ﷺ عن المراثي. الحديث في سنن ابن ماجه (١٥٩٢). وفي مسند أحمد (١٨٦٥٩). ومدار الحديث على إبراهيم الهجري، وقد قال عنه البوصيري: وهو ضعيف جداً، ضعفه سفيان بن عيينة ويحيى بن معين والنسائي وغيرهم». مقال بعنوان : (القول المبين في حكم الرثاء والتأبين) لأبي عبد الرحمن الآغا، شبكة الألوكة www.alukah.net

(٣) المرجع السابق.

(٤) نقد الشعر ص ١١٨. ووافق ابن رشيق القيرواني قدامة في ذلك فقال: «وليس بين الرثاء والمدح فرق؛ إلا أنه يخلط بالرثاء شيء يدل على أن المقصود به ميت مثل (كان) أو (عدمنا به كيت وكيت) وما يشاكل هذا وليعلم أنه ميت». العمدة ٢/١٤٧.

واعتماداً على هذا الرأي بأنَّ الرِّثَاءَ هو مدحٌ للميت، فيرجعُ لما ذُكِرَ في (ضوابط المدح في السُّنة النبوية) هنا، مع إضافة الآتي:

أولاً- أن لا يتضمَّن الرِّثَاءُ اعتراضاً على قَدَرِ الله تعالى.

يجب أن يخلو الرِّثَاءُ من كل ما يوحى بالاعتراض على قدر الله تعالى، فهو الذي يُحي ويميت وعلى الشَّاعر المسلم أن يكونَ مؤمناً بالقضاء والقدر، راضياً بما كتبه الله تعالى. «فَكُلُّ كَلَامٍ يُقَرَّرُ فِي النَفُوسِ وَيُوضَحُ لِلْأَفْهَامِ نِسْبَةُ الرَّبِّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى إِلَى الْجُورِ فِي قَضَائِهِ، وَالتَّبَرُّمُ بِقَدَرِهِ، وَأَنَّ الْوَاقِعَ مِنْ مَوْتِ هَذَا الْمَيِّتِ لَمْ يَكُنْ مَصْلَحَةً، بَلْ مَفْسَدَةً عَظِيمَةً، فَيَحْمِلُ السَّامِعِينَ عَلَى اعْتِقَادِ ذَلِكَ، يَكُونُ حَرَاماً نَظْماً كَانَ أَوْ نَثْراً مَرْتَبَةً أَوْ نَوَاحاً»^(١).

ثانياً- أن لا يتضمَّن الرِّثَاءُ على سبِّ الدَّهْرِ.

يجب على الشَّاعر أن يجتنِبَ كل عبارة فيها سبٌّ وقذفٌ للدَّهر، فهذا كله مما يتنافى مع العقيدة الإسلامية. فقد وَرَدَ عن النَّبِيِّ ﷺ النهي عن شتم الدهر، فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النَّبِيِّ ﷺ قال: «لَا تَسُبُّوا الدَّهْرَ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الدَّهْرُ»^(٢). وفي الحديث القدسي الذي يرويه أبو هريرة رضي الله عنه النَّبِيُّ ﷺ عن ربه عز وجل يقول: «يُؤْذِنِي^(٣) ابْنُ آدَمَ يَقُولُ: يَا خَيِّةَ الدَّهْرِ، فَلَا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ: يَا خَيِّةَ الدَّهْرِ، فَإِنِّي أَنَا الدَّهْرُ، أَقْلَبُ لَيْلَهُ وَنَهَارَهُ، فَإِذَا شِئْتُ قَبَضْتُهُمَا»^(٤).

(١) الفروق ١٧٢/٢.

(٢) صحيح مسلم، في الألفاظ من الأدب وغيرها، باب النهي عن سب الدهر، ١٧٦٣/٤ (٢٢٤٦).

(٣) أي يخاطبني من القول بما يتأذى من يجوز في حقه التأذي والله مُنَزَّةٌ عن أن يصل إليه الأذى وإنما هذا من باب التوسع في الكلام، والمراد أن من وقع ذلك منه تعرض لسخط الله. فتح الباري ٥٧٥/٨.

(٤) صحيح البخاري، في تفسير القرآن، باب ﴿وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ﴾ [الجاثية: ٢٤]، ١٣٣/٦ (٤٨٢٦)، صحيح مسلم، في الألفاظ من الأدب وغيرها، باب النهي عن سب الدهر، ١٧٦٢/٤ (٢٢٤٦). واللفظ لمسلم.

والمراد أن من وقع منه شتمٌ للدهر^(١)، تعرّض لسخط الله، فهو سبحانه صاحبُ الدهر ومُدبِّرُ الأمور التي ينسبونها إلى الدهر، والمُتصرّف في كل الشؤون، فمن سبَّ الدهر بسبب ما جرى عليه من أمور، عادَ سبُّه إلى ربه الذي هو فاعِلُها، وإنما الدهر زمانٌ جُعِلَ ظرفاً لمواقع الأمور، فلا فِعْلَ له بل هو مخلوقٌ من جُملة ما خلقَ الله تعالى^(٢).

ثالثاً- أن لا يترافق الرثاء مع النياحة.

ينبغي أن يخلو رثاء الميت من النياحة^(٣) والندب، ومن كل فعل يدل على المبالغة في إظهار التفجع في الحزن، كضرب الوجه وشق الثياب.

«أما النياحة: فمدار أمرها عند أهل العلم^(٤) على الكلام والصّوت الذي يصدر من النائحة، أو النائح، والكلام المقصود هنا هو ندب الميت، وتعدد محاسنه، أو الرنة - النغمة المعروفة للنساء في حالة النياحة والندب - أو الصراخ، ونحو ذلك من أفعال النائحات المعروفة، ومن الفقهاء من قال إن ذلك مع البكاء، ومنهم من لم يشترط وجود البكاء، إنما علقه على أفعال النياحة السابقة»^(٥).

قال الخطّابي: «والذي كره من المراثي النياحة وما يدخل في معناها من تأبين الميّت على ما جرى عليه مذاهب أهل الجاهلية من قول المراثي ونصب النوائح على قبور مؤتاهم»^(٦).

(١) كانت عادة العرب إذا أصابهم مكروه أضافوه إلى الدهر، فقالوا يُؤساً للدهر، وتباً للدهر. فتح الباري ٥٧٥/٨.

(٢) انظر: شرح صحيح مسلم للنووي ٣/١٥، فتح الباري ٥٧٥/٨.

(٣) النياحة: من النوح، ناحت المرأة على الميت، أي بكت عليه بجزعٍ وعويل ويُقال ناحت. المعجم الوسيط، مادة (نوح) ٩٦١/٢.

(٤) انظر: حاشية ابن عابدين ٣٤/٥، حاشية الدسوقي على الشرح الكبير ٤١٤/١، المجموع ٣٠٧/٥، كشف القناع ١٦٣/٢.

(٥) فتوى بعنوان: (الفرق بين البكاء على الميت والنواح)، موقع الإسلام سؤال وجواب، www.islamqa.info

(٦) غريب الحديث للخطابي ٦٥٠/١.

فقد ثَبَّتَ في الصحيحين عن ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَطَمَ
الْخُدُودَ^(١) وَشَقَّ الْجُيُوبَ^(٢) وَدَعَا بِدَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ»^(٣).

وعن أم عطية^(٤) رضي الله عنها قالت: «أَخَذَ عَلَيْنَا النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم عِنْدَ الْبَيْعَةِ أَنْ لَا نَنُوحَ»^(٥).

ووردَ في الحديثِ أَنَّ الْمَيِّتَ يُعَذَّبُ بِمَا نِيحَ عَلَيْهِ، فعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «الْمَيِّتُ يُعَذَّبُ فِي قَبْرِه بِمَا نِيحَ عَلَيْهِ»^(٦).

أَمَّا إِنْ كَانَ الْبُكَاءُ بِدَمْعِ الْعَيْنِ مِنْ دُونِ نِيَاحَةٍ فَلَا حَرَجَ فِيهِ؛ لِقَوْلِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم حِينَ مَاتَ
ابْنُهُ إِبْرَاهِيمَ: «إِنَّ الْعَيْنَ تَدْمَعُ وَالْقَلْبَ يَحْزَنُ، وَلَا نَقُولُ إِلَّا مَا يُرْضِي رَبَّنَا، وَإِنَّا بِفِرَاقِكَ يَا
إِبْرَاهِيمَ لَمَحْزُونُونَ»^(٧).

(١) خَصَّ الْخُدَّ بِذَلِكَ لِكَوْنِهِ الْغَالِبُ فِي ذَلِكَ، وَإِلَّا فَضْرَبُ بَقِيَّةِ الْوَجْهِ دَاخِلٌ فِي النَّهْيِ. فتح الباري ١٦٤/٣.

(٢) الْجُيُوبُ جَمْعُ جَيْبٍ، وَهُوَ مَا يُفْتَحُ مِنَ الثَّوْبِ لِيَدْخُلَ فِيهِ الرَّأْسُ وَالْمِرَادُ بِشَقِّهِ إِكْمَالُ فَتْحِهِ إِلَى آخِرِهِ وَهُوَ مِنْ
عَلَامَاتِ التَّسَخُّطِ. فتح الباري ١٦٤/٣.

(٣) صحيح البخاري، في الجنائز، باب ليس منا من شق الجيوب، ٨١/٢ (١٢٩٤)، صحيح مسلم، في الإيمان، باب
تحريم ضرب الخدود وشق الجيوب والدعاء بدعوى الجاهلية، ٩٩/١ (١٠٣).

(٤) أم عطية: نسبية بنت الحارث، أم عطية الأنصارية، كانت من كبار نساء الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين، وقيل
(أنها زوجة معاذ رضي الله عنه)، كانت تغزو كثيراً مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، تُمَرِّضُ الْمَرْضَى، وتداوي الجرحى، وشهدت غسل ابنة رسول
الله صلى الله عليه وسلم، وحكت ذلك فأثقت، وحديثها أصل في غسل الميت، ولها عن النبي صلى الله عليه وسلم أحاديث، منها حديث: أخذ علينا
النبي صلى الله عليه وسلم عند البيعة ألا ننوح... الحديث، روى عنها أنس بن مالك، ومحمد بن سيرين، وحفصة بنت سيرين. انظر:
الاستيعاب ١٩٤٧/٤، أسد الغابة ٤١٤/٧، الإصابة ٤٣٧/٨.

(٥) صحيح البخاري، في الجنائز، باب ما ينهى عن النوح والبكاء والزجر عن ذلك، ٨٤/٢ (١٣٠٦)، صحيح مسلم،
في الجنائز، باب التشديد في النياحة، ٦٤٥/٢ (٩٣٦).

(٦) صحيح البخاري، في الجنائز، باب ما يكره من النياحة على الميت، ٨٠/٢ (١٢٩٢)، صحيح مسلم، في الجنائز،
باب الميت يُعَذَّبُ بِبُكَاءِ أَهْلِهِ عَلَيْهِ، ٦٣٩/٢ (٩٢٧).

(٧) عن أنس بن مالك في صحيح البخاري، في الجنائز، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: إنا بك لمحزونون، ٨٣/٢ (١٣٠٣).
صحيح مسلم، في الفضائل، باب رحمته صلى الله عليه وسلم الصبيان والعيال وتواضعه وفضله، ١٨٠٧/٤ (٢٣١٥).

وقوله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ لَا يُعَذِّبُ بِدَمْعِ الْعَيْنِ وَلَا يُحْزِنُ الْقَلْبَ، وَإِنَّمَا يُعَذِّبُ بِهَذَا - وَأَشَارَ إِلَى لِسَانِهِ - أَوْ يَرْحَمُ»^(١).

رابعاً- عَدَمُ الإسرافِ في مدح الميت.

نهى النبي ﷺ عن المبالغة في مدح الميت، ففي الحديث عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مَا مِنْ مَيِّتٍ يَمُوتُ، فَيَقُومُ بَاكِيهَ فَيَقُولُ: وَاجِبِلَاةٌ! وَاسَيِّدَاةٌ! وَنَحْوَ ذَلِكَ، إِلَّا وَكَّلَ بِهِ مَلَكَانِ يُلْهَزَانِهِ»^(٢)، ويقولان: أَهْكَذَا كُنْتَ؟»^(٣).
قال الحصكفي^(٤): «لَا بَأْسَ بِتَرْثِيَةِ الْمَيِّتِ بِشَعْرٍ أَوْ غَيْرِهِ، لَكِنْ يُكْرَهُ الْإِفْرَاطُ فِي مَدْحِهِ لَا سِيَّمَا عِنْدَ جَنَازَتِهِ»^(٥).

فَالْإِسْرَافُ وَالْمُبَالَغَةُ فِي مَدْحِ الْمَيِّتِ، كَقَوْلِ أَحَدِهِمْ أَنَّهُ جَبَلٌ مَضَى وَنَحْوَ ذَلِكَ، لَا تُفِيدُ الْمَيِّتَ، وَقَدْ تَكُونُ مَوْضِعَ مَوَازِيَةٍ لَدَى الشَّارِعِ الْحَكِيمِ^(٦).

(١) صحيح البخاري، في الجنائز، باب البكاء عند المريض، من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ٨٥/٢ (١٣٠٤).
صحيح مسلم، في الجنائز، باب البكاء على الميت، ٦٣٦/٢ (٩٢٤).

(٢) يلهزانه: أي يدفعانه ويضربانه. واللهز: الضرب بجمع الكف في الصدر. النهاية ٢٨١/٤.

(٣) سنن الترمذي، في الجنائز، باب ما جاء في كراهية البكاء على الميت، ٣١٧/٣ (١٠٠٣). وقال الترمذي: «هذا حديث حسن غريب»، سنن ابن ماجه، في الجنائز، باب ما جاء في الميت يعذب بما نيح عليه، ٥٠٨/١ (١٥٩٤).
وقد عزا الحافظ ابن حجر الحديث للترمذي ولابن ماجه ثم قال: «ورواه الحاكم وصححه، وشأهده في الصحيح عن النعمان بن بشير قال: أَعْمِيَ عَلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ رَوَاحَةَ فَجَعَلَتْ أخته تبكي وتقول: واجبله واكذا واكذا، لما أفاق قال: مَا قُلْتُ شَيْئاً إِلَّا قِيلَ لِي أَنْتَ كَذَا. فَلَمَّا مَاتَ لَمْ تَبْكِ عَلَيْهِ». التلخيص الحبير ٣٢١/٢.

(٤) هو محمد بن علي بن محمد الحِصْنِي المعروف بعلاء الدين الحصكفي، مفتي الحنفية في دمشق، كان فاضلاً عالي الهمة، عاكفاً على التدريس والإفادة. له تصانيف فائقة في الفقه وغيره منها: (الدر المختار في شرح تنوير الأبصار) في فقه الحنفية، (إفادته الأنوار على أصول المنار) و(الدر المنتقى) شرح ملتقى الأبحر. توفي في دمشق سنة ١٠٨٨ هـ.
انظر: خلاصة الأثر ٦٣/٤-٦٤-٦٥، الأعلام ٢٩٣/٦-٢٩٤.

(٥) الدر المختار ص ١٢٣.

(٦) انظر: بحث بعنوان (ضوابط إسلامية في الأغراض الشعرية)، محمد رفعت زنجير/ مجلة إسلامية المعرفة/ العدد ١٢/ص ٢١٢.

خامساً- أن لا يُبعد الرِّثاءُ السَّلَوةَ عن أهلِ المَيِّتِ.

نَدَبَ اللهُ تعالى المسلمين لمواساة بعضهم بعضاً عند حلول المصائب، ووعدهم على ذلك أجراً عظيماً، فعن عمرو بن حزم عن النبي ﷺ قال: «ما من مؤمنٍ يُعزِّي أخاه بِمُصِيبَةٍ، إلا كَسَاهُ اللهُ، عز وجل من حُلَلِ الكَرَامَةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(١).

«والتَّعْزِيَةُ هي التَّصْبِيرُ، بِذِكْرِ ما يُسْلِي صاحب الميِّتِ، ويُخَفِّفُ حُزْنَهُ، وَيُهَيِّؤُنْ مُصِيبَتَهُ»^(٢) وهي من التَّراخُمِ الذي أَمَرَنَا اللهُ تعالى به بقوله: «ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ ﴿٧﴾» [البلد: ١٧].

فإن كانَ المسلمونَ مأمورين بالتَّواصي والتَّصْبِيرِ، فهم مَنهِيَّونَ عن عكسه مما يُبعدُ السَّلَوةَ عن أهلِ المَيِّتِ وَيُهَيِّجُ أحزانهم ويُجَدِّدُ لوعَتهم^(٣).

فإن كانَ الرِّثاءُ يُبعدُ السَّلَوةَ عن أهلِ الميِّتِ، وَيُهَيِّجُ الأَسْفَ عليهم، فيؤدِّي إلى تعذيب نفوسهم وَقِلَّةِ صَبْرِهِمْ وَضَجَرِهِمْ، وَرُبَّمَا بَعَثَهُمْ على القنوطِ وشقِّ الجيوبِ وضربِ الحدودِ، فهو حَرَامٌ^(٤).

فالرِّثاءُ مندوبٌ إن احتوى على تصبيرِ أهلِ الميِّتِ وَحَثَّهم على الاحتسابِ وطلبِ الأجرِ والثَّوابِ، أو تذكيرهم بأنَّ فقيدهم انتقلَ إلى جزاء أعمالِهِ الحسنةِ ومُجَاوَزَةِ أهلِ السَّعادةِ، وأنَّه أتى عليه ما قضى على عَامَّةِ النَّاسِ، وأنَّ هذا سبيلٌ لا بُدَّ منه، وأنَّه موطن اشتراكٍ فيه جميعُ الخلائقِ، وبابٌ لا بُدَّ من دخوله^(٥).

(١) سنن ابن ماجه، في الجنائز، باب ما جاء في ثواب من عزى مصاباً، ٥١١/١، قال البوصيري: «هذا إسنادٌ فيه مقال، قيس أبو عمارة ذكره ابن حبان في الثقات، وقال الذهبي في الكاشف ثقة، وقال البخاري فيه نظر. قلت -أي البوصيري-: وباقي رجال الإسناد على شرط مسلم، رواه ابن أبي شيبة في مسنده هكذا ورواه البيهقي في سننه الكبرى من طريق إسماعيل بن أبي أويس عن قيس أبي عمارة ورواه عبد بن حميد حدثنا خالد بن مخلد فذكره بالإسناد والمتن، وله شاهد من حديث ابن مسعود رواه الترمذي وابن ماجه، وروى الترمذي نحوه من حديث أبي بركة» مصباح الزجاجة ٥٠/٢-٥١.

(٢) الأذكار ص ١٤٨.

(٣) انظر: فتح الباري ٣/١٦٤.

(٤) الفروق ٢/١٧٢.

(٥) انظر: المرجع السابق.

يقول الإمام الخطّابي: «فأما المَرَاثِي التي فيها ثناءٌ على الميت ودعاءٌ له فَغَيْرُ مَكْرُوهُةٍ، وقد رَثِيَ رسولُ اللَّهِ غَيْرُ واحدٍ من الصَّحابة، وَنَدَبَتْهُ فَاطِمَةُ بِكَلَامٍ مذكورٍ عنها، ورَثِيَ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَغَيْرُهُمَا من الصَّحابة بِمَرَاثٍ رَوَاهَا الْعُلَمَاءُ ولم يَكْرَهُوا إِنْشَادَهَا وهي أَكْثَرُ مِنْ أَنْ تُحْصَى»^(١).

ومن الرِّثَاءِ الإسلامي المقبول الذي صَدَّقَهُ النبي ﷺ، ما رَثَتْ به أُمُّ سَعْدٍ^(٢) ابْنَهَا سَعْدُ بن مُعَاذٍ رضي الله عنه حينَ اسْتُشْهِدَ في غَزْوَةِ الحَنْدَقِ، فبَكَتْهُ أُمُّهُ لَمَّا احْتُمِلَ نَعْشُهُ، وقالت:

[بحر الرِّجَز]

وَيْحَ أُمِّ سَعْدٍ سَعْدًا صَرَامَةً وَجَدًا
بَعْدَ أَيَادٍ لَهُ وَجَدًا مُقَدِّمًا سَدًّا بِهِ مَسَدًا

فقال رسول الله ﷺ: «كُلُّ الْبَوَاكِي تَكْذِبُ إِلَّا أُمُّ سَعْدٍ»^(٣).

خِتَاماً أَوْدُ أَنْ أَشِيرَ إِلَى أَنَّ شِعْرَ الرِّثَاءِ، حَازَ اهْتِمَاماً وَاسِعاً في عَصْرِ صدر الإسلام خصوصاً بعد وفاة النبي ﷺ، فحينَ لَحِقَ النبي ﷺ بجوار ربِّه، استَحَالَت المدينة المنورة إلى بركانٍ من البكاء والحزن، وارتفعت أصوات الشُعراء في أرجاء الأرض، معبرةً عن مشاعر أصحابها الحزينة ومُفَصِّحةً عن لوعة قلوبهم^(٤)، وقد وصلنا من هذه المراثي الكثير، منها ما رثاه به حسان وكعب بن مالك وفاطمة الزهراء وغيرهم من الصحابة رضي الله عنهم أجمعين.

(١) غريب الحديث للخطابي ٦٥٠/١.

(٢) كبيشة بنت رافع بن عبيد بن ثعلبة بن عبيد بن الأجر. سيرة ابن هشام ٢٥٢/٢.

(٣) مسند إسحاق بن راهويه، عن عائشة رضي الله عنها ٥٤٤/٢، قال البوصيري: «رواه إسحاق بن راهويه بسندٍ صحيح» إتخاف الخيرة المهرة ٤٩٨/٢. وأخرج ابن سعد في طبقاته الحديث عن إسماعيل بن أبي خالد عن رجلٍ من الأنصار مع اختلاف في الألفاظ. طبقات ابن سعد ٣٢٦/٣.

(٤) انظر: تأثير الإسلام على أدب الرِّثَاء، مجلة التراث الأدبي/ ص ٢١.

ومن الشعر الذي رثاه به حسان رضي الله عنه قوله:

[بجر الكامل]

مَا بَالُ عِيٍّ لَا تَنَامُ كَأَنَّمَا	كُحِلَتْ مَاقِيهَا بِكُحْلِ الْأَرْمَدِ
جَزَعًا عَلَى الْمَهْدِيِّ أَصْبَحَ ثَاوِيًا	يَا خَيْرَ مَنْ وَطِئَ الْحَصَى لَا تَبْعُدِ
وَجْهِي يَقِيكَ التُّرْبُ لَهْفِي لِيَتَنِي	عُيِّتُ قَبْلَكَ فِي بَقِيعِ الْعَرْقَدِ
بَأبي وَأُمِّي مِنْ شَهِدْتُ وَفَاتَهُ	فِي يَوْمِ الْاِثْنَيْنِ النَّبِيُّ الْمُهْتَدِي
أَقِيمْ بَعْدَكَ بِالْمَدِينَةِ بَيْنَهُمْ	يَا لِيَتَنِي صُبْحْتُ سُمَّ الْأَسْوَدِ ^(١)

(١) الأسود هو من الأفاعي السامة الخبيثة. والأبيات في سيرة ابن هشام ٢/٦٦٩، إمتاع الأسماع ٤/٥٩٢، ديوان

حسان بن ثابت رضي الله عنه ص ٦٥.

المبحث الخامس

أغراض شعرية أخرى في السُّنة النبوية.

وفيه أربعة مطالب:

- المطلب الأول: شعر الفخر والحماسة في السُّنة النبوية.
- المطلب الثاني: شعر الحكمة في السُّنة النبوية.
- المطلب الثالث: شعر الشكوى في السُّنة النبوية.
- المطلب الرابع: شعر الاعتذار في السُّنة النبوية.

➤ المبحث الخامس: أغراض شعرية أخرى في السُّنة النبوية.

لم تقتصر الأغراض الشعرية على ما سبق ذكره في المباحث السابقة، بل وجدت أغراضٌ شعرية أخرى استعملها الشعراء في قصائدهم، وقد عمدت في هذا المبحث إلى جمع ما وجدته منها في كتب السنة، فكانت على النحو الآتي:

● المطلب الأول: شعر الفخر والحماسة في السُّنة النبوية.

الفخر هو من أدل فنون الأدب على فطرة الإنسان فهو صدى تطلُّع النفس إلى ذاتها، وميلها الطبيعي إلى الأثرة والأنفة والعزة^(١).

ويُعدُّ الفخر رفيق الآداب كلها منذ كان للشُّعوب آداب، وهو عند العرب بابٌ واسعٌ من أبواب شعرهم^(٢)، فقد ظلَّ الشعراء يتفنَّون به طوال العصور محسدين فيه دائماً مثالياتهم الفردية من الوفاء والمروءة والعزة والكرامة وغير ذلك من الشِّيم الرفيعة الحريية التي يسحقون بها الأعداء^(٣).

يُعرِّف ابن رشيق غرض الافتخار بقوله: «الافتخار هو المدح نفسه إلا أنَّ الشاعر يمدح نفسه وقومه»^(٤). أمَّا مصطفى صادق الرافعي فيرى أنَّ حقيقة الفخر ليست مدحاً بل هي فضيلة الفرد وفضيلة الجماعة^(٥).

(١) انظر: الفخر والحماسة ص ٤.

(٢) المرجع السابق.

(٣) الشعر الأندلسي في ظل الدولة العامية ص ٨٣.

(٤) العمدة ١٤٣/٢.

(٥) انظر: تاريخ آداب العرب ٦٩/٣.

وينقسم الفخر في الجاهلية إلى نوعين^(١):

- الفخر الشخصي: وهو الذي يدور حول شخص الشاعر وذاته ونسبه، وشجاعته وبطولاته وأخلاقه.

ومن أمثله قول عنتره بن شداد^(٢) وهو يفخر ببأسه وشجاعته:

[بحر الوافر]

وَلَوْ أَرْسَلْتُ رُحِّي مَعَ جَبَانٍ لَكَانَ بِحَيِّتِي يَلْقَى السَّبَاعَا^(٣)

ومن أبياته التي يفخر فيها بأخلاقه قوله:

[بحر الكامل]

وَأَعْضُ طَرْفِي مَا بَدَتْ لِي جَارِي حَتَّى يُوَارِي جَارِي مَأْوَاهَا
إِنِّي أَمْرُؤُ سَمَحُ الْخَلِيقَةِ مَا جَدُّ لَا أَتَّبِعُ النَّفْسَ اللَّجُوجَ هَوَاهَا^(٤)

- الفخر القبلي: وهو الذي يدور حول الإشادة بأجداد القبيلة والإعلاء من شأنها بين القبائل الأخرى، ومنها افتخار الشاعر عمرو بن كلثوم بقبيلته قائلًا:

(١) في تاريخ الأدب الجاهلي ص ٣٦٤.

(٢) عنتره بن شداد: أبو المغلس، عنتره بن عمرو بن شداد العبسي، من أهل نجد. من أشهر شعراء العرب، ومن أحسنهم شيمًا وأعزهم نفسًا، يوصف بالحلم على شدة بطشه، أمه حبشية اسمها زبيبة، وقد سرى إليه السواد منها. كان مُغرماً بابنة عمه (عبلة)، فقلَّ أن تخلو قصيدة له من ذكرها. شهد حرب داحس والغبراء وعاش طويلاً، حتى قتله الأسد الرهيص أو جبار ابن عمرو الطائي، حوالي ٦١٥ م. من أصحاب المعلقات وله ديوان شعر يحوي بدائع شعره، وقد وضع عليه عدة شروح. انظر: الشعر والشعراء ١/٢٤٧، ٢٤٣، خزنة الأدب ١/١٢٨، الأعلام ٥/٩١.

(٣) شرح ديوان عنتره بن شداد ص ٩٠.

(٤) أي إذا هويت نفسي ما يكون فيه غضاضة علي، ولجت في إرادته منعته منه ولم أتبعها إياه. المرجع السابق

[بحر الوافر]

إِذَا بَلَغَ الْفِطَامَ لَنَا وَلَيْدٌ تَحِرُّ لَهُ الْجَبَايِرُ سَاجِدِينَا^(١)

أَمَّا الحماسة: فهي الافتخارُ بخوضِ المعارك والانتصارات في الحروب، وقد دار الشعر الحماسي في الجاهلية حول تحريضِ أفراد القبيلة على القتال والأخذِ بالثأر، ووصف المعارك، ووصف أعمال البطولة، وأدوات الحرب وما إلى ذلك، ويمثِّلُ شعرُ الحماسة حقيقة الصراع القبلي على أرض الجزيرة وما يحدث من وقائع بين تلك القبائل^(٢).

ومن الأمثلة على شعر الحماسة، ما قاله المُعَقَّرُ بن الحارث الباري^(٣) يومَ شِعب جَبَلَة^(٤)، وقد كان شَهِدَ الواقعة، فوصَفَ ذلك اليوم المشهود، وما أتى به الأبطال من جليل الأعمال، في أبيات منها قوله:

[بحر الطويل]

ضَرَبْنَا حَيْكَ الْبَيْضِ^(٥) فِي عَمْرِ جُئَة^(٦) فَلَمْ يَبْقَ فِي النَّاجِينَ مِنْهُمْ مُفَاخِرُ^(٧)

(١) جمهرة أشعار العرب ص ٢٩، ديوان عمرو بن كلثوم ص ٩١.

(٢) انظر: الفخر والحماسة ص ٦.

(٣) المُعَقَّرُ بن أوس ابن حمار ابن كنانة بن بارق، من فرسان قومه وشعرائهم المشهورين يوم جبلة، وكان قبل الإسلام بتسع وخمسين سنة، شهد يوم شعب جبلة وكان يومئذ شيخاً كبيراً قد كُفَّ بصره، ومعه ابنة له تقود به جملة. وكان قومه قد حالفوا بني نمير بن عامر. انظر: الأغاني ١١/١٤٣، خزنة الأدب ١٧/٥.

(٤) هو يومٌ كانت فيه وقعة بين بني دُبَيان وبين بني عامر، فظهرت بنو عامر على بني دُبَيان. انظر: خزنة الأدب ١٦/٥، أيام العرب في الجاهلية ص ٣٤٩، ٣٦٧.

(٥) البيض: مفردُها بيضة وهي الخوذة من السلاح. لسان العرب، مادة (بيض) ٧/١٢٥. والحبيك في البيض: إحكام عملها وطرائقها. الأغاني ١١/١٦٥، وانظر: لسان العرب، مادة (حبك) ١٠/٤٠٨.

(٦) جُئَة الأمر: معظمه، وقيل جُئَة الظلام، مُعْظَمُهُ وَظَلَمَهُ. لسان العرب، مادة (لجج) ٢/٣٥٤.

(٧) العقد الفريد ٦/١٣، الأغاني ١١/١٦٥، التذكرة الحمدونية ٥/٣٦٥.

ولما ظهرت رسالة الإسلام العظيمة، ضُمَّت العرب تحت لواء واحد، وجعلت باعِثَ البطولة هو الجهاد والقتال في سبيل الله وفي سبيل نشر دينه، فمن انتصر فرِحَ بنصر الله، ومن استشهد فاز بجَنات النعيم.

وقد واكب شعر الفخر والحماسة غايات الإسلام وسايرها، فاصطبغ بصبغةٍ دينية وخرجَ عن حدود الفردية والقبلية إلى أجواء الجماعة المؤمنة المتوحدة تحت لواء الإسلام^(١).

ولشعر الفخر والحماسة أمثلة متعددة في السنة النبوية منها ما أخرجهُ الشيخان في حديث غزوة ذي قرد، عن سلمة بن الأكوع رضي الله عنه أَنَّهُ قَالَ: خَرَجْتُ قَبْلَ أَنْ يُؤَدَّنَ بِالْأُولَى^(٢)، وَكَانَتْ لِقَاحُ^(٣) رَسُولِ اللَّهِ ﷺ تَرعى بذي قَرْدٍ^(٤)، قَالَ: فَلَقَيْنِي غُلَامٌ لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ فَقَالَ: أُخِذْتُ لِقَاحُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قُلْتُ: مَنْ أَخَذَهَا؟ قَالَ: غُطْفَان، قَالَ: فَصَرَحْتُ ثَلَاثَ صَرَخَاتٍ يَا صَبَاحَاهُ^(٥)، قَالَ فَأَسْمَعْتُ مَا بَيْنَ لَابَتَيِ الْمَدِينَةِ، ثُمَّ انْدَفَعْتُ عَلَى وَجْهِي حَتَّى أَدْرَكْتُهُمْ، وَقَدْ أَخَذُوا يَسْتَقُونَ مِنَ الْمَاءِ، فَجَعَلْتُ أَرْمِيهِمْ بِنَبْلِي، وَكُنْتُ رَامِيًا، وَأَقُولُ:

[بِحَرْزِ الرَّجَزِ]

أَنَا ابْنُ الْأَكْوَعِ وَالْيَوْمُ يَوْمُ الرُّضْعِ^(٦)

(١) انظر: الفخر والحماسة ص ٤٩.

(٢) بالأولى: أي بصلاة الصبح. فتح الباري ٤٦١/٧.

(٣) لقاح: واحدها لقحة، وهي الناقة القريبة العهد بالنجاح، كثيرة اللبن. انظر: النهاية ٢٦٢/٤.

(٤) ذي قرد: اسم مكان فيه ماء على ليلتين من المدينة، بينها وبين خيبر. النهاية ٣٧/٤، معجم البلدان ٣٢١/٤.

(٥) واصباحاه: قال في النهاية: «هذه كلمة يقولها المستغيث وأصلها إذا صاحوا للغارة لأنهم أكثر ما كانوا يغيرون عند الصباح ويسمون يوم الغارة يوم الصباح فكان القائل يا صباحاه يقول قد غشنا العدو وقيل إن المتقاتلين كانوا إذا جاء الليل يرجعون عن القتال فإذا عاد النهار عاودوه فكانه يريد بقوله يا صباحاه قد جاء وقت الصباح فتأهبوا للقتال» النهاية ٦/٣-٧.

(٦) يوم الرُّضْع: جمع راضع كشاهد، شَهِدَ: أي خُذِ الرمية مني واليوم يوم هلاك اللغام. النهاية ٢٣٠/٢ قال الحافظ ابن حجر: «معناه اليوم يوم هلاك اللغام، والأصل فيه أنَّ شخصاً كان شديد البخل، فكان إذا أراد حلب ناقته ارتضع من ثديها لئلا يخلبها، فيسمع جيرانه أو من يمر به صوت الحلب فيطلبون منه اللبن... وقيل بل معناه اليوم يعرف من ارتضع كريمة فأنجبته، ولثيمة فهجته، وقيل معناه اليوم يُعرَفُ من أرضعته الحرب من صغره، وتدرّب بها من غيره» فتح الباري ٤٦١/٧.

وَأَرْجَزُ، حَتَّى اسْتَنْقَذْتُ اللَّقَاحَ مِنْهُمْ، وَاسْتَلَبْتُ^(١) مِنْهُمْ ثَلَاثِينَ بُرْدَةً^(٢).

فَمَا ارْتَجَزَهُ سَلْمَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا مِنَ الْفَخْرِ الَّذِي يُقَالُ فِي الْحُرُوبِ، لَزَرْعِ الرِّهْبَةِ فِي نَفُوسِ الْعَدُوِّ.

وَمِنَ الْفَخْرِ وَالْحِمَاسَةِ كَذَلِكَ مَا أُنْشِدَ فِي غَزْوَةِ خَيْبَرَ، فَقَدْ أَخْرَجَ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ
عَنْ سَلْمَةَ بْنِ الْأَكْوَعِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: فَلَمَّا قَدِمْنَا خَيْبَرَ، خَرَجَ مَلِكُهُمْ مَرْحَبٌ^(٣) يَخْطُرُ^(٤) بِسَيْفِهِ
وَيَقُولُ:

[بِحَرْزِ]

قَدْ عَلِمْتُ خَيْبَرُ أَيَّ مَرْحَبٍ شَاكِي السَّلَاحِ^(٥) بَطَلٌ مُجَرَّبٌ
إِذَا الْحُرُوبُ أَقْبَلَتْ تَلَهَّبُ

قَالَ: وَبَرَزَ لَهُ عَمِّي عَامِرٌ، فَقَالَ:

[بِحَرْزِ]

قَدْ عَلِمْتُ خَيْبَرُ أَيَّ عَامِرٍ شَاكِي السَّلَاحِ بَطَلٌ مُغَامِرٌ^(٦)

(١) استلبت: أي أخذت واختلست، والسلب: هو ما يأخذه أحد القرنين في الحرب من قرنه، مما يكون عليه ومعه من ثياب وسلاح ودابة. لسان العرب، مادة (سلب) ٤٧١/١.

(٢) صحيح البخاري، في المغازي، باب غزوة ذي قرد ١٣٠/٥ (٤١٩٤)، صحيح مسلم، في الجهاد والسير، باب غزوة ذي قرد وغيرها ١٤٣٣/٣ (١٨٠٦).

(٣) مرحب اليهودي، أحد أشهر فرسان يهود خيبر، وكان قائداً من قادة اليهود في غزوة خيبر (سنة ٧هـ)، الذين دافعوا عن حصونها المنيعه. ومقتله روايتان: إحداهما أن علياً رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ هو من قتله والأخرى أن محمد بن مسلمة هو من قتله. انظر: سيرة ابن هشام ٣٣٣/٢-٣٣٤، زاد المعاد ٢٨٣/٣.

(٤) يخطُر: يتبختر. لسان العرب، مادة (خطر) ٢٥٠/٤.

(٥) شاكي السلاح: قال أبو عبيد: «الشَّاكِي وَالشَّائِكُ جَمِيعاً ذُو الشُّوْكَةِ وَالْحَدُّ فِي سِلَاحِهِ». لسان العرب، مادة (شوك) ٤٥٤/١٠.

(٦) مغامر: مُحَاصِمٌ أَوْ مُحَاقِدٌ. لسان العرب، مادة (غمر) ٣٠/٥.

وفي الحديث نفسه عن سلمة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم أعطى الراية علياً رضي الله عنه، فخرج مرحباً، وقال:

[بجر الرجز]

قَدْ عَلِمْتُ خَيْرُ أَنِّي مَرْحَبٌ شَاكِي السَّلَاحِ بَطْلٌ مُجَرَّبٌ
إِذَا الْحُرُوبُ أَفْبَلَتْ تَلَهَّبُ

فقال علي رضي الله عنه:

[بجر الرجز]

أَنَا الَّذِي سَمَّيْنِي أُمِّي حَيْدَرَهُ^(١) كَلَيْتَ غَابَاتٍ كَرِيهَ الْمَنْظَرَةِ
أَوْفِيهِمْ بِالصَّاعِ كَيْلَ السَّنْدَرَةِ^(٢)
قال: فضرب رأسَ مَرْحَبٍ فقتله، ثُمَّ كَانَ الْفَتْحُ عَلَى يَدَيْهِ^(٣).

وهذه الأبيات التي رَدَّدَهَا كُلُّ مَنْ عَامَرَ بَنَ الْأَكْوَعِ وَعَلِيٍّ رضي الله عنه فِي غَزْوَةِ خَيْبَرَ، هِيَ مِنَ الْفَخْرِ الْمُسْتَحَبِّ، الْمُنْدَرَجِ تَحْتَ اخْتِيَالِ الرَّجُلِ بِنَفْسِهِ عِنْدَ الْقِتَالِ، وَهُوَ مِنَ الْخِيَلَاءِ الَّذِي يُجِبُّهُ اللَّهُ، لَمَا فِيهِ مِنَ التَّرْهِيْبِ لِأَعْدَاءِ اللَّهِ وَالتَّنْشِيْطِ لِأَوْلِيَائِهِ^(٤).

ففي الحديث كما يقول الإمام النووي: «استحبَّ الرِّجْزُ فِي الْحَرْبِ وَجَوَازُ قَوْلِ الرَّامِي وَالطَّاعِنِ وَالضَّارِبِ، خَذَهَا وَأَنَا فُلَانٌ أَوْ ابْنُ فُلَانٍ»^(٥).

(١) الحيدرة: الأسد، أي مثل الملك في الناس. لسان العرب، مادة (حدر) ١٧٤/٤.

(٢) السَّنْدَرَةُ: اِخْتَلَفُوا فِي السَّنْدَرَةِ، فَفَسَرُوهَا بِمَعَانٍ مُخْتَلِفَةٍ مِنْهَا: أَنَّهُ مَكِيَالٌ ضَخْمٌ، وَيَكُونُ الْمَعْنَى: أَقْتَلَكُمْ قِتَالًا وَاسِعًا كَبِيرًا، وَقِيلَ السَّنْدَرَةُ: امْرَأَةٌ كَانَتْ تَبِيعُ الْقَمَحَ وَثَوْبِي الْكِيلِ، وَيَكُونُ الْمَعْنَى: أَيِ أَكَيْلِكُمْ كَيْلًا وَافِيًا. وَقِيلَ هِيَ الْعَجَلَةُ، فَيَكُونُ الْمَعْنَى: أَقْتَلْتَهُمْ عَاجِلًا. انظر: شرح صحيح مسلم للنووي ١٢/١٨٥-١٨٦، لسان العرب، مادة (سندر) ٣٨٢/٤.

(٣) صحيح مسلم، في الجهاد والسير، باب غزوة ذي قرد وغيرها ١٤٣٣/٣ (١٨٠٧).

(٤) انظر: نيل الأوطار ٢٨٧/٧.

(٥) شرح صحيح مسلم للنووي ١٢/١٨٦.

وَمَا وَرَدَ فِي السُّنَّةِ فِي الْفَخْرِ وَالْحِمَاسَةِ كَذَلِكَ، مَا أَنْشَدَهُ النَّابِغَةُ الْجَعْدِي بَيْنَ يَدَيِ النَّبِيِّ ﷺ وَاصِفاً بِهِ قُوَّةَ الْجِيُوشِ الْإِسْلَامِيَّةِ، وَشِدَّةَ بَأْسِهَا عِنْدَ التَّحَامِ الصُّفُوفِ، قَائِلاً:

[بحر الطويل]

وَأَنَا لِقَوْمٍ مَا نَعُوذُ خَيْلَنَا إِذَا مَا التَّقَيْنَا أَنْ تَحِيدَ وَتَنْفِرَا
وَتُنَكِّرُ يَوْمَ الرَّوْعِ أَلْوَانَ خَيْلِنَا مِنْ الطَّعْنِ حَتَّى نَحْسَبَ الْجَوْنَ^(١) أَشَقْرَا^(٢)
وَلَيْسَ بِمَعْرُوفٍ لَنَا أَنْ نَرُدَّهَا صَحَاحاً وَلَا مَسْتَكْرَاً أَنْ تُعَفَّرَا^(٣)
بَلَّغْنَا السَّمَاءَ بِجُودِنَا وَجُودِنَا وَإِنَّا لَنَبْغِي فَوْقَ ذَلِكَ مَظْهَرَا^(٤)

فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِلَى أَيْنَ؟» قُلْتُ: إِلَى الْجَنَّةِ. قَالَ: «نَعَمْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ»^(٥).

وَمِنْ شَعْرِ الْفَخْرِ الَّذِي يُرَوَّى عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، مَا قَالَهُ لَيْلَةَ مَبِيتِهِ عَلَى فِرَاشِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي حَادِثَةِ الْمَهْجَرَةِ الْمُبَارَكَةِ، فَعَنْ عَلِيٍّ بْنِ الْحُسَيْنِ قَالَ: إِنَّ أَوَّلَ مَنْ شَرَى نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ. وَقَالَ عَلِيٌّ عِنْدَ مَبِيتِهِ عَلَى فِرَاشِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ شِعْراً:

[بحر الطويل]

وَقَيْتُ بِنَفْسِي خَيْرَ مَنْ وَطِئَ الْحَصَا وَمَنْ طَافَ بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ وَبِالْحَجَرِ
رَسُولَ إِلَهٍ خَافَ أَنْ يَمْكُرُوا بِهِ فَتَجَّاهُ دُوَ الطُّوْلِ إِلَاهُ مِنَ الْمَكْرِ

(١) الجون: هو الأسود المشرب حمرة. لسان العرب، مادة (جون) ١٣/١٠١.

(٢) الأشقر من الدَّوَاب: الأحمر في مُغَزَّةِ حمرة صافية يَحْمَرُ مِنْهَا السَّبَبُ والمَعْرِفَةُ والنَّاصِيَةُ، والعرب تقول: أَكْرَمُ الْخَيْلِ وَذَوَاتِ الْخَيْرِ مِنْهَا شَقْرَهَا. لسان العرب، مادة (شقر) ٤/٤٢١.

(٣) يُعَفَّرُ: يُمَرَّغُ وَيُدَسُّ بِالتُّرَابِ. لسان العرب، مادة (عفر) ٤/٥٨٣.

(٤) المظهر: المصعد. لسان العرب، مادة (ظهر) ٤/٥٢٩.

(٥) مسند الحارث، من حديث النابغة الجعدي ٨٤٤/٢، وقد ساق البوصيري الحديث وقال: «هذا إسناد ضعيف» إتحاف الخيرة المهرة ١٤٦/٦. والأبيات في ديوان النابغة الجعدي ص ٨٤-٨٥. وأخرج الحديث بذكر البيت الأخير، ابن قانع في معجم الصحابة ٣٤٥/٢، وأبو نعيم الأصبهاني في دلائل النبوة ص ٤٥٨، والبيهقي في دلائل النبوة ٦/٢٣٢.

وَبَاتَ رَسُولُ اللَّهِ فِي الْعَارِ آمِنًا مُوَفَّىٰ وَفِي حِفْظِ الْإِلَهِ وَفِي سِتْرِ
وَبِئْتُ أَرَا عِيَهُمْ وَلَمْ يَتَّهَمُونِي وَقَدْ وَطَّنْتُ نَفْسِي عَلَى الْقَتْلِ وَالْأَسْرِ^(١)

فعليٌّ عليه السلام يفخرُ بكونه يفتدي نبيّه بنفسه، ويفتخر كذلك بِجراته وشجاعته، فهو لا
يَخَافُ من القتل أو الأسر في سبيل الله تعالى وفي سبيل نصرته نبيه ﷺ.

يَتَضَخُّ من خلال ما سبقَ كيفَ صَحَّحَ الإسلامُ مسيرةَ الفخر والحماسة، فجعلها
هادِفةً، موجَّهةً في سبيلِ إعلاءِ كلمة الله، ونشر دينه، وزلزلة أعدائه.

● المطلب الثاني: شعر الحكمة في السُّنة النبوية.

الحِكْمَةُ قولٌ ناتجٌ عن تجرِبَةٍ وَخَبِرَةٍ وَدِرَايَةٍ بالأُمُورِ ومُجْرِيَاتِهَا، ولا يقولها إلا من عرَكتَه
الأيام ووسمته بميسمها، وهذا تماماً ما يَلَحُظُه الدَّارِسُ للشعر العربي، فالحِكْمَةُ التي التي ضَمَّنَهَا
الشُّعْرَاءُ قصائدهم، كانت في غالبيتها نتاج تجاربهم الشخصية، وتأملاتهم في هذه الحياة.
ولا يخفى على ذي علمٍ أن الشُّعْرَ الجاهلي كان شعر الأصالة والفطرة، وأنَّ الحِكْمَةَ
الجاهلية كانت من أنقى ما لهجت به ألسنة العقلاء، وتلجلجت به صدور الحكماء، وقد
حَرَصَ كثيرٌ من شعراء الجاهلية على ترصيع قصائدهم بأبياتٍ في شعر الحكمة، حتى تحفظها
الناس وتتناقلها، وتصير أمثالاً سائرةً تجري على الألسنة.
غيرَ أنَّ الحِكْمَةَ لم تكن غرضاً مستقلاً قائماً بذاته، وإنما كانت ومضات ماثلة في

(١) المستدرك على الصحيحين ٥/٣. وسكت عنه الذهبي في التلخيص. في سند الحديث (يحيى بن عبد الحميد
الحمامي): وثقه ابن معين وغيره، وأما أحمد فقال: «كان يكذب جهاراً»، وقال النسائي: «ضعيف». وقال البخاري:
«كان أحمد وعلي يتكلمان فيه»، وقال ابن عدي: «ولم أر في مسنده وأحاديثه أحاديث مناكير، وأرجو أنه لا بأس
به». قال في التريب: «حافظٌ إلا أنهم اتهموه بسرقة الحديث من صغار التاسعة». انظر: لسان الميزان ٥٠٦/٧،
تهذيب التهذيب ٢٤٣/١١، تريب التهذيب ص ٥٩٣، المستدرك على الصحيحين بتحقيق مصطفى عبد القادر عطا
٥/٣.

قصائد الشعراء الذي كانوا في معظمهم شعراء الحنيفة، من أمثال زهير بن أبي سلمى وأمية بن أبي الصلت وليد العامري^(١).

ولعل أشهر من نظم حكماً في الجاهلية، الشاعر زهير بن أبي سلمى، فمعلّقه المشهورة حظيت بالكثير من حكمه، التي حُفظت على مرّ الزمان، ومن ذلك قوله فيها:

[بحر الطويل]

وَمَنْ يَغْتَرِبْ يَحْسَبْ عَدُوًّا صَدِيقَهُ وَمَنْ لَا يُكْرِمُ نَفْسَهُ لَا يُكْرَمُ^(٢)
وَمَهْمَا تَكُنْ عِنْدَ امْرِئٍ مِنْ خَلِيقَةٍ وَلَوْ خَالَهَا تَخْفَى عَلَى النَّاسِ تُعْلَمُ^(٣)

وقد أطرى النبي ﷺ على الشعر الذي يحمل الحكمة في معناه، فقال ﷺ: «إِنَّ مِنْ الشَّعْرِ حِكْمَةً»^(٤). وثبت عنه ﷺ أَنَّهُ اسْتَمَعَ لِأَبْيَاتٍ - فِي الْحِكْمَةِ - نَظَمَهَا شُعْرَاءُ الْحَنِيفِيَّةِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، وَأَبْدَى إِعْجَابَهُ بِمَعَانِيهَا الَّتِي تَوَافَقُ أَصُولَ الدِّينِ وَمَقَاصِدِهِ.

فعن مسلم الخزاعي قال: كُنْتُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَأَنْشَدَنِي قَوْلَ سُؤَيْدِ بْنِ عَامِرٍ الْمِصْطَلِقِيِّ:

[بحر البسيط]

لَا تَأْمَنْنَّ وَإِنْ أَمْسَيْتَ فِي حَرَمٍ إِنَّ الْمَنَايَا بِجَنَبِي كُلِّ إِنْسَانٍ
وَاسْلُكْ طَرِيقَكَ تَمْشِي غَيْرَ مُحْتَشِعٍ حَتَّى تُلَاقِي مَا يَمْنِي لَكَ الْمَانِي
فَكُلُّ ذِي صَاحِبٍ يَوْمًا مُفَارِقُهُ وَكُلُّ زَادٍ وَإِنْ أَبْقَيْتُهُ فَالَانِي

(١) انظر: المراثي النبوية في صدر الإسلام ص ٢٤.

(٢) معنى البيت أن من يغترب ويبعد عن قومه يختلط عليه الأمر، فلا يعرف العدو من الصديق، لأنه لم يجربه، ومن لا يُحافظ على كرامته وقدره فإن الناس لا يعرفون له قدراً ولا كرامة. ديوان زهير بن أبي سلمى ص ١١١.

(٣) معنى البيت أن المرء مهما حاول أن يخفي أخلاقه فلا بُدَّ أن تظهر للناس ويعرفوها سواء كانت حسنة أم سيئة. ديوان زهير بن أبي سلمى ص ١١١، والأبيات في نهاية الأرب في فنون الأدب ٦١/٣.

(٤) سبق تخريج الحديث انظر: ص ١٩.

وَالْخَيْرُ وَالشَّرُّ مَجْمُوعَانِ فِي قَرْنٍ بِكُلِّ ذَلِكَ يَأْتِيكَ الْجُدِيدَانِ^(١)
فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَوْ أَدْرَكَنِي هَذَا لِأَسْلَمَ»^(٢).

وَرَوَى عَنْهُ ﷺ أَنَّهُ اسْتَمَعَ كَذَلِكَ لِلنَّابِغَةِ الْجَعْدِي^(٣) حِينَ أَنْشَدَهُ قَوْلَهُ:

[بحر الطويل]

وَلَا خَيْرَ فِي حَلِيمٍ إِذَا لَمْ يَكُنْ لَهُ بَوَادِرُ^(٤) تَحْمِي صَفْوَهُ أَنْ يُكَدَّرَا

وَلَا خَيْرَ فِي جَهْلٍ إِذَا لَمْ يَكُنْ لَهُ حَلِيمٌ إِذَا مَا أَوْرَدَ الْأَمْرَ أَصْدَرَا^(٥)

فَقَالَ لَهُ الرَّسُولُ ﷺ: «لَا يُفَضَّضُ فُوكَ» مَرَّتَيْنِ^(٦).

(١) سبق شرح الأبيات انظر: ص ٣٢.

(٢) سبق تخريج الحديث انظر: ص ٣٢.

(٣) هو قيس بن عبد الله بن غُدَس بن ربيعة الجعدي العامري، أبو ليلي، شاعر صحابي، من المعمرين. اشتهر في الجاهلية وسمي النابغة لأنه قال الشعر في الجاهلية، ثم أقام ثلاثين سنة لا يقول الشعر ثم نبغ فقال له. كان ممن هجر الأوثان، ونهى عن الخمر، قبل ظهور الإسلام، ووفد على النبي ﷺ فأسلم، وأدرك صفين فشهدا مع علي، ثم سكن الكوفة ومات فيها نحو سنة ٥٠ هـ بعد أن كف بصره وجاوز المائة من عمره. انظر: طبقات فحول الشعراء ١/١٢٣، أسد الغابة ٥/٢٧٦.

(٤) البادرة: البديهة، والبادرة من الكلام: هي التي تسبق من الإنسان في الغضب. لسان العرب، مادة (بدر) ٤/٤٨. والمقصود في البيت: الإسراع في بت الأمور وعلاجها. ديوان النابغة الجعدي ص ٨٥.

(٥) أورد وأصدر: أي قصد الماء وعاد منه. انظر: لسان العرب، مادة (ورد) ٣/٤٥٦، مادة (صدر) ٤/٤٤٨.

(٦) جزء فيه سبعة مجالس من أمالي أبي طاهر المخلص ص ٨٦، دلائل النبوة لأبي نعيم الأصبهاني ص ٤٥٨، دلائل النبوة للبيهقي ٦/٢٣٢. قال البوصيري: «إسناده ضعيف» إتحاف الخيرة المهرة ٦/١٤٦. والأبيات في ديوان النابغة الجعدي ص ٨٥، جمهرة أشعار العرب ص ٦٣٠.

قال الرواي يعلی بن الأشدق^(١): فَلَقَدْ رَأَيْتُهُ وَقَدْ أَتَى عَلَيْهِ نَيْفٌ وَمِائَةُ سَنَةٍ وَمَا ذَهَبَ لَهُ سِنَّ^(٢).

واستمر الشعراء بعد ظهور الإسلام بنظم أبيات في شعر الحكمة، متأثرين بفلسفة الإسلام، ونظرتهم لحقيقة هذه الدنيا الفانية وحتمية الموت الذي هو نهاية كل حي.

من ذلك ما روته السيدة عائشة رضي الله عنها عن سيدنا أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه قال:

[بحر الرجز]

كُلُّ امْرِئٍ مُصَبَّحٌ فِي أَهْلِهِ وَالْمَوْتُ أَذْنَى مِنْ شِرَاكِ^(٣) نَعْلِهِ^(٤)

يُفَرِّزُ سَيِّدُنَا أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه فِي هَذَا الْبَيْتِ، حِكْمَةً بَلِيغَةً، أَلَا وَهِيَ ذُنُوبُ الْمَوْتِ مِنْ كُلِّ نَفْسٍ، فَيُصَوِّرُ الْمَوْتَ أَقْرَبَ إِلَى الْإِنْسَانِ مِنْ شِرَاكِ نَعْلِهِ الَّذِي يَنْتَعِلُهُ.

ويلحظ المُتَتَبِّعُ لشعر الحكمة، تأثره بتعاليم الإسلام، فقد غلب عليه في مُعْظَمِ الأوقات الوعظ والإرشاد والتزهيد في الدنيا والدعوة إلى تقوى الله، ولعلَّ هذا التأثير هو مِيزة خاصة تميَّز بها الموعظ والحكم في الإسلام عن الحكمة في العصر الجاهلي، وإن كان واضحاً التقارب بينها وبين ما يُرى عِنْدَ شعراء الحنيفة^(٥).

(١) يعلی بن الأشدق: أبو الهيثم العقيلي، من أهل بادية الطائف، حدَّث عن عمِّه عبد الله بن جراد وزعم أن له صحبة، فذكر أحاديث كثيرة منكورة، وهو وعمه غير معروفين. قدم دمشق وحدث بها وقال: أدركت عدة من أصحاب رسول الله ﷺ. قال البخاري: «لا يُكتب حديثه». وقال أبو زرعه: «ليس بشيء لا يصدق». عاش ١٢٠ سنة وقيل ١٢٦ سنة. انظر: الكامل في الضعفاء ٩/١٨٤، ميزان الاعتدال ٤/٤٥٧.

(٢) دلائل النبوة لأبي نعيم الأصبهاني ص ٤٥٨.

(٣) سِرُّ النعل الذي يكون على وجهها. والجمع: شُرْك. لسان العرب، مادة (شرك) ١٠/٤٥١.

(٤) صحيح البخاري، في فضائل المدينة، باب كراهية النبي ﷺ أن تعرى المدينة، ٣/٢٣ (١٨٨٩).

(٥) انظر: المراثي النبوية في صدر الإسلام / ص ٢٥-٢٦.

● المطلب الثالث: شعر الشكوى في السنة النبوية.

اقتضت حكمة الله تعالى أن يخلق الإنسان في ضعفٍ وكبد، فهو لا يستقرُّ على حالٍ واحدة، بل تعثره خلال مسيرته في هذه الحياة أمورٌ مختلفة من الألم والمرض والظلم، ممَّا يُلجئه إلى الشكوى التي يُخرج من خلالها إحساساته الحزينة، ومكنوناته الدفينة. فما هو مفهوم الشكوى؟.

- الشكوى لغةً:

يقول الفراهيدي: «يُسْتَعْمَلُ الاشتكاءُ في المَوْجدة والمَرَضِ»^(١)، وتَشَاكى القومُ، أي شكا بعضهم إلى بعض، وتَشَكَّى، أي اشتكى^(٢).

- الشكوى اصطلاحاً:

«يُمْكِنُ أَنْ تُعَرَّفَ الشَّكْوَى اصطلاحاً على أنها: مَيْلٌ فطريٌّ عند الإنسان يلجأ إليه عند الشعور بالألم أو الحزن، أو البأس، وما يوافق ذلك من إحساسٍ بالاضطهاد أو الطُّغيان أو الظُّلم أو الاضطراب في الحياة الاجتماعية والسياسية. ويُخْرِجُ الإنسان هذا الشعور لدفع الظُّلم الواقع عليه من الأفراد أو من المجتمع»^(٣).

- الشكوى في الشعر:

وأما الشكوى في مجال الشعر، فهي الشعور، سواءً أثار الشاعر هذا الشعور في تجربة ذاتية محضة كشف فيها عن جانبٍ من جوانب النفس، أو نَفَذَ من خلال تجربته الذاتية إلى مسائل الكون، أو مُشْكِلَةٍ من مُشْكِلَاتِ المجتمع، تترأى من ثَنَايا شعوره وإحساسه^(٤).

(١) العين ٣٨٨/٥.

(٢) المعجم الوسيط، مادة (شكو) ٤٩٢/١.

(٣) أطروحة دكتوراة بعنوان: الشكوى في الشعر العربي/ص ١٦.

(٤) النقد الأدبي الحديث ص ٣٥٦.

لم يَتَّخِذِ شَعْرَ الشَّكْوَى فِي الْجَاهِلِيَةِ اتِّجَاهاً مُسْتَقِلاً، بَلْ كَانَ يُضَمُّ إِلَى الْأَغْرَاضِ
الْأُخْرَى، وَلَعَلَّ غَالِبَ اشْتِكَاءِ الشُّعْرَاءِ الْجَاهِلِيِّينَ كَانَ فِي مَعْرِضِ الْبُكَاءِ عَلَى الْأَطْلَالِ وَفِرَاقِ
الْأَحْبَاءِ وَالْحَبِيبَاتِ.

وقد شكَا الشُّعْرَاءُ الْجَاهِلِيُّونَ كَذَلِكَ مِنَ الْأَقَارِبِ وَسُوءِ مُعَامَلَتِهِمْ، كَمَا يَقُولُ طَرْفَةُ بْنُ
الْعَبْدِ:

[بجر الطويل]

وظَلُمْتُ دَوِي الثُّرَيَّيْ أَشَدُّ مَضَاضَةً^(١) عَلَى الْمَرْءِ مِنْ وَقْعِ الْحُسَامِ الْمُهَنْدِ^(٢)

ويقول الحارث بن حلزة شاكياً الدَّهْرَ وَالْأَصْدِقَاءَ الَّذِينَ تَنَكَّرُوا لَهُ فَسَاءَتْ حَالُهُ وَبَاتَ فَقِيراً:

[بجر البسيط]

لَمَّا جَفَانِي أَخِلَّائِي وَأَسْلَمَنِي دَهْرِي وَلَحْمُ عِظَامِي الْيَوْمَ يُعْتَرِّقُ^(٣)

وَعَرَضَ امْرَأُ الْقَيْسِ الشَّكْوَى مِنَ اللَّيْلِ الطَّوِيلِ الَّذِي ثَقُلَ عَلَيْهِ بِسَبَبِ الْهَمِّ وَالْأَحْزَانِ

فقال:

[بجر الطويل]

وَلَيْلِ كَمَوْجِ الْبَحْرِ أَرْحَى سُدُولِهِ عَلَيَّ بِأَنْوَاعِ الْهُمُومِ لِيَتَّلَى^(٤)

(١) مضاضة: من المضض وهو وجع المصيبة، وقيل: الحرقه والألم. لسان العرب، مادة (مضض) ٢٣٣/٧.

(٢) الحسام المهند: هو السيف المصنوع في الهند. ديوان طرفة بن العبد ص ٢٧.

(٣) يُعْتَرِّقُ: أي يُؤْكَلُ ما عليه من اللحم، فلحمه قليل. وفيه كناية عن فقره، وسوء حاله. انظر: لسان العرب، مادة

(عرق) ١٠/٢٤٥، ديوان الحارث بن حلزة ص ١٢٦.

(٤) ديوان امرؤ القيس ص ١١٧.

وقد تحوّل مسارُ شعر الشكوى بمجىء الإسلام؛ الذي أبطل ما كان الجاهليون يظنونَه بالدهر بأنَّ له قوَّةً قادِرةً على حلِّ الأمور، وألجأ العبادَ إلى خالقهم الواحد الأحد، الذي تُبْتُ له الكُربُ والأحزان، فهو الملجأ والمأوى والمعين، والأمثلةُ على شعر الشكوى في السنة النبوية مُتعدِّدة، منها ما أنشدَه بلالٌ رضي الله عنه شاكياً أَلَمَ العُربةِ عن مكة، والحنين إليها قائلاً:

[بحر الطويل]

أَلَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَيْتَنَ لَيْلَةً بِوَادٍ وَحَوْلِي إِذْ حَرُّ^(١) وَجَلِيلُ^(٢)
وَهَلْ أَرَدَنْ يَوْمًا مِيَاهَ مَجْنَةٍ^(٣) وَهَلْ يَبْدُونُ لِي شَامَةً وَطَفِيلُ^(٤)

ثُمَّ قال: اللهم العن شَيْبَةَ بَنِ رَيْبَعَةَ، وَعُتْبَةَ بَنِ رَيْبَعَةَ، وَأُمَيَّةَ بَنِ خَلْفٍ كَمَا أَخْرَجُونَا مِنْ أَرْضِنَا إِلَى أَرْضِ الْوَبَاءِ، ثُمَّ قال رسول الله ﷺ: «اللَّهُمَّ حَبِّبْ إِلَيْنَا الْمَدِينَةَ كَحُبِّنَا مَكَّةَ أَوْ أَشَدَّ، اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي صَاعِنَا وَفِي مُدَّنَا، وَصَحَّحْهَا لَنَا، وَانْقُلْ حُمَاهَا إِلَى الْجُحْفَةِ^(٥)»^(٦).

(١) نوع من النباتات. انظر: لسان العرب، مادة (سحل) ٣٣١/١١.

(٢) جليل: نبتٌ ضعيفٌ يُحشى به خصائصُ البيوت، واحدته جليلة. لسان العرب، مادة (جلل) ١٢٠/١١. قال ابن عبد البر: «قوله، إذخر وجيلل، فهما نبتان من الكأى يكونان بمكة وأوديتها لا يكادان يوجدان بغيرها» الاستذكار ٢٣٨/٨.

(٣) مجنة: اسم سوقٍ للعرب كان في الجاهلية. معجم البلدان ٥٨/٥.

(٤) شامة وطفيل: جبلان مشرفان على مجنة على بريد من مكة. معجم البلدان ٣٧/٤.

(٥) الجحفة: قرية كبيرة ذات منبر على طريق المدينة من مكة على أربع مراحل، وهي ميقات أهل مصر والشام إن لم يَمروا على المدينة، وكان اسمها مهيعة، وإنما سميت الجحفة لأن السيل اجتحفها وحمل أهلها في بعض الأعوام. معجم البلدان ١١١/٢.

(٦) صحيح البخاري، في فضائل المدينة، باب كراهية النبي ﷺ أن تعرى المدينة، عن عائشة رضي الله عنها ٢٣/٣ (١٨٨٩).

ومنها كذلك ما قاله خبيب بن عدي رضي الله عنه ^(١) حين أراد كُفَّار قريش صلبه، بعد أن غَدَرُوا به وبأصحابه في حادثة يوم الرِّجيع ^(٢)، فقد أخرج البخاري في صحيحه الخبر بطوله عن أبي هريرة رضي الله عنه: أَنَّ الْقَوْمَ حِينَ خَرَجُوا مِنَ الْحَرَمِ لِيَقْتُلُوهُ، قَالَ خُبَيْبُ الْأَنْصَارِيِّ رضي الله عنه:

[بجر الطويل]

وَلَسْتُ أَبَالِي حِينَ أُقْتَلُ مُسْلِمًا عَلَى أَيِّ شِقِّ كَانَ لِلَّهِ مَضْرَعِي
وَذَلِكَ فِي ذَاتِ الْإِلَهِ وَإِنْ يَشَاءُ يُبَارِكْ عَلَى أَوْصَالِ ^(٣) شِلْوٍ ^(٤) مُمَزَّعٍ ^(٥) ^(٦)

يقول الحافظ ابن حجر: «وعند أبي الأسود عن عروة زيادة في هذا الشعر:

لَقَدْ جَمَعَ الْأَحْزَابُ حَوْلِي وَأَلْبُوا ^(٧) قَبَائِلُهُمْ وَاسْتَجَمَعُوا كُلَّ جَمْعٍ
وفيه:

(١) خبيب بن عدي: الصحابي خبيب بن عدي بن مالك بن عامر الأنصاري الأوسي، شهد بدرًا، وأسر يوم الرِّجيع ثم ابتاعه بنو الحارث ليثأروا لعامر بن الحارث الذي قتله خبيب يوم بدر، وقُتِلَ رضي الله عنه على يد عقبة بن الحارث، ولُقِّبَ ببيع الأرض. انظر: الاستيعاب ٢/٢٢٥-٢٢٦، الإصابة ٢/٤٤١-٤٤٢.

(٢) الرِّجيع: ماءٌ هُذِل، قرب الهدأة بين مكة والطائف. انظر: معجم البلدان ٣/٢٩.

(٣) أوصال: جمع وصل وهو المفصل أو مجتمع العظام. لسان العرب، مادة (وصل) ١١/٧٢٩.

(٤) شلو: عضو أو قطعة من اللحم. لسان العرب، مادة (شلو) ١٤/٤٤٢.

(٥) ممزَع: مُقَطَّع، ومزعة لحم: أي قطعة يسيرة من اللحم. لسان العرب، مادة (مزع) ٨/٣٣٦.

(٦) صحيح البخاري، في المغازي، باب غزوة الرجيع ورعل وذكوان وبئر معونة وحديث عضل والقارة وعاصم بن ثابت وخبيب وأصحابه، ١٠٣/٥ (٤٠٨٦).

(٧) أَلْبُوا: جمعوا، وتألَّبوا، أي تضافروا عليه. لسان العرب، مادة (ألب) ١/٢١٦.

إِلَى اللَّهِ أَشْكُو غُرْبِي بَعْدَ كُرْبِي وَمَا أَرْصَدُ^(١) الْأَحْزَابُ لِي عِنْدَ مَصْرَعِي^(٢)

فخبيبؓ يشكو إلى الله غربته وكرهه وعجزه، أمام غلبة أعدائه وضعف قوته وقلة
حيلته^(٣).

ومما ورد من الشكوى في السنة النبوية كذلك، ما قاله أبوهريرةؓ حين كان في طريقه
إلى النبي ﷺ فشكا ﷺ ليلة السفر لمشقتها وطولها فقال:

[بحر الطويل]

يَا لَيْلَةً مِنْ طُولِهَا وَعَنَائِهَا^(٤) عَلَى أَنَّهَا مِنْ دَارَةِ^(٥) الْكُفْرِ بَحَّتِ^(٦).

وقد استعمل المسلمون الأوائل غرض الشكوى بنوعيه الاجتماعي والاقتصادي كذلك،
فمن أبرز حوادث الشكوى الاجتماعية التي حفظتها السنة، حادثه استغاثة بني خزاعة -
خلفاء المسلمين- بالنبي ﷺ حين عدت عليهم بنو بكر -خلفاء قريش- وقتلت منهم
رجالاً غدرًا، وقد ذكرت القصة في حديث طويل جاء فيه: أَنَّ عمرو بن سالم^(٧) ركب
إلى رسول الله ﷺ عندما كان من أمر خزاعة وبني بكر بالوتير^(٨) حتى قدم المدينة إلى

(١) أَرْصَدَ: أَعَدَّ وَهَيَّأَ. لسان العرب، مادة (رصد) ١٧٧/٣.

(٢) فتح الباري ٣٨٤/٧. والآيات التي أشار إليها ابن حجر، في سيرة ابن هشام ١٧٦/٢، وفي دلائل النبوة للبيهقي ٣٢٩/٣.

(٣) انظر: الشكوى في الشعر العربي ص ٣٥.

(٤) عنائها: من العناء، وهو النَّصَب. لسان العرب، مادة (عني) ١٠٦/١٥.

(٥) دارة: هي الدار، أي دار الكفر. انظر: لسان العرب، مادة (دور) ٢٩٩/٤.

(٦) صحيح البخاري، في المغازي، باب قصة دوس والطفيل بن عمرو الدوسي، ١٧٤/٥ (٤٣٩٣).

(٧) هو عمرو بن سالم بن كلثوم الخزاعي من مُليح، وهو وافد خزاعة إلى النبي ﷺ، حين خرج يستنصره من غدر بني بكر وقريش، فأجابه ﷺ، وخرج لنصرة خزاعة وكان فتح مكة. انظر: الاستيعاب ١١٧٥-١١٧٦، أسد الغابة ٢١٢/٤، الإصابة ٥٢١/٤.

(٨) الوتير: اسم ماء بأسفل مكة لخزاعة. معجم البلدان ٣٦٠/٥.

رسول الله ﷺ يُخْبِرُ الْخَبَرَ، وَقَدْ قَالَ أَنْبَاءُ شِعْرِ، فَلَمَّا قَدِمَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنْشَدَهُ إِيَّاهَا:

[بجر الرجز]

اللَّهُمَّ إِنِّي نَاشِدُ ^(١) مُحَمَّداً	حَلَفَ أَيْبِنَا وَأَيْبِهِ الْأَتْلَدَا ^(٢)
كُنَّا وَالِدَا وَكُنْتَ وَالِدَا ^(٣)	ثُمَّتْ أَسْلَمْنَا وَلَمْ نَنْزِعْ يَدَا
فَانْصُرْ رَسُولَ اللَّهِ نَصْرًا عَتْدَا ^(٤)	وَادْعُ عِبَادَ اللَّهِ يَأْتُوا مَدَدَا ^(٥)
فِيهِمْ رَسُولُ اللَّهِ قَدْ بَجَرَدَا	إِنْ سِيمَ خَسَفًا وَجْهُهُ تَرَبَّدَا ^(٦)
فِي فَيْلَقٍ ^(٧) كَالْبَحْرِ يَجْرِي مُزِيدَا	إِنَّ قُرَيْشًا أَخْلَفُواكَ الْمَوْعِدَا
وَنَقْضُوا مِيثَاقَكَ الْمُؤَكَّدَا	وَجَعَلُوا لِي بِكَ دَاءٍ رَصَدَا
وَزَعَمُوا أَنْ لَسْتُ أَذْعُو أَحَدَا	فَهُمْ أَذُلُّ وَأَقْلُّ عَدَدَا
هُمْ بَيِّنُونَا بِالْوَتِيرِ هُجَّدَا ^(٨)	فَقَتَّلُونَا زُكَّعَا وَسُجَّدَا

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «نُصِرْتَ يَا عَمْرُو بْنُ سَالِمٍ» فَمَا بَرِحَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى مَرَّتْ عَنَانُهُ^(٩) فِي السَّمَاءِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ هَذِهِ السَّحَابَةُ لَتَسْتَهْلُ بِنَصْرِ بَنِي كَعْبٍ». وَأَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ النَّاسَ بِالْجَهَازِ، وَكَتَمَهُمْ مَخْرَجَهُ، وَسَأَلَ اللَّهُ أَنْ يُعَمِّيَ عَلَى قُرَيْشٍ خَبْرَهُ حَتَّى يَبْعَثَهُمْ فِي بِلَادِهِمْ.^(١٠)

(١) ناشد: طالب ومذكّر. انظر: لسان العرب، مادة (نشد) ٤٢٢/٣.

(٢) الأتلد: القديم. لسان العرب، مادة (تلد) ١٠٠/٣.

(٣) يريد أن بني عبد مناف أمهم من خزاعة، وكذلك قصي أمه فاطمة بنت سعد الخزاعية. الروض الأنف ١٩٨/٧.

(٤) عتدأ: حاضراً. انظر: المعجم الوسيط، مادة (عتد) ٥٨٨/٢.

(٥) المدد: هي المعونة. انظر: المعجم الوسيط، مادة (مدد) ٨٥٨/٢.

(٦) ترئد: تعبّس وتغيّر. لسان العرب، مادة (ريد) ١٧٠/٣.

(٧) الفيلق: الكتبة العظيمة من الجيش. النهاية ٤٧٠/٣.

(٨) هجد: صلى بالليل فهو هاجد، الجمع: هُجَّد. انظر: النهاية ٢٤٤/٥، لسان العرب، مادة (هجد) ٤٣١/٣.

(٩) عنانة: سحابة. النهاية ٣١٣/٣.

(١٠) عن مروان بن الحكم والمسور بن مخرمة في السنن الكبرى للبيهقي ٣٩٠/٩، تاريخ دمشق ٥٢٠/٤٣. قال الكمال بن همام: «والوجه الذي ذكره البيهقي وجه حسن» وقال كذلك: «رواه الطبراني، من حديث ميمونة، ورواه ابن أبي شيبة مرسلاً عن عروة، ورواه مرسلاً عن جماعة كثيرين في كتاب المغازي». فتح القدير للشوكاني ٤٥٦/٥، ٤٥٨،

يظهر من الحديث، أن هذه الشكوى التي تَقَدَّمَ بها عمرو بن سالم الخزاعي إلى النبي ﷺ من خلال الأبيات التي أنشدها، كانت بالغة التأثير في نفسه ﷺ، فقد استجاب لاستغاثة عمرو وأكرمه بإنصاف بني قومه وتلبية طلبه بالسَّير معه لتأديب المعتدين وتلقين حُلَفائهم القرشيين درساً كانت ثمرته فتح مكة، وتطهير البيت الحرام من رجس الشرك والأصنام، ودخول الناس في دين الله أفواجا^(١).

ومن شعر الشَّكوى الاجتماعية كذلك، قصة الشاعر الأعشى المازني الذي جاء النبي ﷺ يشتكيه زوجته التي نَشَزَتْ عليه، وهجرته، فأنشد النبي ﷺ أبياتاً يرفعُ إليه فيها كربه وحاجته، فيقول:

[بحر الرجز]

يا مالكَ الناسِ وديَّانَ العَرَبِ	إني لقيتُ ذُرْبَةً من الدَّرَبِ
غدوتُ أبغيها الطَّعامَ في رَجَبِ	فَحَلَفْتَنِي بنِزاعٍ وحرَبِ
أخلفتِ العهدَ ولطَّتِ بالدَّنَبِ	وهُنَّ شَرُّ عَالِبٍ لِمَنْ غَلَبَ ^(٢)

أما ذكرُ شعر الشَّكوى الاقتصادية في السُّنة النبوية، فقد وردَ في خبرِ عَبَّاسِ بنِ مرداسِ السُّلمي الذي اشتكى قلةَ العطاءِ -يومَ حنين- مُقارَنَةً بما أُعطيَ غيره.

فقد أخرجَ مسلمٌ عن رافعِ بنِ خديجٍ أنه قال: أعطى رسولُ الله ﷺ أبا سُفْيَانَ بنَ حَرْبٍ، وصَفْوَانَ بنَ أُمَيَّةَ، وعُيَيْنَةَ بنَ حِصْنٍ، والأقرعَ بنَ حابسٍ، كُلُّ إنسانٍ منهم مئةَ من الإبل، وأعطى عَبَّاسُ بنَ مِرْدَاسٍ دونَ ذلك، فقال عَبَّاسُ بنُ مِرْدَاسٍ:

[بحر المتقارب]

أَتَجْعَلُ نَهْيِي وَنَهْيَ الْعُبَيْ— دِ بَيْنَ عُيَيْنَةَ وَالْأَقْرَعِ

انظر: تخريج أحاديث الكشاف ٥٥/٢-٥٦. قال الحافظ ابن حجر: «المحفوظ أنه مرسل» مختصر البزار ٤١/٢.

(١) انظر: الالتزام الإسلامي في الشعر ص ١٤٠.

(٢) سبق تخريج الحديث انظر: ص ١١٥.

فَمَا كَانَ بَذْرٌ وَلَا حَابِسٌ يُفُوقَانِ مِرْدَاسَ فِي الْمَجْمَعِ
وَمَا كُنْتُ دُونَ أَمْرِي مِنْهُمَا وَمَنْ خَفِضَ الْيَوْمَ لَا يُرْفَعُ^(١)
قال: فَأَتَمَّ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مائة^(٢).

يَظْهَرُ مِنْ خِلَالِ الْأَحَادِيثِ السَّابِقَةِ، أَنَّ شَعْرَ الشُّكْوَى اسْتَجَابَ لِرِسَالَةِ الْإِسْلَامِ وَتَأَثَّرَ بِمَنَاخِهِ الْجَدِيدِ أَيْمًا تَأَثَّرَ، وَقَدْ بَرَزَ ذَلِكَ فِي أَلْفَاظِهِ وَمَعَانِيهِ الَّتِي تَجَلَّتْ فِيهَا مَرَجِعِيَّةُ الْمُسْلِمِ الْأَوَّلَى فِي بَثِّ شِكْوَاهِ.

فَنَرَى الْمُسْلِمَ يَشْتَكِي هَمَّهُ وَكَرْبَهُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، وَيَتَظَلَّمُ فِيْمَا يَخْصُ الْحَوَادِثُ الطَّارِئَةُ فِي الْمَجْتَمَعِ، إِلَى النَّبِيِّ ﷺ عَمَلًا بِقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيْمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾^(٣) [النساء: ٦٥].

● المطلب الرابع: شعر الاعتذار في السُّنة النبوية.

الاعتذار هو من الأغراض الرئيسة التي أنشأ الشعراء قصائد خاصة لأجله^(٤)، فالهدف الذي يسعى إليه الشاعر من هذا الغرض الشعري هو استعطاف المرغوب في عفوهِ، حيث يبيِّن الشاعر ندمه على ما بدر منه من تصرف سابق، فيبرئ نفسه، لينجو من اللوم، أو يحاول إصلاح الحال، بتفسير أو شرح معقول، حتى يُعيدَ الأمور إلى مجراها^(٥).

(١) الأبيات في ديوان العباس بن مرداس ص ١١١.

(٢) صحيح مسلم، في الزكاة، باب إعطاء المؤلف قلوبهم ٧٣٧/٢ (١٠٦٠).

(٣) الغالب أنَّ غرض الاعتذار نشأ نشوءاً من المديح وفي ظلاله، وإن كانت تتداخل فيه عاطفة الخوف مع عاطفة الشكر والرجاء. تاريخ الأدب العربي/ العصر الجاهلي ص ٢١١.

(٤) انظر: في تاريخ الأدب الجاهلي ص ٤٠٥.

ويُعَدُّ الاعتذار من الأغراض الصَّعبة التي لا يُجيدُ القول فيها إلا من أُوتِيَ زِمَامَ الشُّعر، فتقدِّمُ العُذرَ في عَرَضٍ مُلائمٍ يُقْنِعُ المَعْتَذِرَ إليه المرجوُّ عفوهُ دليل على مهارةٍ في القول وتَقَنُّنٍ في الشُّعر^(١).

إلا أنَّ الاعتذار لم يحتلَّ مكاناً هاماً في شعر العصر الجاهلي، بالنسبة لغيره من الأغراض الأخرى، ولعلَّ ذلك يعودُ إلى طبيعة النفوس الجاهلية التي كان العربي الجاهلي يعتز فيها بنفسه ويعجب بها، ويحبُّ أن يُشاع عنه الإباءُ والأنفة والكمال والصَّوابُ والبعد عن الخطأ على الدَّوام، فلم يرضَ أن يُسجَّل على نفسه اعترافاً بالتَّقصير في حادثةٍ ما، خصوصاً أن الشُّعر كان كثير التَّداول، سريع الانتقال^(٢).

وزعيم الاعتذار المُنشئ له هو النَّابغة الذبياني الذي اشتهر به، حتى قيلَ أنَّه هو من أضافه إلى فنونِ الشُّعر، يقول أبو هلالٍ العسكري: «وإنَّما كانت أقسامُ الشُّعر في الجاهلية خمسة: المديحُ والهجاء والوصفُ والتشبيه والمراثي، حتى زاد النَّابغةُ فيها قِسماً سادساً وهو الاعتذار، فأحسن فيه»^(٣).

ويقول القيرواني: «وأجلُّ ما وَقَعَ في الاعتذار من مشهورات العرب قصائدُ النَّابغة الثلاث»^(٤).

(١) انظر: تاريخ الأدب العربي / العصر الجاهلي ص ٢٩٢.

(٢) انظر: في تاريخ الأدب الجاهلي ص ٤١٢، تاريخ الأدب العربي / العصر الجاهلي ص ٢١١.

(٣) ديوان المعاني ٩١/١.

(٤) العمدة ١٧٧/٢.

فقد استدعت ظروف الشاعر الذبياني مع الملك النعمان بن المنذر أن ينظم أجود ما
قيل في الاعتذار، فكان مما خاطبه به قوله:

[بحر البسيط]

فَلَا لَعْمُرُ الَّذِي مَسَحَتْ كَعْبَتَهُ وَمَا هُرِيقَ عَلَى الْأَنْصَابِ^(١) مِنْ جَسَدٍ^(٢)

وَالْمُؤْمِنِ الْعَائِذَاتِ الطَّيْرِ، تَمَسَّحُهَا رُكْبَانُ مَكَّةَ بَيْنَ الْغَيْلِ^(٣) وَالسَّعْدِ^(٤)

مَا قُلْتُ مِنْ شَيْءٍ مِمَّا أُتِيَتْ بِهِ إِذَا فَلَا رَفَعْتُ سَوَاطِي إِلَى يَدَيَّ^(٥)

إِلَّا مَقَالَةً أَقْوَامٍ شَقِيتُ بِهَا كَانَتْ مَقَالَتُهُمْ قَرَعًا عَلَى الْكِيدِ^(٦)

إِذَا فَعَلَّاقَبَنِي رَبِّي مُعَاقِبَةً قَرَّتْ بِهَا عَيْنٌ مَنْ يَأْتِيكَ بِالْفَنَدِ^(٧)

(١) الأنصاب، هي الأحجار التي كانت تُذبح الضحايا عندها في الجاهلية. انظر: لسان العرب، مادة (نصب) ٧٥٩/١

(٢) يخاطب الشاعر النعمان قائلاً: أقسم بالله أولاً ثم بالدماء، التي كانت تُصب على الأنصاب. ديوان النابغة الذبياني ص ٥٦.

(٣) الغيل: هو كل موضع فيه ماء من وادٍ ونحوه. لسان العرب، مادة (غيل) ٥١٢/١١. والمقصود هنا بالغيل والسعد: أجمتان تقعان بين مكة المكرمة ومنى. انظر: معجم البلدان ٢٢١/٣ - ٢٢٢/٤، ديوان النابغة الذبياني ص ٥٦.

(٤) يُقسم الشاعر أيضاً، بالطير الخائفة التي تعود بالحرم تطلب النجاة والأمن، فيُحرّم على الناس صيدها. ديوان النابغة الذبياني ص ٥٦.

(٥) يتابع الشاعر قائلاً: ليعاقبني الله بقطع يدي أو شلّها، إذا أسأت إليك. ديوان النابغة الذبياني ص ٥٦.

(٦) معنى البيت، أن أكاذيب القوم اشتدت عليه، حتى أوجعت كبده، وساورتها المخاوف من عقاب الملك بسبب هذه الوشايات والنميمة. ديوان النابغة الذبياني ص ٥٧.

(٧) الفند: هو الكذب والباطل. لسان العرب، مادة (فند) ٣٣٩/٣. ومعنى البيت: إن لم يكن قسمي هذا صادقاً فليعاقبني ربي معاقبة تقرر بها أعين الحاسدين والكاذبين علي. ديوان النابغة الذبياني ص ٥٧.

أُنْبِئْتُ أَنَّ أَبَا قَابُوسَ أَوْعَدَنِي^(١) وَلَا قَرَارَ عَلَى زَارٍ مِنَ الْأَسَدِ^(٢)

مَهْلًا فِدَاءً لَكَ الْأَقْوَامُ كُلُّهُمْ وَمَا أُثْمِرُ^(٣) مِنْ مَالٍ وَمِنْ وَلَدٍ^(٤)

ولعلَّ أشهر ما قيل في شعر الاعتذار في الإسلام، وتحديدًا في العصر النبوي، هي قصيدة كعب ابن زهير (بانت سعاد)، تلك القصيدة التي أنشدها كعب بين يدي النبي ﷺ حين جاءه تائباً مُتَلَمِّساً عَفْوَهُ، فَحُفِظَتْ كنموذج مثالي لشعر الاعتذار في ذلك العصر.

فما سبب اعتذار كعب ﷺ من النبي ﷺ؟ وما هي الأبيات التي بثَّ فيها ﷺ اعتذاره؟

أخرج الحاكم في المستدرك عن عبد الرحمن بن كعب بن زهير أنه قال: خَرَجَ كَعْبٌ وَبُجَيْرٌ^(٥) ابنا زهير حتى أتيا أَبْرَقَ الْعَرَّافِ^(٦)، فقال بُجَيْرٌ لِكَعْبٍ: اثْبُتْ فِي عَجَلٍ هَذَا الْمَكَانَ حَتَّى آتِيَ هَذَا الرَّجُلُ - يعني رَسُولَ اللَّهِ ﷺ - فَأَسْمَعَ مَا يَقُولُ. فثَبَتَ كَعْبٌ وَخَرَجَ بِجَيْرٍ، فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَعَرَضَ عَلَيْهِ الْإِسْلَامَ، فَأَسْلَمَ فَبَلَغَ ذَلِكَ كَعْبًا، فَقَالَ:

(١) أبو قابوس: كنية النعمان. وأوعدني: من التَّوَعَّد وهو التهديد. انظر: لسان العرب، مادة (وعد) ٤٦٣/٣، ديوان النابغة الذبياني ص ٥٧.

(٢) المعنى: علمتُ أنك قد هددتني، وبَدَّهَيْتُ أَنْ أَخَافَ مِنْ هَذَا الْحُكْمِ الْقَاسِي، لأنَّ الأسد إذا زَارَ فلا قرار لأحدٍ بجواره. ديوان النابغة الذبياني ص ٥٧.

(٣) أُثْمِرُ: من ثَمَرَ، أي جَمَعَ وَخَزَّنَ. لسان العرب، مادة (ثمر) ١٠٧/٤.

(٤) يقول الشاعر مُتَابِعاً اعتذاريته، تَهَلَّلَ فِي اتِّخَاذِ مِثْلِ هَذِهِ الْقَرَارَاتِ الْحَاسِمَةِ، وَلَكِ كُلِّ مَا ادَّخَرْتَهُ وَجَمَعْتَهُ مِنْ مَالٍ وَأَوْلَادٍ. ديوان النابغة الذبياني ص ٥٧.

(٥) بُجَيْرٌ بن زهير بن أبي سلمى المزني، أسلم قبل أخيه كعب بن زهير، وكان شاعراً محسناً هو وأخوه كعب بن زهير، وكان أبوهما زهير من فحول الشعراء المجيدين، شهد مع رسول الله ﷺ الطائف، وكان له دورٌ مهم في إسلام أخيه كعب بن زهير. انظر: الاستيعاب ١٤٨/١-١٤٩، أسد الغابة ٣٥١/١، الإصابة ٤٠٣/١.

(٦) أبرق العراف: هو ماءٌ لبني أسد بن خزيمه، مشهور، وهو في طريق القاصد إلى المدينة من البصرة، وإنما سُمِّيَ الْعَرَّافُ لأنهم يسمعون فيه عذيف الجن. انظر: معجم البلدان ٦٨/١.

[بحر الطويل]

أَلَا أُنَبِّئُكَ عَنِّي بُحَيْرًا رِسَالَةً عَلَى أَيِّ شَيْءٍ وَبِحَيْرِكَ دَلَّكَ
عَلَى خُلُقٍ لَمْ تُلَفِ أُمًّا وَلَا أَبَا عَلَيْهِ وَلَمْ تُدْرِكْ عَلَيْهِ أَحَا لَكَ
سَقَاكَ أَبُو بَكْرٍ بِكَأْسٍ رَوِيَّةٍ وَأَنْهَلَكَ الْمَأْمُورُ مِنْهَا وَعَلَّكَ^(١)

فلما بَلَغَتِ الأبياتُ رسولَ اللهِ ﷺ أَهْدَرَ دَمَهُ، فقال ﷺ: «مَنْ لَقِيَ كَعْبًا فَلْيَقْتُلْهُ». فكتب بذلك بُحَيْرٌ إِلَى أَخِيهِ يَذْكُرُ لَهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَدْ أَهْدَرَ دَمَهُ وَيَقُولُ لَهُ: النَّجَا وَمَا أَرَاكَ تَفَلَّتْ، ثُمَّ كَتَبَ إِلَيْهِ بَعْدَ ذَلِكَ: اعْلَمْ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ لَا يَأْتِيهِ أَحَدٌ يَشْهَدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَّا قَبْلَ ذَلِكَ، فَإِذَا جَاءَكَ كِتَابِي هَذَا فَاسْلِمَ وَأَقْبِلْ. فَاسْلَمَ كَعْبٌ وَقَالَ الْقَصِيدَةُ الَّتِي يَمْدَحُ فِيهَا رَسُولَ اللهِ ﷺ، ثُمَّ أَقْبَلَ حَتَّى أَتَا رَاحِلَتَهُ بِيَابِ مَسْجِدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، ثُمَّ دَخَلَ الْمَسْجِدَ وَرَسُولُ اللهِ ﷺ مَعَ أَصْحَابِهِ مَكَانَ الْمَائِدَةِ مِنَ الْقَوْمِ مُتَحَلِّقُونَ مَعَهُ حَلَقَةً دُونَ حَلَقَةٍ يَلْتَفِتُ إِلَى هَؤُلَاءِ مَرَّةً، فَيُحَدِّثُهُمْ وَإِلَى هَؤُلَاءِ مَرَّةً، فَيُحَدِّثُهُمْ، قَالَ كَعْبٌ: فَأَتَيْتُ رَاحِلَتِي بِيَابِ الْمَسْجِدِ، فَعَرَفْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ بِالصَّفَةِ فَتَخَطَّيْتُ حَتَّى جَلَسْتُ إِلَيْهِ فَاسْلَمْتُ فَقُلْتُ: أَشْهَدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّكَ رَسُولُ اللهِ، الأمان يا رَسُولَ اللهِ، قال: «وَمَنْ أَنْتَ؟» قُلْتُ: أَنَا كَعْبُ بْنُ زُهَيْرٍ، قال: أَنْتَ الَّذِي تَقُولُ، ثُمَّ التَفَتَ إِلَى أَبِي بَكْرٍ، فَقَالَ: «كَيْفَ قَالَ يَا أَبَا بَكْرٍ»، فَأَنْشَدَهُ أَبُو بَكْرٍ ﷺ:

سَقَاكَ أَبُو بَكْرٍ بِكَأْسٍ رَوِيَّةٍ وَأَنْهَلَكَ الْمَأْمُورُ مِنْهَا وَعَلَّكَ

قال: يا رسول الله، ما قُلْتُ هَكَذَا، قَالَ: «وَكَيْفَ قُلْتَ؟»، قال: إنما قلت:

(١) الأبيات في ديوان كعب بن زهير ص ١٩٨.

[بحر الطويل]

سَقَاكَ أَبُو بَكْرٍ بِكَأْسٍ رَوِيَّةٍ وَأَنْهَلَكَ الْمَأْمُونُ مِنْهَا وَعَلَّكَ

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَأْمُونٌ وَاللَّهِ»، ثُمَّ أَنْشَدَهُ الْقَصِيدَةَ كُلَّهَا حَتَّى أَتَى عَلَى آخِرِهَا^(١).

وَمِنْ الْأَبْيَاتِ الَّتِي عَرَّجَ فِيهَا كَعْبٌ عَلَى غَرَضِهِ مِنَ الْقَصِيدَةِ وَهِيَ الْإِعْتِذَارُ وَطَلَبُ

الْعَفْوِ، قَوْلُهُ:

[بحر البسيط]

أُنْبِئْتُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ أَوْعَدَنِي وَالْعَفْوُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ مَأْمُولُ

فَقَدْ أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ مُعْتَذِرًا وَالْعُذْرُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ مَقْبُولُ

مَهْلًا رَسُولَ الَّذِي أَعْطَاكَ نَافِلَةً^(٢) الْقُرْآنَ فِيهَا مَوَاعِيظُ وَتَفْصِيلُ

لَا تَأْخُذَنِي^(٣) بِأَقْوَالِ الْوُشَاةِ^(٤) وَلَمْ أُجْرِمَ وَلَوْ كَثُرَتْ عَنِّي الْأَقَاوِيلُ

فَيَأْمَلُ كَعْبٌ فِي أَبِيَاتِهِ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَبِمَتَدَحُّهِ فِي مَعْرِضِ الْإِعْتِذَارِ، كَمَا

هِيَ الْعَادَةُ الْمَتَّبَعَةُ فِي الْإِعْتِذَارِيَّاتِ الَّتِي يَقُولُهَا الشُّعْرَاءُ.

(١) (الآحاد والمثاني، عن عبد الرحمن بن كعب بن زهير ١٦٨/٥، المستدرک علی الصحیحین ٦٧٠/٣، السنن الکبری للبیهقی ٤١٢/١٠. واللفظ للحاکم. وأخرج الحديث عن محمد بن فليح عن موسى بن عقبة، الحاکم في المستدرک علی الصحیحین ٦٧٣/٣، والبیهقی في دلائل النبوة ٢١١/٥. قال الحاکم مُعَلِّقًا علی الروایتین: «هذا حديث له أسانيد قد جمعتها إبراهيم بن المنذر الحزامي، فأما حديث محمد بن فليح عن موسى بن عقبة، وحديث الحجاج بن ذي الرقبة فإتھما صحيحين، وقد ذكرهما محمد بن إسحاق القرشي في المغازي مختصراً». المستدرک علی الصحیحین ٦٧٣/٣. وقال الذهبي في التلخيص: «قال الحاکم: هذا وحديث ذي الرقية صحيحان». تلخيص المستدرک ٥٨٣/٣.

(٢) النافلة: المقصود بها العطية هنا. ديوان كعب بن زهير ص ١١٤.

(٣) أي لا تحکم عليّ وتقتصص مني. ديوان كعب بن زهير ص ١١٤.

(٤) الأقاويل: هي الأقوال المبتدعة الكاذبة. ديوان كعب بن زهير ص ١١٤.

وعلى الرغم من غضبِ النبي ﷺ على كعب وإهداره دمه، فإنه قَبِلَ اعتذاره واستمع إليه حين أنشدَه قصيدته، وقد عُرِفَت لامِيَّة كعب بالبردة، وذلك لما يُقالُ من أنَّ الرَّسولَ ﷺ خَلَعَ بُرْدَتَهُ على كعبٍ إعجاباً^(١)، وهو ما كانَ مثارَ شكِّ البعض، فقد قال ابن كثير: «وردَ في بعضِ الروايات أنَّ رسولَ الله ﷺ أعطاه بُرْدَتَهُ حين أنشدَه القصيدة... قلت: هذا من الأمور المشهورة جداً، ولكن لم أرَ ذلك في شيء من هذه الكتب المشهورة، بإسنادٍ أرْتَضِيهِ»^(٢).

وأختم غرضَ الاعتذار بما أنشدَه حسان بن ثابت رضي الله عنه مُعتذراً من السيِّدة عائشة رضي الله عنها عن ما بدر منه في حادثة الإفك، فقد أخرج الشيخان عن مسروق بن الأجدع أنه دخل على عائشة رضي الله عنها وعندها حسان بن ثابت يُنشدُها شعراً، يشبُّبُ بأبياتٍ له وقال:

[بجر الطويل]

حَصَانُ رَزَانُ مَا تُزَنُّ بِرَبِيَّةٍ وَتُصْبِحُ غَرَّتِي مِنْ حُومِ الْعَوَافِلِ.^(٣)

وفي ختام هذا الفصل الذي استعرضنا فيه أغراض الشعر في السُّنة النبوية يتَّضحُ لنا كيف طَوَّعَ الإسلامُ الأغراضَ الشَّعريةَ العربيةَ وأخرجها بقالِبِ إسلامي لتتمكن من خدمة الأمة الإسلامية في كل ظروفها وأحوالها.

(١) انظر: العرف الشذي ٢٧١/٢.

(٢) السيرة النبوية لابن كثير ٧٠٧/٣.

(٣) سبق تخريج الحديث انظر: ص ١٦٦.

الخاتمة

الحمد لله الذي وفَّقني بكرمه لإنجاز هذا البحث، وأعاني لإكماله فبنعمته تَتِمُّ الصالحات، وينمو الخير وتكتملُ البركة، فله الحمد كله وله الشكر كله وإليه يرجع الأمر كله، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

وفي ختام هذه الرحلة العلمية الطيبة التي قضيتها مع الشعر في السُّنة النبوية، انتهيتُ إلى بعض النتائج والتوصيات التي أسردها باختصار وهي:

أولاً - نتائج البحث:

١. الحُكْمُ على الشعر في ميزان الإسلام، هو حُكْمٌ على مَضْمُونِهِ، فالإسلام لم يُحرِّم الشعر لذاته إنما حرَّم من مضامينه ما خالف نَهَجَ الإسلام وفضائله.
٢. الشعر عملٌ أدبيٌّ يمكن تصنيفه والحُكْمُ عليه بكيفية الأعمال، فَحَسَنُهُ حَسَنٌ وقبيحُهُ قبيحٌ، منه الطَّيِّبُ ومنه غير ذلك.
٣. الشعر وسيلةٌ إعلاميةٌ كبرى، ولا بُدَّ من توجيهها الوجهة النافعة واستثمارها بما يعود على الأمة بالنفع والخير.
٤. نفْيُ الشعر عن النبي ﷺ هو مُجرد تقريرٍ لواقعٍ صادقٍ تشهد به طبيعة النبي ﷺ الذي لم يُخلَقْ شاعراً، ولم يدخل الشعر في نطاق طبعه لا قَصْداً ولا قَرِيحةً.
٥. لم يكن تنزيهُ الله تعالى نبيّه عن قول الشعر غَضَباً من الشعر في حدِّ ذاته وإنما تأكيداً لمصدر القرآن الإلهي، ودَفْعاً للاتهامات التي ألصقها المشركون بالنبي ﷺ بكونه شاعراً.
٦. لم ينظم النبي ﷺ الشعر، ولم يثبت عنه ما يدُلُّ على أنَّه عمد إلى ذلك مُطلقاً.

٧. حافظ الشعراء في العصر النبوي على أغراض الشعر الجاهلي، مبتعدين عن كل ما يُنافي الدين الإسلامي وتعاليمه السمحة.
٨. أثر الإسلام تأثيراً بارزاً في الأغراض الشعرية من خلال تهذيبها، وضبطها بالضوابط الشرعية التي أخرجتها بصيغة إسلامية.
٩. هناك بعض أغراض الشعر كالمدح والهجاء والثناء والغزل، لا يجوز للمسلم أن يخوض فيها إلا ضمن ضوابط شرعية محددة.
١٠. أدّى الصراع القائم بين جبهتي الإسلام والكفر في فترة العصر النبوي إلى ازدهار غرض الهجاء، الذي وظّفه شعراء المسلمين بدورهم لخدمة دينهم ونبئهم ﷺ.
١١. أخرجت تعاليم المصطفى ﷺ الشعر من الفردية إلى روح الجماعة ومن روح القبيلة إلى مجتمع يسود أفراد التضاامن والتكافل والأخوة، مُحدّدةً بذلك الوظيفة المطلوب تحقيقها من فنّ الشعر بوجه عام.
١٢. الشعر إذا استُخدم على الوجه الصحيح كان أثره كبيراً ونفعه عظيماً. فهو في وقت الجهاد سلاحٌ فعّال؛ لما فيه من إثارة الهمم وتحريك النفوس إلى الجهاد واستنقاذ الأوطان والدّود عن الحُرّات. وهو في وقت العمل مُحفّزٌ قويٌّ يحثُّ على البذل والإنفاق بسخاء، فيستجيب لتأثيره الكثيرون.

ثانياً- التوصيات:

١. أوصي بدراسة أشعار الصحابة الكرام ﷺ دراسةً مُوسَّعةً ومُحقَّقةً، وربط هذه الأشعار بسيرتهم في جهادهم ودعوتهم.
٢. أوصي بإجراء دراسة حديثة للشعر في العصر الراشدي، بالاعتماد على الآثار الواردة في كتب المتون حول هذا الموضوع، مع بيان دور الشعر في حفظ العلوم الشرعية ونقلها عبر العصور والأزمان.

٣. أدعو الشعراء المسلمين في العصر الحديث، لتقديم ما عندهم من إمكانات ومواهب لإثراء المادة الإنشادية المُقدَّمة للناشئة، فالقول البليغ الفصيح الذي يحملُ معاني فاضلة من شأنه أن يصبح شعاراً يسعى مرددوه إلى تطبيقه والتزام حدوده، ومن شأنه كذلك أن يكون بديلاً عن اللهجات العامية.

٤. أوصي الشاعر المسلم في هذا العصر إلى مراعاة الضوابط الشرعية في نتاجه كله، حتى يكون ما يقوله من شعرٍ مُنسجماً مع رسالة الإسلام، ومُحقّقاً لأغراضه العظيمة وقيمه الخالدة، وأن لا يُطلق الكلام على عنانه، بل ليعلم أنه مسؤولٌ عن كل كلمة يقولها أمام الله تعالى وأمام الأُمَّة وأمام التاريخ وأمام الأجيال. وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: ١٨].

وأخيراً أحمدُ الله تعالى على إتمام هذا البحث، فما كان فيه من صوابٍ فبتوفيقٍ من الله، وما كان فيه من خطأٍ فمني ومن الشَّيْطان، والله ورسوله منه بريئان، وحسبي أني ما أدخرت وسعاً في الإصابة، ويأبى الله إلا أن يتفرَّد بالكمال.



الفهارس

وتتضمن:

١. فهرس الآيات القرآنية
٢. فهرس الأحاديث القولية
٣. فهرس الأحاديث الفعلية
٤. فهرس الآثار
٥. فهرس الأبيات الشعرية
٦. فهرس الأعلام
٧. فهرس المصادر والمراجع
٨. فهرس الموضوعات

فهرس الآيات القرآنية

فهرس الآيات القرآنية

الآية القرآنية	السورة	رقم الآية	الصحيفة
١	آل عمران	٩٢	٩٦
٢	النساء	٦٥	٢١٧
٣	النساء	١١٣	٧٧
٤	المائدة	٢	٥٦
٥	الأنعام	١٠٨	١٥٤
٦	إبراهيم	٧	٤
٧	الأنبياء	٥	٧٥
٨	الشعراء	٢٢٤ - ٢٢٧	٥١ - ٦٧

٩	﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ ^(٦٥)	النمل	٦٥	٦٩
١٠	﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾	القصص	٨٨	١٠٤
١١	﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدْ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا﴾ ^(٥٨)	الأحزاب	٥٨	١٨٠-١٤٩
١٢	﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ﴾	يس	٦٩	-٧٥-٧٣ -٧٧-٧٦ ١٠٢
١٣	﴿وَيَقُولُونَ أَيُّنَا لَتَارِكُو آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَجْنُونٍ﴾ ^(٦٦)	الصافات	٣٦	٧٥
١٤	﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ ^(٦٦)	الجمانية	٢٤	١٨٦
١٥	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّنْ قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّنْ نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الْأَسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ ^(٦٦)	الحجرات	١١	١٤٩
١٦	﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ ^(٦٨)	ق	١٨	٢٢٦
١٧	﴿أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ﴾ ^(٦٩)	الطور	٣٠	٧٥
١٨	﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ ^(٦٩)	النجم	٤-٣	٤٣

١٩	﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۖ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ﴾	النجم	٥-٤	٧٧
٢٠	﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾	الرحمن	٢٦	٢٠
٢١	﴿نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ﴾	الصف	١٣	٩٦
٢٢	﴿فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَلِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ﴾	التحريم	٤	٢٨
٢٣	﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾	القلم	٤٢	٦٤
٢٤	﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلٍ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ﴾	الحاقة	٤١	٧٥
٢٥	﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ﴾	البلد	١٧	١٩٥

فهرس الأحاديث القولية

فهرس الأحاديث القولية

الصحيفة	الراوي	طرف الحديث	
١٥٠	أبو هريرة	(أَتَدْرُونَ مَا الْغَيْبَةُ....)	١
٣٩	أبو هريرة	(أَجِبْ عَنِّي اللَّهُمَّ أَيَّدْهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ...)	٢
٣٠	ابن اسحاق	(أَجِبْهُمْ يَا حَسَّانُ بَنَ ثَابِتٍ...)	٣
٢٦	محمد بن سيرين	(ادْعُوا لِي كَعْبَ بْنِ مَالِكٍ...)	٤
١٣٠	همام بن الحارث	(إِذَا رَأَيْتُمُ الْمَدَّاحِينَ فَاحْثُوا...)	٥
٢٠ - ١٠٣	أبو هريرة	(أَصْدَقُ بَيْتٍ قَالَهُ الشَّاعِرُ...)	٦
٢٠٥	النابعة الجعدي	(إِلَى أَيْنَ؟ قُلْتُ: إِلَى الْجَنَّةِ...)	٧
٢٥ - ١٣٨	الأسود بن سريع	(أَمَّا إِنَّ رَبَّكَ تَعَالَى يُحِبُّ الْمَدْحَ، هَاتِ...)	٨
٥٣	أبو هريرة	(أَمْرُ الْقَيْسِ صَاحِبِ لَوَاءِ الشُّعْرَاءِ...)	٩
١٤١	أبو هريرة	(إِنْ أَحَا لَكُمْ لَا يَقُولُ الرِّفْثَ...)	١٠
٤٩ - ١٥٧	عائشة	(إِنْ أَعْظَمَ النَّاسُ فِرْيَةً، لَرَجُلٌ هَاجَى رَجُلًا...)	١١
١٩٣	أنس بن مالك	(إِنَّ الْعَيْنَ تَدْمَعُ وَالْقَلْبَ يَحْزَنُ...)	١٢
١٩٤	عبد الله بن عمر	(إِنَّ اللَّهَ لَا يُعَذِّبُ بِدَمْعِ الْعَيْنِ وَلَا بِحُزْنِ...)	١٣
٢٨	عائشة	(إِنَّ اللَّهَ يُؤَيِّدُ حَسَّانَ بِرُوحِ الْقُدُسِ...)	١٤
١٥١ - ٢٧	كعب بن مالك	(إِنَّ الْمُؤْمِنَ يَجَاهِدُ بِسَيْفِهِ وَلِسَانِهِ...)	١٥
١٠٥	عبد الله بن عباس	(إِنْ تَغْفِرَ اللَّهُمَّ تَغْفِرْ جَمًّا...)	١٦
١٥٢ - ٤٠	عائشة	(إِنَّ رُوحَ الْقُدُسِ مَعَ حَسَّانَ مَا نَافَحَ عَنْ...)	١٧
١٩	عبد الله بن عباس	(إِنَّ مِنَ الْبَيَانِ سِحْرًا...)	١٨

١٩	(إِنَّ مِنَ الشَّعْرِ حِكْمَةً...)	أُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ	١٩ - ٦١ - ٦٥ - ٢٠٧
٢٠	(أَنَا النَّبِيُّ لَا كَذِبَ أَنَا ابْنُ عَبْدِ الْمَطْلَبِ...)	البراء بن عازب	٨١
٢١	(أَنْتَ الْقَاتِلُ فَأَصْبَحْ نَهْبِي وَنَهْبُ الْعَبِيدِ...)	موسى بن عقبة	١١٤
٢٢	(أَنَّهُ نَهَى عَنْ تَنَاشُدِ الْأَشْعَارِ فِي الْمَسْجِدِ...)	عبد الله بن عمرو بن العاص	٣٩
٢٣	(إِنِّي وَاللَّهِ مَا أَنَا بِشَاعِرٍ، وَلَا يَنْبَغِي لِي...)	قتادة	١٠٢
٢٤	(اهْجُوهُمْ أَوْ هَاجَهُمْ وَجَبْرِيلُ مَعَكُمْ...)	البراء بن عازب	٢٨
٢٥	(اهْجُوا بِالشَّعْرِ إِنَّ الْمُؤْمِنَ يُجَاهِدُ بِنَفْسِهِ...)	كعب بن مالك	١٥١
٢٦	(اهْجُوا قُرَيْشًا فَإِنَّهُ أَشَدُّ عَلَيْهَا...)	عائشة	١٥٢
٢٧	(أَهْدَيْتُمْ الْفِتَاةَ.. إِنَّ الْأَنْصَارَ...)	عبد الله بن عباس	٨٦
٢٨	(أَهْلُ الْجَنَّةِ مِنْ مَالِ اللَّهِ أَذْنِيهِ...)	ابن عباس	١٢٩
٢٩	(أَهْلَكْتُمْ - أَوْ قَطَعْتُمْ - ظَهَرَ الرَّجُلِ...)	أبو موسى الأشعري	١٣٣
٣٠	(إِيَّاكُمْ وَالتَّمَادُحَ...)	معاوية بن أبي سفيان	١٣١
٣١	(تَفَاعَلْ بِمَا تَهْوَى يَكُنْ...)	عائشة	١٠٧
٣٢	(تِلْكَ عَاجِلُ بُشْرَى الْمُؤْمِنِ...)	أبو ذر	١٢٨
٣٣	(جَاهِدُوا الْمُشْرِكِينَ بِأَمْوَالِكُمْ...)	أنس بن مالك	١٥١ - ٢٧
٣٤	(خُذُوا الشَّيْطَانَ أَوْ أَمْسِكُوا الشَّيْطَانَ...)	أبو سعيد الخدري	٥٢
٣٥	(خَلَّ عَنْهُ يَا عُمَرُ، فَلَهِيَ أَسْرَعُ فِيهِمْ...)	عبد الله بن رواحة	١٥٣ - ٢٣
٣٦	(السَّيِّدُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى...)	عبد الله بن الشخير	١٣٢
٣٧	(الشَّعْرُ بِمَنْزِلَةِ الْكَلَامِ، فَحَسَنُهُ...)	عبد الله بن عمرو	١٢٨ - ٦٦

٣٨	(ضَحِكَ اللَّهُ اللَّيْلَةَ، أَوْ عَجِبَ...)	أبو هريرة	١٣٦
٣٩	(فَإِنْ رَأَيْتَ مِنْهُ شَيْءً فَشَبِّبْ بِامْرَأَتِكَ...)	مالك بن عمير	١٧٩ - ٣٨
٤٠	(قَدْ أَفْلَحَ مَنْ يُعَالِجُ الْمَسَاجِدَا...)	عبد الله بن رواحة	١٠٩
٤١	(قُلْ، لَا يَفْضُضُ اللَّهُ فَاكٌ...)	خُزَيْمِ بْنِ أَوْسٍ	١٣٩ - ٢١
٤٢	(قولوا لهم كما يقولون لكم...)	عمار بن ياسر	٢٧
٤٣	(قولوا: الله مولانا، ولا مولى لكم...)	البراء بن عازب	٨٧
٤٤	(كان رسول الله ﷺ إذا استراثَ الخبرُ تمَثَّلَ...)	عائشة	١٠١
٤٥	(كَفَى بِالْإِسْلَامِ وَالشَّيْبِ لِلْمَرْءِ نَاهِيًا...)	الحسن البصري	١١٦
٤٦	(كُلُّ الْبَوَاكِي تَكْذِبُ إِلَّا أُمُّ سَعْدٍ...)	عائشة	١٩٦
٤٧	(كَيْفَ يَنْسِي...)	عائشة	١٥٧
٤٨	(كَيْفَ تَقُولُ الشَّعْرُ إِذَا قُلْتَ...)	عبد الله بن رواحة	٢٨
٤٩	(كَيْفَ قَالَ يَا أَبَا بَكْرٍ...)	عبد الرحمن بن كعب بن زهير	٢٢١
٥٠	(لَا تَسُبُّوا الدَّهْرَ...)	أبو هريرة	١٩١
٥١	(لَا مَا دَعَوْتُمْ اللَّهَ هُمْ وَأَنْتُمْ عَلَيْهِمْ...)	أنس بن مالك	١٣٠
٥٢	(لَا يَا كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ...)	كعب بن مالك	١٦٩
٥٣	(لَا يَعْلَمُ مَا فِي عَدِي إِلَّا اللَّهُ...)	عائشة	٦٨
٥٤	(لَا يُفْضُضُ فَوْكٌ...)	النابعة الجعدي	٢٠٨
٥٥	(لَأَنْ يَمْتَلِيَّ جَوْفُ أَحَدِكُمْ قَيْحًا أَوْ دَمًا...)	جابر بن عبد الله	٣٦
٥٦	(لَأَنْ يَمْتَلِيَّ جَوْفُ رَجُلٍ قَيْحًا...)	أبو هريرة	٦٠ - ٣٤
٥٧	(لَأَنْ يَمْتَلِيَّ مَا بَيْنَ لَبَتِكَ...)	مالك بن عمير	٣٨

٥٨	(اللَّهُ يَعْلَمُ إِنِّي لأُحِبُّكَ...)	أنس بن مالك	٣١
٥٩	(اللَّهُمَّ ارْكَسْهُمَا رَكْسًا...)	أبو برزة الأسلمي	٥٥
٦٠	(اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ...)	عبد الله بن مسعود	٤٢
٦١	(اللَّهُمَّ حَبِّبْ إِلَيْنَا الْمَدِينَةَ كَحَبِّبْنَا...)	عائشة	٢١٢
٦٢	(اللَّهُمَّ حَوَالَيْنَا وَلَا عَلَيْنَا...)	أنس بن مالك	١٤١
٦٣	(اللَّهُمَّ لَا عَيْشَ إِلَّا عَيْشُ الْآخِرَةِ...)	سهل بن سعد	١١٠
٦٤	(اللَّهُمَّ لَوْلَا أَنْتَ مَا اهْتَدَيْنَا...)	البراء بن عازب	١١٢
٦٥	(اللهم إنه لا خير إلا خير الآخرة...)	أنس بن مالك	١١٠
٦٦	(لَوْ أَدْرَكْنِي هَذَا لِأَسْلَمَ...)	عمرو بن مسلم الخزاعي	٣٢ - ٢٠٨
٦٧	(لَيْسَ الْمُؤْمِنُ بِالطَّعَانِ...)	عبد الله بن مسعود	١٥٠
٦٨	(لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَطَمَ الْخُدُودَ...)	عبد الله بن مسعود	١٩٣
٦٩	(مَا أَبَالِي شَرِيتُ تِرْيَاقًا، أَوْ تَعَلَّقْتُ...)	عبد الله بن عمرو	١٠٠
٧٠	(مَا شَيْءٌ أَثْقَلُ فِي مِيزَانِ الْمُؤْمِنِ...)	أبو الدرداء	١٨٢
٧١	(مَا لَقَيْكَ الشَّيْطَانُ سَالِكًا فَجًّا إِلَّا سَلَكَ...)	سعد بن أبي وقاص	١٣٥
٧٢	(مَا مِنْ رَاكِبٍ يَخْلُو فِي مَسِيرِهِ بِاللَّهِ وَذِكْرِهِ...)	عُقْبَةُ بن عامر	٤٥
٧٣	(مَا مِنْ مُؤْمِنٍ يُعْزِي أَخَاهُ بِمُصِيبَةٍ...)	عمرو بن حزم	١٩٥
٧٤	(مَا مِنْ مَيِّتٍ يَمُوتُ، فَيَقُومُ بِأَكْبَرِهِ فَيَقُولُ...)	أبو موسى الأشعري	١٩٤
٧٥	(الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ...)	عبد الله بن عمرو	١٥٠
٧٦	(مَنْ أَحْدَثَ هِجَاءً فِي الْإِسْلَامِ...)	أبو أمامة	٥٠
٧٧	(مَنْ صُنِعَ إِلَيْهِ مَعْرُوفٌ فَقَالَ لِفَاعِلِهِ...)	أسامة بن زيد	١٢٩

٧٨	(مَنْ قَالَ فِي الْإِسْلَامِ شِعْرًا مُقْدِعًا...)	بريدة بن الحبيب الأسلمي	١٥١ - ٥٠
٧٩	(مَنْ لَقِيَ كَعْبًا فَلْيَقْتُلْهُ...)	عبد الرحمن بن كعب بن زهير	٢٢١
٨٠	(من مثل بالشعر فليس...)	عبد الله بن عباس	٥٦
٨١	(من هذا السائق...)	سلمة بن الأكوع	٩١
٨٢	(الْمَيِّتُ يُعَذَّبُ فِي قَبْرِهِ...)	عمر بن الخطاب	١٩٣
٨٣	(نُصِرْتَ يَا عَمْرُو بَنِ سَالِمٍ...)	مروان بن الحكم	٢١٥
٨٤	(نَفَلُوا هَامًا...)	نسب إلى الأموي في مغازيه	١٠٦
٨٥	(هَجَاهُمْ حَسَنًا فَشَفَى وَاشْتَفَى...)	عائشة	١٥٣ - ١٥٩
٨٦	(هَذَا الْحِمَالُ لَا جِمَالُ خَيْرُ...)	عروة بن الزبير	١٠٨
٨٧	(هَلْ أَنْتِ إِلَّا إِصْبَعٌ دَمِيتِ...)	جندب بن عبد الله	٨٣
٨٨	(هَلْ مَعَكَ مِنْ شِعْرِ أُمَيَّةَ بْنِ أَبِي الصَّلْتِ...)	الشريد بن سويد	٢٤
٨٩	(وَأَنْتِ فَتَبَّتْكَ اللَّهُ يَا ابْنَ رَوَاحَةَ...)	عبد الله بن رَوَاحَةَ	٢٩ - ١٤٠
٩٠	(وَهُنَّ شَرُّ غَالِبٍ لِمَنْ غَلَبَ...)	الأعشى المازني	١١٥
٩١	(وَيْلَكَ قَطَعْتَ عُنُقَ صَاحِبِكَ...)	أبو بكر	١٣٤
٩٢	(يَا ابْنَ رَوَاحَةَ أَنْزِلْ فَحَرِّكِ الرِّكَابَ...)	عبد الله بن رَوَاحَةَ	٢٥
٩٣	(يُؤْذِنِي ابْنُ آدَمَ يَقُولُ...)	أبو هريرة	١٩١

فهرس الأحاديث الفعلية

فهرس الأحاديث الفعلية

الصحيفة	الراوي	طرف الحديث	
٢١٦	رافع بن خديج	(أَعْطَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَبَا سُفْيَانَ بَنَ حَرْبٍ، وَصَفْوَانَ بَنَ أُمَيَّةَ...)	١
١٠٨	عروة بن الزبير	أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ طَفِقَ يَنْقُلُ مَعَ الصَّحَابَةِ اللَّبْنَ فِي بَنِيَانِهِ وَيَقُولُ...)	٢
٤٤	معاوية بن أبي سفيان	أَنَّهُ خَطَبَ النَّاسَ بِحَمَصٍ فَذَكَرَ فِي خُطْبَتِهِ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ حَرَّمَ أَشْيَاءَ...)	٣
٤٠ - ٣٠	جابر بن سمرة	جَالَسْتُ النَّبِيَّ ﷺ أَكْثَرَ مِنْ مِائَةِ مَرَّةٍ ...)	٤
٢٢٦	أبو نوفل بن أبي عقرب	سَأَلْتُ عَائِشَةَ: هَلْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ...)	٥
٦٣	أبو سلمة بن عبد الرحمن	لَمْ يَكُنْ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مُنْحَرِفِينَ وَلَا مَتَمَاوَتِينَ...)	٦

فهرس الآثار

فهرس الآثار

الصحيفة	الراوي	طرف الأثر	
٥٩	مسروق	(أخافُ أن أجدَ في صحيفتي...)	١
٥٩	الربيع بن خثيم	(إنه ليس أحد يلفظ بشيء...)	٢
١٩٣	أم عطية	(أخذَ علينا النبي ﷺ عند البيعة أن لا ننوح...)	٣
٦٤	عبد الله بن عباس	(إذا خفي عليكم شيء من القرآن...)	٤
٢١٣	أبو هريرة	(أنَّ القومَ حين خرجوا من الحرم...)	٥
	علي بن الحسين	(إنَّ أوَّلَ من شَرى نفسه ابتغاءَ رضوان الله...)	٦
٣٩	أبو هريرة	(أن عمر بن الخطاب مر بحسان...)	٧
٢٠٢	سلمة بن الأكوع	(خرجتُ قبل أن يُؤدَّن بالأولى...)	٨
٢٢٣ - ١٦٦	مسروق	(دخلتُ على عائشة ، وعندها حسَّانُ بن ثابت يُنشدُها...)	٩
٦٤	عبد الله بن عباس	(الزَّييم، اللِّثيم المُلزق...)	١٠
٦٤	عبيد الله بن عتبة	(شَهِدْتُ ابنَ عباسٍ رضي الله عنه، وهو يُسألُ عن عريبة القرآن...)	١١
١٣٥	يحيى بن معاذ	(العاقل لا يدعُه ما سترَ الله عليه...)	١٢
٢٠٥	سلمة بن الأكوع	(فلَمَّا قَدِمنا خيبرَ، خرجَ مَلِكُهُم مَرَحَب...)	١٣
٦٠	إبراهيم النخعي	(كانوا يكرهون من الشعر...)	١٤
٢٠٩	أبو بكر الصديق	(كُلُّ امرئٍ مُصَبَّحٌ في أهله...)	١٥

٤٦	عبد الله بن عمرو بن العاص	(مَنْ قَرَضَ بَيْتَ شِعْرِ بَعْدَ الْعِشَاءِ...)	١٦
١٠٩	ابن شهاب الزهري	ولم يبلغنا في الأحاديث أن رسول الله ﷺ تمثل ببیت شعر...)	١٧
٢١٧	أبوهريرة	يَا لَيْلَةً مِنْ طُولِهَا وَعَنَائِهَا...)	١٨

فهرس الأبيات الشعرية

فهرس الأبيات الشعرية

صدر البيت	القافية	القائل	الصحيفة
١	هَجَوْتُ مُحَمَّدًا فَأَجَبْتُ عَنْهُ	الجزء	حسن بن ثابت ١٥٥
٢	أَذْنَتَا بَيْنَهَا أَسْمَاءُ	الثواء	الحارث بن حلزة ١٦٨
٣	عَفَّتْ ذَاتُ الْأَصَابِعِ فَالْجَوَاءُ	خلاء	حسن بن ثابت ١٧٦
٤	قَدْ عَلِمْتُ خَيْرُ أُنَى مَرْحَبُ	مُجَرَّبُ	مَرْحَبُ الْيَهُودِي ٢٠٤ - ٢٠٦
٥	يَا مَالِكَ النَّاسِ وَدَيَانَ الْعَرَبِ	الذرب	الأعشى المازني ١١٥ - ٢١٦
٦	أَنَا النَّبِيُّ لَا كَذِبُ	المطلب	النبي ﷺ ٨١ - ٩٢
٧	هَلْ أَنْتَ إِلَّا إِصْبَعٌ دَمِيَّتِ	ما لقيت	عبد الله بن رواحة أو الوليد بن الوليد ٨٣ - ٩٣
٨	نَحْنُ الَّذِينَ بَايَعُوا مُحَمَّدًا	أبدًا	المهاجرين والأنصار ١١٠
٩	وَأَهْدَى لَهَا كَبْشًا	المزبد	نساء من الأنصار ٦٩
١٠	وَأَنَّ سَنَامَ الْمَجْدِ مِنْ آلِ هَاشِمٍ	العبد	حسان بن ثابت ١٤٠
١١	وَيَحُ أُمُّ سَعْدٍ سَعْدًا	وجدًا	أُمُّ سَعْدٍ بْنُ مُعَاذٍ ١٩٨
١٢	فَلَا لَعَمْرُ الَّذِي مَسَّحَتْ كَعْبَتَهُ	جسد	النابعة الذبياني ٢١٩
١٣	اللَّهُمَّ إِنِّي نَاشِدُ مُحَمَّدًا	الأتلدا	عمرو بن سالم ٢١٨
١٤	مَا بَالُ عَيْنَيْكَ لَا تَنَامُ كَأَنَّمَا	الأرمذ	حسان بن ثابت ١٩٧
١٥	وَوَظَلُّمُ دَوِي الْقُرْنَى أَشَدُّ مَضَاضَةً	المُهَنَّدِ	طرفة بن العبد ٢١١
١٦	لَعَمْرُكَ مَا حُبِّي مُعَادَةً بِالَّذِي	العهد	الأعشى المازني ١١٦
١٧	لِحَوْلَةِ أَطْلَالٍ بِرُقَّةٍ نَهَمَدِ	اليد	طرفة بن العبد ١٦٨
١٨	نَحْنُ جَوَارٍ مِنْ بَنِي النَّجَارِ	جار	جوار من الأنصار ٣١

١٩	مَا هَاجَ حُزْنُكَ أَمْ بِالْعَيْنِ غَوَّارُ	الدار	الخنساء	١٨٨
٢٠	اللَّهُمَّ لَا عِيشَ إِلَّا عِيشَ الْآخِرَةِ	والأنصار	النبي ﷺ	١١٠
٢١	لَا يَزَالُ حَوَارِيٌّ تَلُوحُ عِظَامُهُ	فَيُقْبِرَا	رجلين من المنافقين	٥٥
٢٢	اللَّهُمَّ إِنَّهُ لَا خَيْرَ إِلَّا خَيْرُ الْآخِرَةِ	والمهاجره	تمثله النبي عن رجل من المسلمين	١١٠
٢٣	وَقَيْتُ بِنَفْسِي خَيْرَ مَنْ وَطِئَ الْحَصَا	وَبِالْحَجَرِ	علي بن أبي طالب	٢٠٥
٢٤	ضَرَبْنَا حَبِيكَ الْبَيْضِ فِي عَمْرِ جُنَّةٍ	مُفَاخِرُ	المُعَقَّرُ بن الحارث البارقبي	٢٠١
٢٥	وَلَا خَيْرَ فِي حِلْمٍ إِذَا لَمْ يَكُنْ لَهُ	يُكَدِّرَا	النابعة الجعدي	٢١٠
٢٦	ذِرِ الْمَمُومَ فَمَاءُ الْعَيْنِ مُنْحَدِرُ	دَرُرُ	حسان بن ثابت	١٧٨
٢٧	إِنِّي تَقَرَّسْتُ فَيْكَ الْخَيْرَ أَعْرِفُهُ	بَصْرُ	عبد الله بن رواحة	٢٩ - ١٤٠
٢٨	فَأَخْبِرُونِي أَثْمَانَ الْعَبَاءِ مَتَى	مُضَرُ	عبد الله بن رواحة	٢٩
٢٩	أَنَا الَّذِي سَمَّيْتُ أُمِّي حَيْدَرَةَ	الْمَنْظَرَةَ	علي بن أبي طالب	٢٠٤
٣٠	يَا لَيْلَةً مِنْ طُولِهَا وَعَنَايِهَا	الْكُفْرِ	أبوهريرة	٢١٤
٣١	وَأَنَا لِقَوْمٍ مَا نُعَوِّدُ خَيْلَنَا	وَتَنْفِرَا	النابعة الجعدي	٢٠٧
٣٢	قَدْ عَلِمْتَ خَيْرُ أَنِّي عَامِرُ	مُغَامِرُ	عامر بن الأكوع	٢٠٣
٣٣	هَذَا الْحِمَالُ لَا حِمَالُ خَيْرُ	وَأَطْهَرُ	تمثله النبي ﷺ عن رجل من المسلمين	١٠٨ - ١١٩
٣٤	لَيْتَ لَنَا مَكَانَ الْمَلِكِ عَمْرٍو	تَحُورُ	طرفة بن العبد	١٤٨
٣٥	يَا هَاشِمَ الْخَيْرِ إِنَّ اللَّهَ فَضَّلَكُمْ	غَيْرُ	عبد الله بن رواحة	٢٩ - ١٤٠
٣٦	وَلَوْ أَرْسَلْتُ رُحِّي مَعَ جَبَانٍ	السَّبَاعَا	عنتره بن شداد	٢٠٢
٣٧	إِنَّ الدَّوَائِبَ مِنْ فِهْرِ وَإِخْوَتِهِمْ	تُتْبِعُ	حسان بن ثابت	٣٠
٣٨	فَأَصْبَحَ نَهْيٍ وَنَهَبَ الْعُبَيْ -	وَالْأَفْرَعُ	عباس بن مرداس	١١٤

٣٩	زَنَيْمٌ تَدَاعَاهُ الرِّجَالُ زِيَادَةً	الأَكَارِغُ	تمثله ابن عباس	٦٥
٤٠	أَنَا ابْنُ الْأَكُوْعِ	الرُّضْعُ	سلمة بن الأكوع	٢٠٢
٤١	وَفِينَا رَسُولُ اللَّهِ يَتْلُو كِتَابَهُ	سَاطِعُ	عبد الله بن رواحة	١٤١
٤٢	أَلَا هَلْ أَتَى غَسَّانَ عَنَّا وَدُوْهُمْ	يَتَقَعَّقُ	كعب بن مالك	٧٠
٤٣	نَحْنُ الْمُلُوكُ فَلَا حَيٍّ يُقَارِنُنَا	الْبَيْعُ	الزرقان بن بدر	٣٠
٤٤	فَضَيْنَا مِنْ تَهَامَةٍ كُلِّ رَيْبٍ	السُّيُوفَا	كعب بن زهير	٢٦
٤٥	لَمَّا جَفَانِي أَخِلَّائِي وَأَسْلَمَنِي	يُعْتَرِقُ	الحارث بن حلزة	٢١١
٤٦	أَتَيْنَاكُمْ أَتَيْنَاكُمْ	وَحْيَاكُمْ	النبي ﷺ	٨٧ - ٦٩ ٩٠
٤٧	أَلَا أُبَلِّغَا عَنِّي بُحَيْرًا رِسَالَةً	دَلَّكََا	كعب بن زهير	٢٢٥
٤٨	سَقَاكَ أَبُو بَكْرٍ بِكَاسٍ رَوِيَّةٍ	وَعَلَّكََا	كعب بن زهير	٢٢٥ - ٢٢٦
٤٩	لَوْلَا الذَّهَبُ الْأَحْمَرُ	يُودِيكُمْ	النبي ﷺ	٨٧
٥٠	تَفَاءَلُ بِمَا تَهْوَى يَكُنْ فَلَقَلَّمَا	تَحَقَّقُ	تمثله النبي ﷺ عن من لم يعرف	١٠٧
٥١	مِنْ قَبْلِهَا طُبِتَ فِي الظَّلَالِ وَفِي	الْوَرَقُ	العباس بن عبد المطلب	٢١ - ١٣٩
٥٢	اصْبِرْ عَنَّا إِنَّهُ شَرٌّ بَاقٍ	الْأَعْنَاقُ	تمثله ابن عباس	٦٥
٥٣	كُلُّ أَمْرٍ مُصَبَّحٌ فِي أَهْلِهِ	نَعْلُهُ	أبو بكر الصديق	٢٠٩
٥٤	وَأَبْيَضُ يُسْتَسْقَى الْعِمَامُ بِوَجْهِهِ	لِلْأَرَامِلِ	أبو طالب	١٤١ - ١٤٢
٥٥	بَجَلُو عَوَارِضَ ذِي ظُلَمٍ إِذَا ابْتَسَمَتْ	مَعْلُولُ	كعب بن زهير	١٧٥
٥٦	بَآتَتْ سَعَادُ فَقَلْبِي الْيَوْمَ مَتْبُولُ	مَعْلُولُ	ابن دُرَيْبِل	١٧٠
٥٧	إِنَّ الرَّسُولَ لَسَيِّفٌ يُسْتَضَاءُ بِهِ	مَسْلُولُ	كعب بن زهير	١٤٠

٥٨	أُنِثْتُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ أُوْعِدَنِي	مَأْمُولُ	كعب بن زهير	٢٢٢
٥٩	هَيْفَاءُ مُقْبِلَةً، عَجْزَاءُ مُدْبِرَةً	طُولُ	كعب بن مالك	١٧٣
٦٠	خَلُّوا بَنِي الْكُفَّارِ عَنْ سَبِيلِهِ	تَنْزِيلُهُ	عبد الله بن رواحة	١٥٣ - ٢٣
٦١	أَلَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أُبَيِّتُ لَيْلَةً	وَجَلِيلُ	بِلَالُ بن رباح	٢١٢
٦٢	يَمِينًا لِنَعَمِ السَّيِّدَانِ وَوَحْدَتَا	ومبرم	زهير بن أبي سلمى	١٢٥
٦٣	وَمَنْ يَغْتَرِبُ يَحْسَبْ عَدُوًّا صَدِيقَهُ	يُكْرَمُ	زُهير بن أبي سلمى	٢٠٧
٦٤	إِنْ تَغْفِرِ اللَّهُمَّ تَغْفِرْ جَمًّا	أَلَمَّا	تمثله ابن عباس	١٠٥
٦٥	نُفْلِقُ هَامًا مِنْ رِجَالٍ أَعَزَّةٍ	أَظْلَمَا	حصين بن الحمام	١٠٦
٦٦	لَا تَأْمَنَنَّ وَإِنْ أَمْسَيْتَ فِي حَرَمٍ	إِنْسَانٍ	سويد بن عامر المصطلقلي	٢٠٧ - ٣٢
٦٧	إِذَا بَلَغَ الْفِطَامَ لَنَا وَلَيْدٌ	سَاجِدِينَا	عمرو بن كلثوم	٢٠٣
٦٨	اللَّهُمَّ لَوْلَا أَنْتَ مَا اهْتَدَيْنَا	صَلَّيْنَا	عامر بن الأكوع أو عبد الله بن رواحة	٢٥ - ٩١ - ١١٢
٦٩	وَأَعْضُ طَرْفِي مَا بَدَتْ لِي جَارِي	مَأْوَاهَا	عنتره بن شداد	٢٠٢
٧٠	وَلَسْتُ أَبَالِي حِينَ أُقْتَلُ مُسْلِمًا	مَضْرَعِي	حبيب بن عدي	٢١٣
٧١	وَعَدْنَا أَبَا سُفْيَانَ بَدْرًا فَلَمْ نَجِدْ	وَأَفِيًّا	عبد الله بن رواحة	١٦١
٧٢	وَدَّعَ سُلَيْمَى إِنْ تَجَهَّرَتْ غَادِيًّا	نَاهِيًّا	سُحَيْم عبد بني الحسحاس	١١٧

فهرس الأعلام

فهرس الأعلام المترجم لهم

الاسم	الصحيفة	
إبراهيم النخعي	٥٩ - ٦٠	١
أبوبكر بن دريد	٢٠	٢
ابن أبي الدنيا	٨٥	٣
ابن أبي شيبة	٦٣-٦٥-١٠٩	٤
الأخفش الأوسط	٨٩	٥
الأسود بن سريع	٢٥-١٣٨	٦
الأعشى الكبير	١٢٧-٩٢-١٤٩	٧
الأعشى المازني	١١٤ - ١١٥ - ٢١٦	٨
الآلوسي	٧٨	٩
أُمَيَّة بن أبي الصَّلْت	٢٤ - ٦١ - ١٠٥ - ٢٠٧	١٠
الباقلاني	٩٨	١١
بُجير بن زهير	٢٢٠-٢٢١	١٢
البزار	٥٠-٥٥	١٣
البغوي	٣٧-٣٨-١١٩	١٤
البيهقي	١٠٧	١٥
ابن بطَّال	٣٧-٨٥-١٥٥-١٨٥	١٦
تقي الدين المقرئ	١١٨	١٧
ابن التين	٨٤ - ٨٩	١٨
الجاحظ	٩٧	١٩
الجرجاني	٦٦	٢٠
الخصَّاص	٧٧-٧٩	٢١
أبو جعفر النَّحاس	٩٣	٢٢
ابن الجوزي	٨٤	٢٣
الحارث بن حلزة الشكري	١٦٨-٢١١	٢٤
الحاكم	٦٤-٢٢٠	٢٥

٢٦	ابن حجر	٣٥-٤١-٦٣-٨٣-٩١-٩٤-٩٦-١٠٠- ١٠٣-١٠٧-١١١-١١٢-١٣٣-١٣٦- ١٣٧-١٥٤-١٦٦-٢١٣
٢٧	حسان بن ثابت	٢٧-٣٠-٤١-١٢٧-١٤٠-١٥٢-١٥٤- ١٥٥-١٥٧-١٥٩-١٦٠-١٦٦-١٧٦- ١٧٨-٢٢٣
٢٨	الحسن البصري	٥٩-١١٦
٢٩	الحصكفي	١٩٤
٣٠	حصين بن الحمام	١٠٦
٣١	خبيب بن عدي	٢١٣-٢١٤
٣٢	الخطابي	١٣٠-١٩٢-١٩٦
٣٣	الخطيب التبريزي	١٦٥
٣٤	الخطيب الشربيني	١٨٠
٣٥	الخليل بن أحمد الفراهيدي	٧٨-٨٩-٩٣-١٨٥-٢١٠
٣٦	الخنساء	١٨٨
٣٧	الدمامي	١١١
٣٨	ابن ديزيل	١٧٠
٣٩	الذبياني	١٢٦-١٢٧-١٤٩-٢١٨-٢١٩
٤٠	الرافعي	٩٠-١١٩-١٩٩
٤١	الربيع بن خثيم	٥٩-٦٠
٤٢	ابن رجب	٤١
٤٣	الزبرقان بن بدر	٢٩
٤٤	الزجاجي	١٦٣
٤٥	الزمنشيري	٧٦
٤٦	الزهري	١٠٨-١٠٩
٤٧	زهير بن أبي سلمى	١٢٤-١٢٧-١٤٩-١٦٩-٢٠٧
٤٨	سالم بن عبد الله	٥٩
٤٩	سحيم عبد بني الحسحاس	١١٧

٤٧	السخاوي	٥٠
١١٦	ابن سعد	٥١
٦١	سعيد بن المسيب	٥٢
٢٠٣-٢٠٢-٩١	سلمة بن الأكوع	٥٣
١٣٣-٥٦-٤٣	السَّدي	٥٤
٢٠٧-٣٢-٣١	سويد بن عامر المصطلقي	٥٥
١٦٤	ابن سَيْدَة	٥٦
٢٦	ابن سيرين	٥٧
٨٢	السيوطي	٥٨
١٠٦	شريح بن هانئ	٥٩
٦١	الشَّعي	٦٠
١٢٥	شوقي ضيف	٦١
٤٧	الصنعاني	٦٢
٧٧	الطَّاهر بن عاشور	٦٣
٨٧-٥٠-٣٨-٣٧	الطبرانيُّ	٦٤
٨٤-٦٨-٦٣-٦٢	الطبريُّ	٦٥
٥٨	الطحاوي	٦٦
٢١١-١٦٨-١٤٧-١٠٢	طَرْفَة بن العبد	٦٧
١٥٤-١٣٢-١٢٨	الطبيي	٦٨
٧٧	ابن عاشور	٦٩
٢٠٤-٩١	عامر بن الأكوع	٧٠
١٣٩-٢٢-٢١-٢٠	العباس بن عبد المطلب	٧١
٢١٦-١١٩-١١٧-١١٣	عباس بن مرداس	٧٢
٥٠	عبد الله بن أحمد بن حنبل	٧٣
-١١٣-١٠٩-٨٤-٤١-٢٨-٢٤-٢٣ ١٦١-١٥٣-١٥٢-١٤١-١٤٠	عبد الله بن رواحة	٧٤
٤٣-٣٧-٣٥	أبو عبيد القاسم بن سلام	٧٥
٦٤	عبيد الله بن عتبة	٧٦

٩٤- ٩٣- ٩٢	ابن العربي	٧٧
١٠٨	عروة بن الزبير	٧٨
١١٦	علي بن زيد	٧٩
٣١	عمرو بن الشَّريد	٨٠
٢١٦-٢١٥-٢١٤	عمرو بن سالم الخزاعي	٨١
١٤٨-١٤٧	عمرو بن هند	٨٢
٢٠٠	عنتر بن شَدَّاد	٨٣
١٨٥	ابن الفارس	٨٤
١٦٠-١٥٣-٩٤	القاضي عياض	٨٥
١٠٢	قتادة بن دعامة	٨٦
١٤٥	قدامة بن جعفر	٨٧
١٥١-٦٥	ابن قدامة المقدسي	٨٨
٦٧-٣٦	القرطي	٨٩
١٠١	القسطلاني	٩٠
٢١٨-١٢٦	القيرواني	٩١
٢٢٣-١٧٤-١١٨-٧٧	ابن كثير	٩٢
٩٤-٩٣-٨٥	الكرماني (برهان الدين)	٩٣
١١١	الكرماني (شمس الدين)	٩٤
٢٢١-٢٢٠-١٨١-١٧٥-١٦٩-١٣٩	كعب بن زهير	٩٥
١٩٦-١٧٣-١٥٢-١٥١-٧٠-٢٧-٢٦	كعب بن مالك	٩٦
١٠٤	لبيد بن ربيعة	٩٧
١٤٤	الليث بن المظفر	٩٨
٥٤	المظفر العلوي	٩٩
٣٧	مالك بن عمير السلمي	١٠٠
١٧٩	محمد بن إبراهيم الكناني	١٠١
٢٠٤	مرحب اليهودي	١٠٢
٢٢٣-١٦٦-٥٩	مسروق بن الأجدع	١٠٣
٢٠٧-٣٢	مسلم بن الحارث الخزاعي	١٠٤

٢٠١	المُعْتَرُ بن الحارث البَارِقِي	١٠٥
١٥٤	ابن الملقن	١٠٦
١٨٥	ابن منظور	١٠٧
١٣٢-١٣١-٥٣	المناعي	١٠٨
٢٠٨-٢٠٥	النابعة الجعدي	١٠٩
٢١٩-١٢٧	النُّعْمَان بن المنذر	١١٠
٤٥	أبو نوفل بن أبي عقرب	١١١
٢٠٤-١٥٩-١٣٣-١١٩-٩٤-٥٢-٤٠	النووي	١١٢
١٨٧-١٧٤-١٧٣-٨٥	ابن هشام	١١٣
٢١٨-١٦٧-٥	أبو هلال العسكري	١١٤
١٤١	الهيثم بن أبي سنان	١١٥
٨٥	الواقدي	١١٦
١٣٥	يحيى بن معاذ	١١٧
٢٠٩	يَعْلَى بن الأشدق	١١٨
٣٦	أبو يعلى الموصلي	١١٩

فهرس المصادر والمراجع

فهرس المصادر والمراجع

أولاً: فهرس الكتب المطبوعة.

١. الآحاد والمثاني، لأبي بكر بن أبي عاصم، تحقيق: الدكتور باسم فيصل أحمد الجوابرة، دار الراية: الرياض، ط: ١، ١٤١١هـ-١٩٩١م.
٢. الآداب الشرعية والمنح المرعية، لعبد الله محمد بن مفلح المقدسي، تحقيق شعيب الأرنؤوط وعمر القيام، مؤسسة الرسالة، ط: ٣، ١٤١٩هـ-١٩٩٩م.
٣. إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة، لأبي العباس أحمد بن أبي بكر بن إسماعيل البوصيري، تقديم: فضيلة الشيخ الدكتور أحمد معبد عبد الكريم، تحقيق: دار المشكاة للبحث العلمي بإشراف أبو تميم ياسر بن إبراهيم، دار الوطن للنشر: الرياض، ط: ١، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.
٤. إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين، لمحمد بن محمد الحسيني الزبيدي، مؤسسة التاريخ العربي: بيروت-لبنان، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م.
٥. الأحاديث المختارة أو المستخرج من الأحاديث المختارة مما لم يخرج به البخاري ومسلم في صحيحيهما، للشيخ العلامة ضياء الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الواحد المقدسي، دراسة وتحقيق: الأستاذ الدكتور عبد الملك بن عبد الله بن دهيش، دار خضر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت-لبنان، ط: ٣، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.
٦. أحكام القرآن، لأبي بكر أحمد بن علي الرازي الجصاص، تحقيق: محمد صادق القمحاوي، دار إحياء التراث العربي: بيروت، ١٤٠٥هـ.
٧. أحكام القرآن، للقاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المعافري الاشيلي المالكي، راجع أصوله وخرج أحاديثه وعلّق عليه: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط: ٣، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.

٨. إحياء علوم الدين، لأبي حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي، دار المعرفة: بيروت.
٩. أخبار أبي القاسم الزجاجي، لعبد الرحمن بن إسحاق البغدادي النهاوندي الزجاجي، تحقيق: الدكتور عبد الحسين المبارك، دار الرشيد للنشر، ١٩٨٠م.
١٠. الأدب، للإمام الحافظ أبي بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة، تحقيق: الدكتور محمد رضا القهوجي، دار البشائر الإسلامية: لبنان، ط: ١، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.
١١. الأدب العربي وتاريخه في العصر الجاهلي، لمحمد هاشم عطية، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده: مصر، ط: ٣، ١٣٥٥هـ-١٩٣٦م.
١٢. الأدب المفرد، لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار البشائر الإسلامية: بيروت، ط: ٣، ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م.
١٣. الأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار ﷺ، لأبي زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط، دار الفكر : بيروت- لبنان (طبعة جديدة منقحة)، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م.
١٤. إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب المعروف بمعجم الأدباء المعروف، لشهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي، تحقيق: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط: ١، ١٤١٤هـ-١٩٩٣م.
١٥. إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، لأبي العباس أحمد بن محمد بن أبي بكر القسطلاني القتيبي المصري، المطبعة الكبرى الأميرية: مصر، ط: ٧، ١٣٢٣هـ.
١٦. أساس البلاغة، لأبي القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط: ١، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.
١٧. الاستذكار، لأبي عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي، تحقيق: سالم محمد عطا، محمد علي معوض، دار الكتب العلمية: بيروت، ط: ١، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م.

١٨. الاستيعاب في معرفة الأصحاب، لأبي عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الجيل: بيروت، ط: ١، ١٤١٢هـ-١٩٩٢م.

١٩. أسد الغابة في معرفة الصحابة، لأبي الحسن علي بن أبي الكرم، عز الدين ابن الأثير، تحقيق: علي محمد معوض: عادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، ط: ١، ١٤١٥هـ-١٩٩٤م.

٢٠. الإسلام والشعر، للدكتور سامي مكّي العاني، عالم المعرفة: الكويت.

٢١. أسنى المطالب في شرح روض الطالب، لزكريا بن محمد بن زكريا الأنصاري، زين الدين أبو يحيى السنيكي، دار الكتاب الإسلامي.

٢٢. الإصابة في تمييز الصحابة، للإمام الحافظ أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، قدّم له وقرظه: الأستاذ الدكتور محمد عبد المنعم البري، والدكتور عبد الفتاح أبو سنة، والدكتور جمعة طاهر النجار، دار الكتب العلمية: بيروت، ط: ١، ١٤١٥هـ-١٩٩٥م.

٢٣. إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، لمصطفى صادق الرافعي، دار الكتاب العربي: بيروت، ط: ٨، ١٤٢٥-٢٠٠٥م.

٢٤. إعراب القرآن، لأبي جعفر النّحاس، وضع حواشيه وعلق عليه: عبد المنعم خليل إبراهيم، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية: بيروت، ط: ١، ١٤٢١هـ.

٢٥. الأعلام، لخير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي، دار العلم للملايين، ط: ١٥، ٢٠٠٢م.

٢٦. الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام المسمى بـ (نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر)، لعبد الحي بن فخر الدين بن عبد العلي الحسيني الطالبي، دار النشر: دار ابن حزم: بيروت-لبنان، ط: ١، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.

٢٧. الأغاني، لأبي الفرج الأصفهاني، تحقيق: سمير جابر، دار الفكر: بيروت، ط: ٢.
٢٨. إكمال المعلم بفوائد مسلم، عياض بن موسى بن عياض، تحقيق: الدكتور يحيى إسماعيل، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع: مصر، ط: ١، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.
٢٩. إكمال إكمال المعلم، للإمام أبي عبد الله محمد بن خلفه الوشتاني الأبي المالكي، دار الكتب العلمية: بيروت-لبنان.
٣٠. الإلتزام الإسلامي في الشعر، لناصر عبد الرحمن الحنين، مكتبة رشد: الرياض-المملكة العربية السعودية، ط: ١، ٢٠٠٤م.
٣١. الأم، للشافعي أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن عبد المطلب بن عبد مناف المطلبي القرشي المكي، دار المعرفة: بيروت، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م.
٣٢. الأماكن أو ما اتفق لفظه واقترب مسماه من الأمكنة، لأبي بكر محمد بن موسى بن عثمان الحازمي الهمداني، تحقيق: حمد بن محمد الجاسر، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، ١٤١٥هـ.
٣٣. إمتاع الأسماع بما للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع، لتقي الدين المقرئ، تحقيق: محمد عبد الحميد النميسي، دار الكتب العلمية: بيروت، ط: ١، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.
٣٤. إنباه الرواة على أنباه النحاة، لجمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف القفطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة: بيروت، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م.
٣٥. إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون المعروف بالسيرة الحلبية، لأبي الفرج علي بن إبراهيم بن أحمد الحلبي، دار الكتب العلمية: بيروت، ط: ٢، ١٤٢٧هـ.
٣٦. الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، لعلاء الدين أبو الحسن علي بن سليمان المرادوي الدمشقي الصالحي الحنبلي، دار إحياء التراث العربي، ط: ٢.

٣٧. أنوار البروق في أنواء الفروق المعروف (بالفروق)، لأبي العباس شهاب الدين أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن الصنهاجي الشهير ب: القراني، عالم الكتب: الرياض.

٣٨. أنوار التنزيل وأسرار التأويل، لناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي: بيروت، ط: ١، ١٤١٨هـ.

٣٩. أهل الفترة ومن في حكمهم، لمؤلفه: موفق أحمد شكري، قدّم له الدكتور عباس محبوب، ومحمد عبد الله الخطيب، اعتنى بتصحيحه سمير أحمد العطار، مؤسسة علوم القرآن: عجمان، ودار ابن كثير: دمشق - بيروت، ط: ١، ١٤٠٩هـ، ١٩٩٨م.

٤٠. أيام العرب في الجاهلية، لمحمد أحمد جاد المولى بك وعلي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية: صيدا - بيروت.

٤١. البحر الزخار المعروف ب (مسند البزار)، لأبي بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق بن خلاد بن عبيد الله العتكي المعروف بالبزار، تحقيق: عادل بن سعد، مكتبة العلوم والحكم: المدينة المنورة، ط: ١، ١٩٨٨م.

٤٢. بحور الشعر العربي عروض الخليل، للدكتور غازي يموت، دار الفكر اللبناني: بيروت، ط: ٢، ١٩٩٢م.

٤٣. البداية والنهاية، لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، دار الفكر، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م.

٤٤. البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، لمحمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني، دار المعرفة: بيروت.

٤٥. البدر المنير في تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في الشرح الكبير، لابن الملتن سراج الدين أبو حفص الشافعي، تحقيق: مصطفى أبو الغيط، وعبد الله بن سليمان، وياسر بن كمال، دار الهجرة للنشر والتوزيع: الرياض - السعودية، ط: ١، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.

٤٦. بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث، لأبي محمد الحارث بن محمد بن داهر التميمي البغدادي الخصيب المعروف بابن أبي أسامة، انتقاء: أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان بن أبي بكر الهيثمي. تحقيق: الدكتور حسين أحمد صالح الباكري، مركز خدمة السنة والسيرة النبوية - المدينة المنورة، ط: ١، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.
٤٧. بغية الملتبس في تاريخ رجال أهل الأندلس، لأبي جعفر أحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة الضبي، دار الكاتب العربي: القاهرة، ١٩٦٧م.
٤٨. بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، لعبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية: صيدا - لبنان.
٤٩. بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، للسيد محمود شكري الألوسي البغدادي، تحقيق: محمد بهجة الأثري، دار الكتاب المصري، ١٣٤٢هـ - ١٩٢٤م.
٥٠. بلوغ الأماني من أسرار الفتح الرباني شرح ترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني، للشيخ أحمد عبد الرحمن البنا الساعاتي، تحقيق: حسان عبد المنان، بيت الأفكار الدولية.
٥١. بهجة المحافل وبغية الأماثل في تلخيص المعجزات والسير والشمائل، ليحيى بن أبي بكر بن محمد بن يحيى العامري الحرضي، دار صادر: بيروت.
٥٢. البيان والتبيين، لعمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي، أبو عثمان، الشهير بالجاحظ، دار ومكتبة الهلال: بيروت، ١٤٢٣هـ.
٥٣. تاج العروس من جواهر القاموس، لمحمد بن عبد الرزاق المرتضى الزبيدي، دار الفكر: بيروت، ط: ١، ١٤١٤هـ.
٥٤. التاج المكلل من جواهر مآثر الطراز الآخر والأول، لأبي الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القنوجي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، ط: ١، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.

٥٥. تاريخ آداب العرب، لمصطفى صادق الرافعي، دار الكتاب العربي: بيروت- لبنان، ط: ٢، ٢٠٠٥ م.

٥٦. تاريخ الأدب العربي العصر الجاهلي، لأحمد شوقي عبد السلام ضيف الشهير بشوقي ضيف، دار المعارف: القاهرة.

٥٧. تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، لشمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي، تحقيق: عمر عبد السلام التدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط: ٢، ١٤١٣ هـ- ١٩٩٣ م

٥٨. تاريخ بغداد، لأبي بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي، تحقيق: الدكتور بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي: بيروت، ط: ١، ١٤٢٢ هـ- ٢٠٠٢ م.

٥٩. تاريخ دمشق، لأبي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر، تحقيق: عمرو بن غرامة العمروي، دار الفكر: بيروت، ١٤١٥ هـ- ١٩٩٥ م.

٦٠. تاريخ الرسل والملوك، وصلة تاريخ الطبري، لمحمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، دار التراث: بيروت، ط: ٢، ١٣٨٧ هـ.

٦١. التاريخ الكبير، لمحمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، تحقيق: هاشم الندوي وآخرون، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد: الدكن.

٦٢. تاريخ النقد الأدبي عند العرب، لدكتور إحسان عباس، دار الثقافة: بيروت- لبنان، ط: ٤، ١٩٨٣ م.

٦٣. تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، لمحمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، الدار التونسية للنشر: تونس، ١٩٨٤ هـ.

٦٤. تحفة الأحوزي بشرح جامع الترمذي، لأبي العلا محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري، دار الكتب العلمية: بيروت.

٦٥. تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف، لجمال الدين أبو الحجاج يوسف بن عبد الرحمن المزي، تحقيق: عبد الصمد شرف الدين، المكتب الإسلامي، والدار القيّمة، ط: ٢، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.

٦٦. تحفة المحتاج إلى أدلة المنهاج (على ترتيب المنهاج للنووي)، لابن الملتن سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الشافعي المصري، تحقيق: عبد الله بن سعاف اللحاني، دار حراء: مكة المكرمة، ط: ١، ١٤٠٦هـ.

٦٧. تخرّيج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشاف للزمخشري، لجمال الدين أبو محمد عبد الله بن يوسف بن محمد الزيلعي، تحقيق: عبد الله بن عبد الرحمن السعد، دار ابن خزيمة: الرياض، ط: ١، ١٤١٤هـ.

٦٨. تذكرة الحفاظ، لأبي الفضل محمد بن طاهر بن علي بن أحمد المقدسي الشيباني، المعروف بابن القيسراني، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي، دار الصميعي للنشر والتوزيع، الرياض، ط: ١، ١٤١٥هـ-١٩٩٤م.

٦٩. تذكرة الحفاظ، لشمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايّماز الذهبي، دار الكتب العلمية بيروت-لبنان، ط: ١، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.

٧٠. التذكرة الحمدونية، لمحمد بن الحسن بن محمد بن علي بن حمدون، أبو المعالي، بهاء الدين البغدادي، دار صادر، بيروت، ط: ١، ١٤١٧هـ.

٧١. ترتيب المدارك وتقريب المسالك، لأبي الفضل القاضي عياض بن موسى اليحصبي، تحقيق: سعيد أحمد أعراب، مطبعة فضالة-المحمدية: المغرب، ط: ١، ١٩٨١-١٩٨٣م.

٧٢. تعجيل المنفعة بزوائد رجال الأئمة الأربعة، لأبي الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، تحقيق: الدكتور إكرام الله إمداد الحق، دار البشائر: بيروت، ط: ١، ١٩٩٦م.

٧٣. تفسير القرآن العظيم (ابن كثير)، لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيبون: بيروت، ط: ١، ١٤١٩هـ.

٧٤. تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل)، لأبي البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي، تحقيق: يوسف علي بديوي، راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو، دار الكلم الطيب، بيروت، ط: ١، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.

٧٥. تقريب التهذيب، لأبي الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، تحقيق: محمد عوامة، دار الرشيد: سوريا، ط: ١، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.

٧٦. التلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير، لأبي الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، دار الكتب العلمية، ط: ١، ١٤١٩هـ-١٩٨٩م.

٧٧. التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، لأبي عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري القرطبي، تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي، محمد عبد الكبير البكري، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية: المغرب، ١٣٨٧هـ.

٧٨. التنوير شرح الجامع الصغير، لمحمد بن إسماعيل بن صلاح بن محمد الحسني، الكحلاني ثم الصنعاني، تحقيق: الدكتور محمد إسحاق محمد إبراهيم، مكتبة دار السلام: الرياض، ط: ١، ١٤٣٢هـ-٢٠١١م.

٧٩. تهذيب الآثار وتفصيل الثابت عن رسول الله من الأخبار، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، تحقيق: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني: القاهرة.

٨٠. تهذيب الكمال في أسماء الرجال، ليوسف بن عبد الرحمن بن يوسف، أبو الحجاج، جمال الدين ابن الزكي أبي محمد القضاعي الكلبي المزي، تحقيق: الدكتور بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة: بيروت، ط: ١، ١٤٠٠هـ-١٩٨٠.

٨١. تهذيب التهذيب، لأبي الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، مطبعة دائرة المعارف النظامية: الهند، ط: ١، ١٣٢٦هـ.

٨٢. توضيح الأفكار لمعاني تنقيح الأنظار، لمحمد بن إسماعيل بن صلاح بن محمد الحسني، الكحلاني ثم الصنعاني، أبو إبراهيم، عز الدين، المعروف كأسلافه بالأخير، تحقيق: أبو عبد الرحمن صلاح بن محمد بن عويضة، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان ط: ١، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م.

٨٣. توثيق قصيدة بانت سعاد في المتن والإسناد، للدكتور سعود بن عبد الله الفنيسان، مكتبة الرشد: الرياض، ط: ١، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.

٨٤. التوضيح لشرح الجامع الصحيح، لابن الملقن سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد، تحقيق: دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث، دار النوادر: دمشق-سوريا، ط: ١، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م.

٨٥. التيسير بشرح الجامع الصغير، لزين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري، مكتبة الإمام الشافعي: الرياض، ط: ٣، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.

٨٦. الثقات، لأبي حاتم محمد بن حبان بن أحمد التميمي الدارمي البُستي، دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن الهند، ط: ١، ١٣٩٣هـ-١٩٧٣م.

٨٧. الجامع لمعمر بن أبي عمرو راشد الأزدي، أبو عروة البصري، نزيل اليمن، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، المجلس العلمي بباكستان، وتوزيع المكتب الإسلامي: بيروت، ط: ٢، ١٤٠٣هـ.

٨٨. الجامع لأحكام القرآن المعروف بتفسير القرطبي، لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية: القاهرة، ط: ٢، ١٣٨٤هـ-١٩٦٤م.

٨٩. جامع المسانيد والسُّنَن الهادي لأقوم سنن، لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، تحقيق: د عبد الملك بن عبد الله الدهيش، دار خضر للطباعة والنشر والتوزيع: بيروت-لبنان، ط: ٢، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.

٩٠. الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه، المعروف بصحيح البخاري، لمحمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط: ١، ١٤٢٢هـ.

٩١. الجرح والتعديل، لأبي محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم، طبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية: بحيدر آباد الدكن: الهند، دار إحياء التراث العربي: بيروت، ط: ١، ١٢٧١هـ-١٩٥٢م.

٩٢. جزء فيه أحاديث أبي عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان المعروف بأبي الشيخ الأصبهاني، انتقاء أبو بكر أحمد بن محمد بن أبي بكر بن مردويه، تحقيق بدر بن عبد الله البدر، مكتبة الرشد الرياض، ط: ١، ١٤١٤هـ-١٩٩٣م.

٩٣. الجزء فيه حديث الحافظ ابن ديزيل، لإبراهيم بن الحسين بن علي الهمداني الكسائي المعروف بابن ديزيل، تحقيق: عبد الله بن محمد عبد الرحيم البخاري، مكتبة الغرباء الأثرية: المدينة النبوية، ط: ١، ١٤١٣هـ.

٩٤. جزء فيه سبعة مجالس من أمالي أبي طاهر المخلص، لمحمد بن عبد الرحمن بن العباس بن عبد الرحمن بن زكريا البغدادي المخلص، تحقيق: محمد بن ناصر العجمي، دار البشائر الإسلامية: بيروت-لبنان، ط: ١، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م.

٩٥. جزء أحاديث الشعر، لعبد الغني بن عبد الواحد بن علي بن سرور المقدسي الجماعيلي الدمشقي الحنبلي، أبو محمد، تقي الدين، تحقيق: إحسان عبد المنان الجبالي، المكتبة الإسلامية: عمان: الأردن، ط: ١، ١٤١٠هـ.

٩٦. جمهرة أشعار العرب، لأبي زيد محمد بن أبي الخطاب القرشي، تحقيق: علي محمد البجادي،
نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع.

٩٧. جمهرة اللغة، لأبي بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي، تحقيق رمزي منير بعلبكي، دار
العلم للملايين، بيروت، ط: ١، ١٩٨٧م.

٩٨. الجواهر المضية في طبقات الحنفية، لعبد القادر بن محمد بن نصر الله القرشي، الناشر: مير
محمد كتب خانة، كراتشي.

٩٩. حاشية السندي على سنن النسائي، لمحمد بن عبد الهادي التتوي، أبو الحسن، نور الدين
السندي، مكتب المطبوعات الإسلامية: حلب، ط: ٢، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.

١٠٠. حاشية الدسوقي على الشرح الكبير، لمحمد بن أحمد بن عرفة الدسوقي المالكي، دار
الفكر: بيروت.

١٠١. حاشية مسند الإمام أحمد بن حنبل، للعلامة أبي الحسن نور الدين محمد بن عبد
الهادي السندي، تحقيق، نور الدين طالب، إصدارات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية:
قطر.

١٠٢. الحاوي الكبير في فقه مذهب الإمام الشافعي وهو شرح مختصر المزني، لأبي الحسن علي
بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي، تحقيق: الشيخ علي
محمد معوض: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية: بيروت-لبنان، ط: ١،
١٤١٩-١٩٩٩م.

١٠٣. حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، لأبي نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن
موسى بن مهران الأصبهاني، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع: بيروت-لبنان،
١٤١٦هـ-١٩٩٦م.

١٠٤. خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، لعبد القادر بن عمر البغدادي، تحقيق: عبد
السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط: ٤، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.

١٠٥. خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، لمحمد أمين بن فضل الله بن محب الدين بن محمد المحبي الحموي الأصل، الدمشقي، دار صادر: بيروت.
١٠٦. دراسات في العصر الجاهلي، لأحمد أبو الفضل، المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية.
١٠٧. الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، لأبي الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، تحقيق: محمد عبد المعيد ضان، مجلس دائرة المعارف العثمانية: صيدر أباد-الهند، ط: ٢، ١٣٩٢هـ-١٩٧٢م.
١٠٨. الدر المنثور، لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، دار الفكر: بيروت.
١٠٩. دلائل الإعجاز في علم المعاني، لأبي بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الجرجاني، تحقيق: محمود محمد شاكر أبو فهر، مطبعة المدني بالقاهرة: دار المدني بجدة، ط: ٣، ١٤١٣هـ-١٩٩٢م.
١١٠. دلائل النبوة لأبي نعيم الأصبهاني، لأبي نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني، تحقيق: الدكتور محمد رواس قلعه جي، عبد البر عباس، دار النفائس: بيروت، ط: ٢، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.
١١١. دلائل النبوة، لأبي بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي، تحقيق: الدكتور عبد المعطي قلعجي، دار الكتب العلمية، دار الريان للتراث، ط: ١، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.
١١٢. ديوان الإسلام، لشمس الدين أبو المعالي محمد بن عبد الرحمن بن الغزي، تحقيق: سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية: بيروت-لبنان، ط: ١، ١٤١١هـ-١٩٩٠م.
١١٣. ديوان الحارث بن حلزة الإشكري، صنعة: مروان العطية، دار الإمام النووي للنشر والتوزيع: دمشق، دار الهجرة للطباعة والنشر والتوزيع: دمشق-بيروت، ط: ١، ١٤١٥هـ-١٩٩٤م.

١١٤. ديوان حسان بن ثابت الأنصاري، تحقيق: الأستاذ عبدأ مهنا، دار الكتب العلمية: بيروت-لبنان، ط: ٢، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م.
١١٥. ديوان الحصين بن الحمام المرّي، تحقيق: الدكتور شريف علاونة، دار المناهج: عمان، ٢٠٠٢م.
١١٦. ديوان الخنساء، للدكتور إبراهيم عوضين، مطبعة السعادة، ط: ١، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.
١١٧. ديوان الخنساء بشرح ثعلب أبو العباس أحمد بن يحيى بن سيار الشيباني النحوي، تحقيق: الدكتور أنور أبو سويلم، دار عمّار، عمان-الأردن، ط: ١، ١٤٠٩هـ-١٩٨٨م.
١١٨. ديوان زهير بن أبي سلمى، شرح: الأستاذ علي حسن فاعور، دار الكتب العلمية: بيروت-لبنان، ط: ١، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.
١١٩. ديوان سحيم عبد بنى الحسحاس، صنعة: نفطويه، أبي عبد الله إبراهيم بن عرفة الأزدي النحوي، تحقيق: الأستاذ عبد العزيز الميمنى، مطبعة دار الكتب المصرية، ١٣٦٩هـ-١٩٥٠م.
١٢٠. ديوان طرفة بن العبد، شرح: مهدي محمد ناصر الدين، دار الكتب العلمية: بيروت-لبنان، ط: ٣، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.
١٢١. ديوان العباس بن مرداس السلمي، تحقيق: الدكتور يحيى الجبوري، مؤسسة الرسالة: بيروت، ط: ١، ١٤١٢هـ-١٩٩١م.
١٢٢. ديوان عمرو بن كلثوم، تحقيق: الدكتور اميل بديع يعقوب، دار الكتاب العربي: بيروت، ط: ١، ١٤١١هـ-١٩٩١م.
١٢٣. ديوان كعب بن زهير، صنعة الإمام أبي سعيد السكري، شرح ودراسة: الدكتور مفيد قميحة، دار الشواف للطباعة والنشر: الرياض-المملكة العربية السعودية، ط: ١، ١٤١٠هـ-١٩٨٩م.

١٢٤. ديوان كعب بن مالك الأنصاري، تحقيق: الدكتور سامي مكّي العاني، منشورات مكتبة النهضة، مطبعة المعارف: بغداد، ط: ١، ١٣٨٦هـ-١٩٦٦.
١٢٥. ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، لعبد الرحمن بن محمد بن محمد بن محمد، ابن خلدون أبو زيد، ولي الدين الحضرمي الإشبيلي، تحقيق: خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، ط: ٢، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨ م
١٢٦. ديوان امرؤ القيس، ضبط وتصحيح: الأستاذ مصطفى عبد الشافي، الطبعة معتمدة على النسخة التي شرحها المرحوم حسن السندوي، دار الكتب العلمية: بيروت-لبنان، ط: ٥، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م.
١٢٧. ديوان المعاني، للإمام اللغوي الأديب أبي هلال العسكري، تحقيق: أحمد حسن بسج، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: ١، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م.
١٢٨. ديوان النابغة الجعدي، تحقيق: الدكتور واضح الصمد، دار صادر: بيروت، ط: ١، ١٩٩٨م.
١٢٩. ديوان النابغة الذبياني، تحقيق: الدكتور حنا نصر الحتي، دار الكتاب العربي: بيروت-لبنان، ط: ١، ١٤١١هـ-١٩٩١م.
١٣٠. ديوان الهذليين، للشعراء الهذليين، تحقيق: محمد محمود الشنقيطي، الدار القومية للطباعة والنشر: القاهرة -جمهورية مصر العربية، ١٣٨٥ هـ -١٩٦٥م.
١٣١. الديباج على صحيح مسلم بن الحجاج، لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، حقق أصله-وعلق عليه: أبو اسحق الحويني الأثري، دار ابن عفان للنشر والتوزيع: المملكة العربية السعودية: الخبر، ط: ١، ١٤١٦هـ-١٩٩٦م.
١٣٢. ذيل طبقات الحفاظ، لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، تحقيق: الشيخ زكريا عميرات، دار الكتب العلمية.

١٣٣. ذيل طبقات الحنابلة، لزين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السلامي،
البغدادى، ثم الدمشقي، الحنبلي، تحقيق: د عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، مكتبة
العيكان: الرياض، ط: ١، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٥م.

١٣٤. الرثاء (من سلسلة فنون الأدب العربي/الفن الغنائي)، للدكتور شوقي ضيف، دار
المعارف: القاهرة، ط: ٤.

١٣٥. رجال صحيح مسلم، لأحمد بن علي بن محمد بن إبراهيم، أبو بكر ابن منجويه-
تحقيق: عبد الله الليث، دار المعرفة: بيروت، ط: ١١، ١٤٠٧هـ.

١٣٦. رد المختار على الدر المختار، لابن عابدين، محمد أمين بن عمر بن عبد العزيز عابدين
الدمشقي الحنفي، دار الفكر: بيروت، ط: ٢، ١٤١٢هـ-١٩٩٢م.

١٣٧. روح البيان، لإسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوقي، المولى أبو الفداء،
دار الفكر: بيروت.

١٣٨. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، لشهاب الدين محمود بن عبد الله
الحسيني الألوسي، تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية: بيروت، ط: ١،
١٤١٥هـ.

١٣٩. الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام، لأبي القاسم عبد الرحمن بن عبد الله
بن أحمد السهيلي، تحقيق: عمر عبد السلام السلامي، دار إحياء التراث العربي: بيروت،
ط: ١، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م.

١٤٠. روضة الطالبين وعمدة المفتين، لأبي زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، تحقيق:
زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت: دمشق: عمان، ط: ٣، ١٤١٢هـ-١٩٩١م.

١٤١. زاد المعاد في هدي خير العباد، لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن
قيم الجوزية، مؤسسة الرسالة، بيروت: مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، ط: ٢٧،
١٤١٥هـ-١٩٩٤م.

١٤٢. سنن ابن ماجه، لأبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية: فيصل عيسى البابي الحلبي.

١٤٣. سنن ابن ماجه، لأبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، وعادل مرشد، ومحمد كامل قره بللي، وعبد اللطيف حرز الله، دار الرسالة العالمية، ط: ١، ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م.

١٤٤. سنن أبي داود، لأبي داود سليمان بن الأشعث الأزدي السجستاني، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا: بيروت.

١٤٥. سنن الترمذي، لأبي عيسى محمد بن عيسى الترمذي، تحقيق: أحمد محمد شاكر ومحمد فؤاد عبد الباقي وإبراهيم عطوة عوض، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي: مصر، ط: ٢، ١٣٩٥هـ-١٩٧٥م.

١٤٦. سنن الدارقطني، لأبي الحسن علي بن عمر بن أحمد بن مهدي البغدادي الدارقطني، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، حسن عبد المنعم شلبي، عبد اللطيف حرز الله، أحمد برهوم، مؤسسة الرسالة، بيروت-لبنان، ط: ١، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٤م.

١٤٧. السنن الصغرى للنسائي المعروف بالجتبي من السنن، لأبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية: حلب، ط: ٢، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.

١٤٨. السنن الكبرى، لأبي بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط: ٣، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.

١٤٩. السنن الكبرى، لأبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي، تحقيق: حسن عبد المنعم شلبي، أشرف عليه: شعيب الأرناؤوط، قدم له: عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة: بيروت، ط: ١، ١٤٢١هـ-٢٠٠١م.

١٥٠. سير أعلام النبلاء، لشمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، ط: ٣، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.

١٥١. السيرة النبوية لابن هشام، لعبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، جمال الدين، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط: ٢، ١٣٧٥هـ-١٩٥٥م.

١٥٢. السيرة النبوية، لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تحقيق: مصطفى عبد الواحد، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع بيروت-لبنان، ١٣٩٥هـ-١٩٧٦م.

١٥٣. شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، للعلامة الجليل الأستاذ الشيخ محمد بن محمد بن عمر بن قاسم مخلوف، خرّج حواشيه وعلق عليه: عبد المجيد خيالي، دار الكتب العلمية: بيروت-لبنان.

١٥٤. شذرات الذهب في أخبار من ذهب، لعبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد العكري الحنبلي، أبو الفلاح، تحقيق: محمود الأرنؤوط، خرّج أحاديثه: عبد القادر الأرنؤوط، دار ابن كثير، دمشق: بيروت، ط: ١، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.

١٥٥. شرح ديوان الحماسة، ليحيى بن علي بن محمد الشيبانيّ التبريزي، أبو زكريا، دار القلم: بيروت.

١٥٦. شرح ديوان عنتره، للخطيب التبريزي، تحقيق مجيد طراد، دار الكتاب العربي: بيروت، ط: ١، ١٤١٢هـ-١٩٩٢م.

١٥٧. شرح السنة، لمحيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط: محمد زهير الشاويش، المكتب الإسلامي: دمشق، بيروت، ط: ٢، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.

١٥٨. شرح سنن ابن ماجه (الإعلام بسنته عليه الصلاة والسلام)، للإمام الحافظ علاء الدين مغلطاي ابن قليج بن عبد الله الحنفي تحقيق: كامل عويضة، مكتبة نزار مصطفى الباز: المملكة العربية السعودية، ط: ١، ١٤١٩هـ-١٩٩٩م.

١٥٩. شرح صحيح البخاري لابن بطلال، لأبي الحسن علي بن خلف بن عبد الملك ابن بطلال، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد: السعودية-الرياض، ط: ٢، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٣م.

١٦٠. شرح المواهب اللدنية بالمنح المحمدية، لأبي عبد الله محمد بن عبد الباقي بن يوسف بن أحمد بن شهاب الدين بن محمد الزرقاني المالكي، دار الكتب العلمية، ط: ١، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م.

١٦١. شرح الطيبي على مشكاة المصابيح المسمى بـ (الكاشف عن حقائق السنن)، لشرف الدين الحسين بن عبد الله الطيبي، تحقيق: الدكتور عبد الحميد هنداوي، مكتبة نزار مصطفى الباز: مكة المكرمة، الرياض، ط: ١، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م.

١٦٢. شرح معاني الآثار، لأبي جعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن عبد الملك بن سلمة الأزدي الحجري المصري المعروف بالطحاوي، تحقيق: محمد زهري النجار، محمد سيد جاد الحق، راجعه ورقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: د يوسف عبد الرحمن المرعشلي، عالم الكتب، ط: ١، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م.

١٦٣. شرح المعلقات السبع، لحسين بن أحمد بن حسين الزُّوزَنِي، أبو عبد الله، دار احياء التراث العربي، ط: ١، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.

١٦٤. شعب الإيمان، لأبي بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي، حققه وراجع نصوصه وخرج أحاديثه: الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد، أشرف على تحقيقه وتخرجه أحاديثه: مختار أحمد الندوي، صاحب الدار السلفية ببومباي: الهند، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند، ط: ١، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٣م.

١٦٥. الشعر الأندلسي في ظل الدولة العامرية (دراسة موضوعية وفنية)، للدكتور أحمد بلخضر فورار، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠٩م.
١٦٦. الشعر والشعراء، لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، دار الحديث: القاهرة، ١٤٢٣هـ.
١٦٧. الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، لأحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين، محمد علي بيضون، ط: ١، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.
١٦٨. صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، لمحمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبَد، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة: بيروت، ط: ٢، ١٤١٤هـ-١٩٩٣م.
١٦٩. الصناعتين، لأبي هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري، تحقيق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العنصرية: بيروت، ١٤١٩هـ.
١٧٠. الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، لشمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر بن عثمان بن محمد السخاوي، منشورات دار مكتبة الحياة: بيروت.
١٧١. طبقات الحفاظ، لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، دار الكتب العلمية: بيروت، ط: ١، ١٤٠٣هـ.
١٧٢. طبقات الحنابلة، لأبي الحسين ابن أبي يعلى، محمد بن محمد، تحقيق: محمد حامد الفقي، دار المعرفة: بيروت.
١٧٣. طبقات الشافعية الكبرى، لتاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي، تحقيق: الدكتور محمود محمد الطناحي الدكتور عبد الفتاح محمد الحلو، هجر للطباعة والنشر والتوزيع، ط: ٢، ١٤١٣هـ.

١٧٤. طبقات فحول الشعراء، لمحمد بن سلام بن عبيد الله الجمحي، أبو عبد الله، تحقيق: محمود محمد شاكر، دار المدني: جدة.

١٧٥. الطبقات الكبرى، لأبي عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي البصري البغدادي المعروف بابن سعد، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية: بيروت، ط: ١، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م.

١٧٦. طبقات المفسرين العشرين، لعبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي، تحقيق: علي محمد عمر، مكتبة وهبة: القاهرة، ط: ١، ١٣٩٦هـ.

١٧٧. طبقات المفسرين، لمحمد بن علي بن أحمد شمس الدين الداودي، دار الكتب العلمية: بيروت.

١٧٨. طبقات الأولياء، لابن الملقن سراج الدين أبو حفص الشافعي المصري، تحقيق: نور الدين شريه من علماء الأزهر، مكتبة الخانجي: بالقاهرة، ط: ٢، ١٤١٥هـ-١٩٩٤م.

١٧٩. العرف الشذي شرح سنن الترمذي، لمحمد أنور شاه بن معظم شاه الكشميري الهندي، تصحيح: الشيخ محمود شاكر، دار التراث العربي: بيروت-لبنان، ط: ١، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م.

١٨٠. العقد الفريد، لأبي عمر، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد ربه بن حبيب بن حدير بن سالم المعروف بابن عبد ربه الأندلسي، دار الكتب العلمية: بيروت، ط: ١، ١٤٠٤هـ.

١٨١. العلل لابن أبي حاتم، لأبي محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم، تحقيق: فريق من الباحثين بإشراف وعناية: الدكتور سعد بن عبد الله الحميد و الدكتور خالد بن عبد الرحمن الجريسي، مطابع الحميضي، ط: ١، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م.

١٨٢. علم العروض والقافية، عبد العزيز عتيق، دار النهضة العربية بيروت.

١٨٣. العمدة في محاسن الشعر وآدابه، لأبي علي الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل، ط: ٥، ١٤٠١هـ-١٩٨١م.
١٨٤. عمدة القاري شرح صحيح البخاري، لأبي محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابي الحنفى بدر الدين العيني، دار إحياء التراث العربي: بيروت.
١٨٥. العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم، لمحمد بن إبراهيم بن علي الحسني، من آل الوزير، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر: بيروت، ط: ٣، ١٤١٥هـ-١٩٩٤م.
١٨٦. عون المعبود شرح سنن أبي داود، ومعه حاشية ابن القيم: تهذيب سنن أبي داود وإيضاح علله ومشكلاته، لأبي عبد الرحمن محمد أشرف، الصديقي، العظيم آبادي، دار الكتب العلمية: بيروت، ط: ٢، ١٤١٥هـ.
١٨٧. العين، لأبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي، تحقيق: الدكتور مهدي المخزومي، والدكتور إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.
١٨٨. العيون الغامزة على خبايا الرامزة، لبدر الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الدماميني، تحقيق: الحساني حسن عبد الله، مكتبة الخانجي: القاهرة، ط: ٢، ١٤١٥هـ-١٩٩٤م.
١٨٩. غاية النهاية في طبقات القراء، لشمس الدين أبو الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف، مكتبة ابن تيمية، ط: ١، ١٣٥١هـ.
١٩٠. غرائب التفسير وعجائب التأويل، لمحمود بن حمزة بن نصر، أبو القاسم برهان الدين الكرمانى، ويعرف بتاج القراء، دار القبة للثقافة الإسلامية: جدة.
١٩١. غريب الحديث، لإبراهيم بن إسحاق الحربي أبو إسحاق، تحقيق: الدكتور سليمان إبراهيم محمد العايد، جامعة أم القرى: مكة المكرمة، ط: ١، ١٤٠٥هـ.

١٩٢. غريب الحديث، لأبي سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي المعروف بالخطابي، تحقيق: عبد الكريم إبراهيم الغرباوي، وخرج أحاديثه: عبد القيوم عبد رب النبي، دار الفكر، ط: ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م.

١٩٣. غريب الحديث، لأبي عُبَيْد القاسم بن سلام بن عبد الله الهروي البغدادي، تحقيق: الدكتور محمد عبد المعيد خان، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد: الدكن، ط: ١، ١٣٨٤هـ-١٩٦٤م.

١٩٤. الفائق في غريب الحديث والأثر، لأبي القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله، تحقيق: علي محمد البجاوي: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة: لبنان، ط: ٢.

١٩٥. فتح الباري شرح صحيح البخاري، للحافظ زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب السلامي، البغدادي، حققه جماعة من المحققين وهم: محمود بن شعبان بن عبد المقصود، مجدي بن عبد الخالق الشافعي، إبراهيم بن إسماعيل القاضي، السيد عزت المرسي، محمد بن عوض المنقوش، صلاح بن سالم المصري، علاء بن مصطفى بن همام، صبري بن عبد الخالق الشافعي، مكتبة الغرباء الأثرية: المدينة النبوية، ط: ١، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م.

١٩٦. فتح البيان في مقاصد القرآن، لأبي الطيب محمد صديق خان الحسيني البخاري القنوجي، تحقيق: عبد الله بن إبراهيم الأنصاري، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، صيدا: بيروت، ١٤١٢هـ-١٩٩٢م.

١٩٧. الفتح الرباني من فتاوى الإمام الشوكاني، لمحمد بن علي الشوكاني، تحقيق: أبو مصعب محمد صبحي بن حسن حلاق، مكتبة الجيل الجديد: صنعاء- اليمن.

١٩٨. فتح القدير شرح كتاب الهداية في شرح البداية في الفقه الحنفي، لكمال الدين محمد بن عبد الواحد السيواسي السكندري الحنفي المعروف بابن الهمام، دار الفكر.

١٩٩. فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية في علم التفسير، لمحمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب: دمشق، بيروت، ط: ١، ١٤١٤هـ.

٢٠٠. فتح المغيث بشرح الفية الحديث للعراقي، لشمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر بن عثمان بن محمد السخاوي، تحقيق: علي حسين علي، مكتبة السنة: مصر، ط: ١، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.

٢٠١. فتح المنعم شرح صحيح مسلم، للأستاذ الدكتور موسى شاهين لاشي، دار الشروق: القاهرة، ط: ١، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.

٢٠٢. فتوحات الوهاب بتوضيح شرح منهج الطلاب المعروف بحاشية الجمل (منهج الطلاب اختصره زكريا الأنصاري من منهاج الطالبين للنووي ثم شرحه في شرح منهج الطلاب)، لسليمان بن عمر بن منصور العجيلي الأزهري، المعروف بالجمل، دار الفكر، ط:

٢٠٣. الفخر والحامسة (من سلسلة فنون الأدب العربي/الفن الغنائي)، لحنا الفاخوري، دار المعارف: القاهرة، ط: ٥.

٢٠٤. فضائل الصحابة، لأبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، تحقيق: الدكتور وصي الله محمد عباس، مؤسسة الرسالة: بيروت، ط: ١، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.

٢٠٥. الفهرست، لأبي الفرج محمد بن إسحاق بن محمد الوراق البغدادي المعتزلي الشيعي المعروف بابن النديم، تحقيق: إبراهيم رمضان، دار المعرفة بيروت-لبنان، ط: ٢، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م.

٢٠٦. فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات، لمحمد عبّد الحّي بن عبد الكبير ابن محمد الحسني الإدريسي، المعروف بعبد الحي الكتاني، تحقيق: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي: بيروت، ط: ٢، ١٩٨٢م.

٢٠٧. الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة، لمحمد بن علي بن محمد الشوكاني، تحقيق: عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني، دار الكتب العلمية: بيروت-لبنان.

٢٠٨. في تاريخ الأدب الجاهلي، لعلي الجندي، مكتبة دار التراث، ط: ١، ١٤١٢هـ-١٩٩١م.

٢٠٩. فيض القدير شرح الجامع الصغير، لزين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري، المكتبة التجارية الكبرى: مصر، ط: ١، ١٣٥٦هـ.

٢١٠. فيض الباري على صحيح البخاري، لأمالي محمد أنور شاه بن معظم شاه الكشميري الهندي ثم الديوبندي، تحقيق: محمد بدر عالم الميرتقي، دار الكتب العلمية بيروت-لبنان، ط: ١، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م.

٢١١. القاموس المحيط، للعلامة اللغوي مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت-لبنان، ط: ٨، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م.

٢١٢. قصة الأدب في الحجاز، لعبد الله عبد الجبار، ومحمد عبد المنعم خفاجي، مكتبة الكليات الأزهرية.

٢١٣. قوت المغتذي على جامع الترمذي، لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، دراسة مقدمة لنيل درجة الدكتوراة، إعداد الطالب: ناصر بن محمد بن حامد الغريبي، إشراف: فضيلة الأستاذ الدكتور/ سعدي الهاشمي، جامعة أم القرى، مكة المكرمة: كلية الدعوة وأصول الدين، قسم الكتاب والسنة، عام النشر: ١٤٢٤هـ.

٢١٤. الكامل في ضعفاء الرجال، لأبي أحمد بن عدي الجرجاني، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود: علي محمد معوض.

٢١٥. الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار، لأبي بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبه، تحقيق: كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد: الرياض، ط: ١، ١٤٠٩هـ.

٢١٦. الكشف عن حقائق غوامض التنزيل، لأبي القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري، دار الكتاب العربي: بيروت، ط: ٣، ١٤٠٧هـ شارك في تحقيقه: عبد الفتاح أبو سنة، الكتب العلمية: بيروت-لبنان، ط: ١، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.

٢١٧. كشف القناع عن متن الإقناع، لمنصور بن يونس بن صلاح الدين ابن حسن بن إدريس البهوتي الحنبلي، دار الكتب العلمية.

٢١٨. كشف الأستار عن زوائد البزار، لنور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، مؤسسة الرسالة: بيروت، ط: ١، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م.

٢١٩. كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، لمصطفى بن عبد الله كاتب جلبي القسطنطيني المشهور باسم حاجي خليفة أو الحاج خليفة، مكتبة المثنى: بغداد، ١٩٤١م.

٢٢٠. كشف المشكل من حديث الصحيحين، لجمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، تحقيق: علي حسين البواب، دار الوطن: الرياض.

٢٢١. كشف المناهج والتناقيح في تخريج أحاديث المصاييح، لصدر الدين محمد بن إبراهيم بن إسحاق السلمي المناوي ثم القاهري، تحقيق: الدكتور محمد إسحاق محمد إبراهيم، تقديم الشيخ صالح بن محمد اللحيان، الدار العربية للموسوعات: بيروت-لبنان، ط: ١، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م.

٢٢٢. كفاية الحاجة في شرح سنن ابن ماجه المعروف بحاشية السندي على سنن ابن ماجه، لمحمد بن عبد الهادي التتوي، أبو الحسن، نور الدين السندي، دار الجيل: بيروت.

٢٢٣. الكنى والأسماء، لأبي بشر محمد بن أحمد بن حماد الدولابي الرازي، تحقيق: أبو قتيبة نظر محمد الفاريابي، دار ابن حزم: بيروت-لبنان، ط: ١، ١٤٢١هـ، ٢٠٠٠م.

٢٢٤. الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة، لنجم الدين محمد بن محمد الغزي، تحقيق: خليل المنصور، دار الكتب العلمية: بيروت-لبنان، ط: ١، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.

٢٢٥. الكواكب الدار في شرح صحيح البخاري، لشمس الدين الكرماني، دار إحياء التراث العربي: بيروت-لبنان، ط: ٢، ١٤٠١هـ-١٩٨١م.

٢٢٦. اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة، لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، تحقيق: أبو عبد الرحمن صلاح بن محمد بن عويضة، دار الكتب العلمية: بيروت، ط: ١، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م.

٢٢٧. اللباب في علوم الكتاب، لأبي حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية: بيروت-لبنان، ط: ١، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.

٢٢٨. لحظ الألفاظ بذيل طبقات الحفاظ، لأبي الفضل تقي الدين ابن فهد الهاشمي العلوي، دار الكتب العلمية، ط: ١، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.

٢٢٩. لسان العرب، لأبي الفضل محمد بن مكرم بن علي ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي، دار صادر: بيروت، ط: ٣، ١٤١٤هـ.

٢٣٠. لسان الميزان، لأبي الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، تحقيق: دائرة المعارف النظامية: الهند، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت-لبنان، ط: ٢، ١٣٩٠هـ-١٩٧١م.

٢٣١. المؤلف والمختلف في أسماء الشعراء وكناهم وألقابهم وأنسابهم وبعض شعرهم، لأبي القاسم الحسن بن بشر الآمدي، تحقيق: الأستاذ الدكتور ف. كرنكو، دار الجيل: بيروت، ط: ١، ١٤١١هـ-١٩٩١م.

٢٣٢. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، لأبي الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي، تحقيق: حسام الدين القدسي، مكتبة القدسي، القاهرة، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م.

٢٣٣. المجموع شرح المذهب، لأبي زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، دار الفكر.
٢٣٤. محاسبة النفس، لأبي بكر عبد الله بن محمد البغدادي الأموي القرشي المعروف بابن أبي الدنيا، تحقيق: المستعصم بالله أبي هريرة مصطفى بن علي بن عوض، دار الكتب العلمية: بيروت، ط: ١، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.
٢٣٥. المحكم والمحيط الأعظم، لأبي الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسى، تحقيق: عبد الحميد هندراوي، دار الكتب العلمية: بيروت، ط: ١، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م.
٢٣٦. مختار الصحاح، لزين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية، الدار النموذجية: بيروت-صيدا، ط: ٥، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.
٢٣٧. مختصر زوائد مسند البزار على الكتب الستة ومسند أحمد، لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق: صبري بن عبد الخالق أبو ذر، مؤسسة الكتب الثقافية، ط: ١، ١٤١٢هـ-١٩٩٢م.
٢٣٨. المخصص، لأبي الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسى، تحقيق: خليل إبراهيم جفال، دار إحياء التراث العربي: بيروت، ط: ١، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م.
٢٣٩. مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، لشمس الدين ابن القيم الجوزية، تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي: بيروت، ط: ٣، ١٤١٦هـ-١٩٩٦م.
٢٤٠. مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، لأبي الحسن عبيد الله بن محمد عبد السلام الرحماني المباركفوري، إدارة البحوث العلمية والدعوة والإفتاء: الجامعة السلفية: بنارس الهند، ط: ٣، ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م.
٢٤١. مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، لأبي الحسن نور الدين الملا الهروي القاري، دار الفكر، بيروت-لبنان، ط: ١، ١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م.

٢٤٢. المزهري في علوم اللغة وأنواعها، لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، تحقيق: فؤاد علي منصور، دار الكتب العلمية: بيروت، ط: ١، ١٤١٨هـ-١٩٩٨م.
٢٤٣. المستدرک علی الصحیحین، لأبي عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله النيسابوري، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية: بيروت، ط: ١، ١٤١١هـ-١٩٩٠م.
٢٤٤. المستدرک علی الصحیحین للحاکم أبي عبد الله النيسابوري، وبذيله تلخيص المستدرک، للإمام الحافظ شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد الذهبي، مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية الكائنة في الهند بمحروسة حيدر آباد الدکن، ط: ١، ١٣٤٠هـ.
٢٤٥. مسند إسحاق بن راهويه، لأبي يعقوب إسحاق بن إبراهيم بن مخلد بن إبراهيم الحنظلي المروزي المعروف بابن راهويه، تحقيق: الدكتور عبد الغفور بن عبد الحق البلوشي، مكتبة الإيمان: المدينة المنورة، ط: ١، ١٤١٢هـ-١٩٩١م.
٢٤٦. مسند ابن أبي شيبة، لأبي بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة، تحقيق: عادل بن يوسف العزازي و أحمد بن فريد المزيدي، دار الوطن: الرياض، ط: ١، ١٩٩٧م.
٢٤٧. مسند ابن الجعد، لعلي بن الجعد بن عبيد الجوهري البغدادي، تحقيق: عامر أحمد حيدر، مؤسسة نادر: بيروت، ط: ١، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م.
٢٤٨. مسند أبي يعلى، لأبي يعلى أحمد بن علي بن المثنى بن يحيى بن عيسى بن هلال التميمي، الموصلي، تحقيق: حسين سليم أسد، دار المأمون للتراث: دمشق، ط: ١، ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م.
٢٤٩. مسند الإمام أحمد بن حنبل، لأبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، وعادل مرشد، وآخرون، إشراف: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، ط: ١، ١٤٢١هـ-٢٠٠١م.

٢٥٠. المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ، لمسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي: بيروت.

٢٥١. مصابيح الجامع، لبدر الدين محمد بن أبي بكر بن عمر المخزومي القرشي، المعروف بالداميني، وبابن الدماميني، تحقيق: نور الدين طالب، دار النوادر: سوريا، ط: ١، ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م.

٢٥٢. مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه، لأبي العباس شهاب الدين أحمد بن أبي بكر بن إسماعيل بن سليم بن قايمار بن عثمان البوصيري الكنايني الشافعي، تحقيق: محمد المنتقى الكشناوي، دار العربية: بيروت، ط: ٢، ١٤٠٣هـ.

٢٥٣. معالم السنن، وهو شرح سنن الإمام أبي داود، لأبي سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي المعروف بالخطاطي، المطبعة العلمية: حلب، ط: ١، ١٣٥١هـ-١٩٣٢م.

٢٥٤. معالم التنزيل في تفسير القرآن المعروف بتفسير البغوي، لأبي محمد الحسين البغوي الشافعي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي: بيروت، ط: ١، ١٤٢٠هـ.

٢٥٥. معجم ابن الأعرابي، لأبي سعيد بن الأعرابي، تحقيق وتخرّيج: عبد المحسن بن إبراهيم بن أحمد الحسيني، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، ط: ١، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.

٢٥٦. المعجم الأدبي، لجبّور عبد النور، دار العلم للملايين: بيروت، ط: ٢، ١٩٨٤م.

٢٥٧. المعجم الأوسط، لأبي القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني، تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين: القاهرة.

٢٥٨. معجم البلدان، لشهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي، دار صادر، بيروت، ط: ٢، ١٩٩٥م.

٢٥٩. معجم الشعراء، للإمام أبي عبيد الله محمد بن عمران المرزباني، بتصحيح وتعليق: الأستاذ الدكتور ف. كرنكو، مكتبة القدسي، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، الطبعة: ٢، ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م.

٢٦٠. معجم الصحابة، لأبي الحسين عبد الباقي بن قانع البغدادي، تحقيق: صلاح بن سالم المصراتي، مكتبة الغرباء الأثرية: المدينة المنورة، ط: ١، ١٤١٨هـ.

٢٦١. معجم الصحابة، لأبي القاسم عبد الله بن محمد البغوي، تحقيق: محمد الأمين بن محمد الجكني، مكتبة دار البيان: الكويت، ط: ١، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م.

٢٦٢. المعجم الكبير، لسليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، دار النشر: مكتبة ابن تيمية: القاهرة، ط: ٢.

٢٦٣. معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، لأبي عبيد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري الأندلسي، تحقيق: مصطفى السقا، عالم الكتب: بيروت-لبنان ط: ٣، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.

٢٦٤. المعجم المفصل في اللغة والأدب، للدكتور إميل بديع يعقوب والدكتور ميشال عاصي، دار العلم للملايين: بيروت، ط: ١، ١٩٨٧م.

٢٦٥. معجم مقاييس اللغة، لأحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر: بيروت، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م.

٢٦٦. المعجم الوسيط، لمجمع اللغة العربية بالقاهرة، لإبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبد القادر، محمد النجار، دار الدعوة.

٢٦٧. معرفة الصحابة، لأبي نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني، تحقيق: عادل بن يوسف العزازي، دار الوطن للنشر: الرياض، ط: ١، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.

٢٦٨. المعلقة العربية الأولى أو عند جذور التاريخ، لنجيب محمد البهيقي القسم الأول، دار الثقافة: الدار البيضاء: ط: ١.

٢٦٩. المغازي، لمحمد بن عمر بن واقد السهمي الأسلمي المدني، أبو عبد الله، الواقدي، تحقيق: مارسدن جونز، دار الأعلمي: بيروت، ط: ٣، ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م.

٢٧٠. مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، لشمس الدين، محمد بن أحمد الخطيب الشربيني الشافعي، دار الكتب العلمية، ط: ١، ١٤١٥هـ-١٩٩٤م.

٢٧١. المغني في الضعفاء، لشمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي، كتبه: الدكتور نور الدين عتر، عني بطبعه ونشره: عبد الله بن إبراهيم الأنصاري، إدارة إحياء التراث الإسلامي: قطر،

٢٧٢. المغني، لابن قدامة، موفق الدين ابن قدامة المقدسي الحنبلي، مكتبة القاهرة، ١٣٨٨هـ-١٩٦٨م.

٢٧٣. مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، لعبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله بن يوسف أبو محمد جمال الدين بن هشام، تحقيق: الدكتور مازن المبارك، محمد علي حمد الله، دار الفكر: دمشق، ط: ٦، ١٩٨٥م.

٢٧٤. مفتاح العلوم، السكاكي الحنفي الخوارزمي، ضبطه وكتب هوامشه وعلق عليه نعيم زرزور، دار الكتب العلمية: بيروت، ط: ٢، ١٩٨٣م.

٢٧٥. المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، للدكتور جواد علي، دار الساقى، ط: ٤، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م.

٢٧٦. المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، للإمام الحافظ أبي العباس أحمد بن عمر بن إبراهيم القرطبي، تحقيق: محي الدين ديب مستو، أحمد محمد السيد، يوسف علي بديوي، محمود إبراهيم بزال، دار ابن كثير: دمشق-بيروت، دار الكلم الطيب: دمشق-بيروت.

٢٧٧. مقدمة القصيدة العربية في الشعر الجاهلي، للدكتور حسين عطوان، دار المعارف: القاهرة.

٢٧٨. منار القاري شرح مختصر صحيح البخاري، لحمزة محمد قاسم، راجعه: الشيخ عبد القادر الأرناؤوط، عني بتصحيحه ونشره: بشير محمد عيون، مكتبة دار البيان: دمشق- الجمهورية العربية السورية، ومكتبة المؤيد، الطائف: المملكة العربية السعودية، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م.

٢٧٩. منال الطالب في شرح طوال الغرائب، لمجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد ابن الأثير، تحقيق الدكتور محمود محمد الطناحي، مطبعة المدني: المؤسسة السعودية بمصر.

٢٨٠. منة المنعم في شرح صحيح مسلم، لفضيلة الشيخ صفى الرحمن المباركفوري حفظه الله، دار السلام للنشر والتوزيع: الرياض، ط: ١، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.

٢٨١. المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، لجمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: ١، ١٤١٢هـ-١٩٩٢م.

٢٨٢. المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، لأبي زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، دار إحياء التراث العربي: بيروت، ط: ٢، ١٣٩٢هـ.

٢٨٣. المنهيات، لأبي عبد الله محمد بن علي بن الحسن بن بشر، الحكيم الترمذي، تحقيق: محمد عثمان الخشت، مكتبة القرآن للطبع والنشر والتوزيع: القاهرة-مصر، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م. ياسر بن إبراهيم، دار الوطن، ط: ١، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م.

٢٨٤. المذهب في اختصار السنن الكبرى للبيهقي، للإمام شمس الدين الذهبي، تحقيق:

٢٨٥. موافقة الخبر الخبر في تخریج أحاديث المختصر، لأبي الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي، صبحي السيد جاسم

السامرائي، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع: الرياض-المملكة العربية السعودية، ط: ٢،
١٤١٤هـ-١٩٩٣م.

٢٨٦. المواهب اللدنية بالمنح المحمدية، لأحمد بن محمد أبي بكر بن عبد الملك القسطلاني
القتيبي المصري أبو العباس، شهاب الدين، المكتبة التوقيفية: القاهرة: مصر.

٢٨٧. الموسوعة الفقهية الكويتية، الصادرة عن: وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية -
الكويت، ط: ٢، دارالسلاسل: الكويت، ١٤٢٧هـ.

٢٨٨. الموضوعات، لجمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، تحقيق: عبد الرحمن
محمد عثمان، محمد عبد المحسن صاحب المكتبة السلفية بالمدينة، ط: ١، ١٣٨٦هـ-
١٩٦٦م.

٢٨٩. ميزان الاعتدال في نقد الرجال، لشمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان
بن قايماز الذهبي، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت-لبنان،
ط: ١، ١٣٨٢هـ-١٩٦٣م.

٢٩٠. نتائج الأفكار في تخریج أحاديث الأذكار، لأبي الفضل أحمد بن علي بن محمد بن
أحمد بن حجر العسقلاني، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي، دار ابن كثير: دمشق،
ط: ٢، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م.

٢٩١. النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ليوسف بن تغري بردي بن عبد الله الظاهري
الحنفي، أبو المحاسن جمال الدين، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دار الكتب، مصر.

٢٩٢. نخب الأفكار في تنقيح مباني الأخبار في شرح معاني الآثار، لأبي محمد محمود بن أحمد
بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابي الحنفي بدر الدين العيني، تحقيق: أبو تميم ياسر بن
إبراهيم، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية: قطر، ط: ١، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م.

٢٩٣. نزهة الألباء في طبقات الأدباء، لعبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله الأنصاري، أبو البركات، كمال الدين الأنباري، تحقيق: إبراهيم السامرائي، مكتبة المنار، الزرقاء: الأردن، ط: ٣، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.

٢٩٤. نضرة الإغريض في نصرة القريض، للمظفر بن الفضل العلوي، تحقيق: الدكتور نهي عارف الحسن، مطبوعات مجمع اللغة العربية: دمشق.

٢٩٥. النظرة النبوية في نقد الشعر نحو تأسيس المنهج الإسلامي في الأدب، للدكتور وليد قصّاب، مكتبة الحديث: العين- الإمارات العربية المتحدة.

٢٩٦. النعوت الأسماء والصفات، لأبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي، تحقيق: عبد العزيز بن إبراهيم الشهوان، مكتبة العبيكان: السعودية، ط: ١، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.

٢٩٧. النقد الأدبي الحديث، للدكتور محمد غنيمي هلال، دار نهضة (الفجالة): -القاهرة- مصر.

٢٩٨. نقد الشعر، لقدامة بن جعفر بن قدامة بن زياد البغدادي، أبو الفرج، مطبعة الجوائب: قسطنطينية، ط: ١، ١٣٠٢هـ.

٢٩٩. النقد الأدبي الحديث، للدكتور محمد غنيمي هلال، دار نهضة (الفجالة): القاهرة- مصر.

٣٠٠. نهاية الأرب في فنون الأدب، لأحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم القرشي التيمي البكري، شهاب الدين النويري، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ط: ١، ١٤٢٣هـ.

٣٠١. النهاية في غريب الحديث والأثر، لمجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي: محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية: بيروت، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م.

٣٠٢. نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج، لشمس الدين محمد بن أبي العباس أحمد بن حمزة شهاب الدين الرملي، دار الفكر، بيروت، ط: أخيرة، ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م.
٣٠٣. نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار، لمحمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني، تحقيق: عصام الدين الصبابطي، دار الحديث، مصر، ط: ١، ١٤١٣هـ-١٩٩٣م.
٣٠٤. المهجاء والمهجاءون في الجاهلية، للدكتور. م. محمد حسين، مكتبة الآداب: الجماميز.
٣٠٥. هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، لإسماعيل بن محمد أمين بن مير سليم الباباني البغدادي، دار إحياء التراث العربي بيروت-لبنان.
٣٠٦. الوافي بالوفيات، لصلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركلي مصطفى، دار إحياء التراث: بيروت، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.
٣٠٧. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، لأبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر: بيروت، ط: ١، ١٩٩٤م.

ثانياً: الرسائل الجامعية

١. الرثاء في الأندلس عصر ملوك الطوائف، إعداد: فدوى عبد الرحيم قاسم، إشراف: الدكتور: وائل أبو صالح، جامعة النجاح الوطنية، كلية الدراسات العليا-قسم اللغة العربية، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.

٢. شعر الرثاء في عهد النبوة والخلافة الراشدة (دراسة توثيقية موضوعية فنية)، بحث مقدم لنيل درجة الماجستير في الأدب، إعداد: أحمد بن علي ناصر الشرفي، إشراف: الدكتور صالح آدم بيلو، جامعة أم القرى، كلية اللغة العربية، قسم الدراسات العليا، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م.

٣. الشكوى في الشعر العربي في النصف الأول من القرن العشرين، بحث مقدم لنيل درجة الدكتوراه في الأدب العربي، إعداد: ياسمين أختز، إشراف: الدكتور سيد عبد الرزاق، الجامعة الإسلامية العالمية بإسلام آباد، كلية اللغة العربية، قسم الأدبيات، ٢٠١٠م.

٤. المدح في السنة النبوية (دراسة موضوعية)، بحث مقدم لنيل درجة الماجستير في الحديث الشريف، إعداد: ساجدة أحمد حسين أبو رّوّاع، إشراف: الدكتور عبد الكريم الوريكات، الجامعة الأردنية، كلية الدراسات العليا، ٢٠٠٧م.

٥. المراثي النبوية في صدر الإسلام، رسالة جامعية لنيل شهادة الماجستير في الأدب العربي القديم، إعداد: أحمد حاجي، إشراف: محمد زمري، جامعة أبي بكر بلقايد-تلمسان، كلية الآداب والعلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، قسم اللغة العربية وآدابها، ١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م.

ثالثاً: المجلات والدوريات

١. الأحاديث الصحيحة الواردة في ذمّ الشعر (عرض وتوجيه)، للدكتور: سفير بن خلف بن متعب القشامي، مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية وآدابها، الجزء ١٨، عدد: ٣٨، رمضان ١٤٢٧هـ.
٢. تأثير الإسلام على أدب الرّثاء، لسيد أمير محمود أنوار، مجلة التراث الأدبي، السنة الثانية، العدد السابع.
٣. ذميم الشعر في التصور الإسلامي، لمصطفى عيد الصياصنة، مجلة البحوث الإسلامية، الجزء التاسع والثلاثون، ١٤١٤هـ.
٤. ضوابط إسلامية في الأغراض الشعرية، لمحمد رفعت زهير، مجلة إسلامية المعرفة، السنة الثالثة، العدد الثاني عشر.

رابعاً: المراجع الإلكترونية

١. الرّثاء في الشعر العربي، للأستاذ الدكتور عبد الحليم محمد حسين، نظريات في الدراسة الأدبية، شبكة الألوكة الأدبية واللغوية، ١٤٣٣هـ-٢٠١٢م.
http://www.alukah.net/literature_language
٢. شعر أهل الحديث، للأستاذ: عبد العزيز القارئ، مجلة الجامعة الإسلامية، العدد ١١،
www.scholars.iu.edu
٣. شوقي ضيف، ويكيبيديا، الموسوعة الحرة، www.ar.wikipedia.org
٤. الغزل الأموي، للكاتبة: نعيمة براندوجي، موقع ديوان العرب www.diwanalarab.com
٥. الغزل بين يدي الرسول ﷺ، لصدقي البيك، دراسات ومقالات نقدية وحوارات أدبية شبكة الألوكة الأدبية واللغوية، ١٤٣٣هـ-٢٠١٢م.
www.alukah.net/literature_language

٦. الفتاوى الشرعية في المسائل الطبية (كتاب الكتروني)، لفضيلة الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن الجبرين، جمعها وأعدّها: إبراهيم بن عبد العزيز الشثري.

<https://fiqheltib.files.wordpress.com>

٧. فتوى بعنوان: (الفرق بين البكاء على الميت والنواح)، موقع الإسلام سؤال وجواب،

www.islamqa.info

٨. قصيدة بانث سعاد، الإشكالية والحل، لبدر بن علي المطوع، شعراء وأدباء، مجموعة مواقع

مداد، ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م. www.midad.com/article

٩. القول المبين في حكم الرثاء والتأبين، لأبي عبد الرحمن الآغا، شبكة الألوكة الأدبية واللغوية،

www.alukah.net/literature_language

٨. موسوعة العروض والقافية، للإستاذ سعد بن عبد الله الواصل، المكتبة الإلكترونية،

www.elibrary.mediun.my/books

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصحيفة
الإهداء	٣
شكر وتقدير	٤
المقدمة	٥
أسباب اختيار البحث	٦
منهج البحث	٧
صناعاتي في البحث	٧
الدراسات السابقة	١١
خطة البحث	١٢
الفصل الأول: الشعر في السنة النبوية بين المدح والذم	١٦
المبحث الأول: الأحاديث الواردة في مدح الشعر	١٨
المطلب الأول: ثناء النبي ﷺ على الشعر	١٩
المطلب الثاني: استنشاد النبي ﷺ للشعر	٢٣
المطلب الثالث: حثُّ النبي ﷺ شعراء الصحابة على قول الشعر	٢٧
المطلب الرابع: استماع النبي ﷺ للشعر	٣٠
المبحث الثاني: الأحاديث الواردة في ذم الشعر	٣٣
المطلب الأول: الأحاديث الواردة في ذم الشعر بمجمله	٣٤
المطلب الثاني: الأحاديث الواردة في ذم نوع من الشعر	٤٩
المطلب الثالث: الأحاديث الواردة في ذم الشعراء	٥١
المبحث الثالث: أقوال العلماء في حُكم الشعر بناءً على الأحاديث الواردة فيه	٥٧
المطلب الأول: القول بالكراهة	٥٩

٦١	المطلب الثاني: القول بالإباحة
٦٦	المطلب الثالث: التوفيق بين القولين
٧٢	الفصل الثاني: قول النبي ﷺ الشعر
٧٤	المبحث الأول: إنشاء النبي ﷺ الشعر
٧٥	المطلب الأول: تنزيه النبي ﷺ عن إنشاء الشعر
٨١	المطلب الثاني: ما جرى على لسان النبي ﷺ مما يوافق أوزان الشعر
٩٩	المبحث الثاني: تمثُّل وإنشاد النبي ﷺ للشعر
١٠١	المطلب الأول: ما تمثَّله ﷺ مما قاله شعراء الجاهلية
١٠٧	المطلب الثاني: ما تمثَّله ﷺ مما قاله شعراء الإسلام
١٢١	الفصل الثالث: الأغراض الشعرية في ظل السنة النبوية
١٢٣	المبحث الأول: المدح في السنة النبوية
١٢٤	المطلب الأول: تعريف المدح وأهميته في شعر الجاهلية
١٢٧	المطلب الثاني: ضوابط المدح في السنة النبوية
١٣٧	المطلب الثالث: شعر المدح في عصر النبوة
١٤٣	المبحث الثاني: الهجاء في السنة النبوية
١٤٤	المطلب الأول: تعريف الهجاء وأقسامه
١٤٦	المطلب الثاني: دور شعر الهجاء في الجاهلية
١٤٩	المطلب الثالث: ضوابط الهجاء في السنة النبوية
١٦٢	المبحث الثالث: الغزل في السنة النبوية
١٦٣	المطلب الأول: تعريف الغزل والفرق بينه وبين النسيب والتشبيب
١٦٧	المطلب الثاني: المقدمة الغزلية بين الجاهلية والإسلام
١٧٩	المطلب الثالث: ضوابط الغزل في السنة النبوية

١٨٣	المبحث الرابع: الرثاء في السنة النبوية
١٨٤	المطلب الأول: تعريف الرثاء لغة واصطلاحاً
١٨٦	المطلب الثاني: استعمالات شعر الرثاء في الجاهلية
١٨٩	المطلب الثالث: ضوابط الرثاء في السنة النبوية
١٩٨	المبحث الخامس: أغراض شعرية أخرى في السنة النبوية
١٩٩	المطلب الأول: شعر الفخر والحماسة في السنة النبوية
٢٠٦	شعر الحكمة في السنة النبوية
٢١٠	شعر الشكوى في السنة النبوية
٢١٧	شعر الاعتذار في السنة النبوية
٢٢٤	الخاتمة
٢٢٤	النتائج
٢٢٥	التوصيات
٢٢٧	الفهارس
٢٢٨	فهرس الآيات
٢٣٢	فهرس الأحاديث القولية
٢٣٨	فهرس الأحاديث الفعلية
٢٤٠	فهرس الآثار
٢٤٣	فهرس الأبيات الشعرية
٢٤٨	فهرس الأعلام
٢٥٤	فهرس المصادر والمراجع
٢٩٤	فهرس الموضوعات

